

عدد خاص

تتحول التونسية
بأمريكا والعالم

الطريق

إلياس الطاهري
قتيل ينتظر الحقيقة

36-35-34

3 و 33

جريدة أسبوعية شاملة

المدير المسؤول : عبد الواحد المهتاني - رئيس التحرير : يزيد البركة - السبت 27 يونيو 2020 م / 6 ذو القعدة 1441 هـ - العدد : 330 - الثمن : 5.00 درهم

أزمة التعليم بالمغرب.. الأسباب والبدائل

من ص 4 إلى ص 25

2

37

38

31

نساء الطليعة..
استهتار ببؤرة لالة
ميمونة

المسار الكفاحي
للأستاذ
بنعمرو

الانفلونزا الإسبانية
الجدة الضارية
لكورونا

سعيد المغربي ..
المغرب
فسيفساء متعدد

الافتتاحية :

أدلة التعليم لإدانة علاقات الاستعباد والاستغلال

في بداية حصول المغرب على الاستقلال المنقوص، كان واضحا لبعض القادة الوطنيين، أن إصلاح التعليم وتحديثه هو المدخل الإجباري لخروج البلاد من التخلف وكسر القيود الثقيلة للفقر والعبودية والعلاقات الإقطاعية التي تكبل ملايين المغاربة، بسبب الفقر والجهل والاستبداد. لكن عملاء الاستعمار الجديد كان لهم رأي آخر. وهكذا أصبح الجميع يتحدث عن إصلاح التعليم، خاصة وأن الإقبال المنقطع النظير للمغاربة آنذاك على تعليم أبناءهم وبناتهم، كان يعكس تطلعاتهم لضمان مستقبل أفضل لفلذات أكبادهم. كيف لا وهم كانوا يتابعون كيف استولى أبناء الأعيان والبورجوازية المدنية على المناصب في الإدارة، والمؤسسات الاقتصادية، والقطاعات العمومية. في هذا السياق تم التوصل إلى التوافق بعد جدال كبير، حول المبادئ الأربعة: المغربية والتعريب والتوحيد والمجانبة. وباستثناء المبدأ الأول الذي تحقق تدريجيا، بقي تجسيد المبادئ الثلاثة الأخرى معلقا إلى الآن، رغم توالي محاولات الإصلاح بمعدل "إصلاح" كل ست سنوات، إذا احتسبنا العقود الستة المنصرمة منذ أول محاولة سنة 1957.

لقد اعتبر عجز حركة التحرر الوطني المغربية في فرض توجهها في مجال التربية والتكوين أكبر إخفاق، ستترتب عنه عواقب وخيمة عليها وعلى المجتمع المغربي. ورغم إلحاح الشهيد المهدي بن بركة، كان تنازلها عن قطاع التعليم خطأ استراتيجيا كبيرا. وقد تمكنت القوى المخزنية والمحافظة منذ ذلك الحين من توظيف التعليم لإعادة إنتاج علاقات الاستعباد والاستغلال والتخلف الفكري بدعوى الحفاظ على الهوية والدفاع عن الأصالة، وهي الراعية لروابط التبعية المتعددة الأوجه للمراكز الاستعمارية! ولم تكف هذه القوى الرجعية بأدلة وتسييس التعليم فحسب، بل بلورت وطبقت استراتيجية شاملة وشمولية لترسيخ بنات التخلف والتبعية. ففي هذا الإطار تم استقدام قادة الإخوان المسلمين المطاردين من سوريا ومصر وكلفتهم بالإشراف على المؤسسات الأيديولوجية للدولة. كما تم تعميم

الكتاتيب التقليدية، ودعم الزوايا الطرقية، وإحياء مواسم "الأولياء" والأضرحة التي كانت الحركة الوطنية قد منعتها في مرحلة المواجهة مع الاستعمار الفرنسي. ونظرا للدور الطبيعي الذي لعبه الأساتذة والطلبة والتلاميذ في المواجهة مع الاستبداد المخزني خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي بتأثير اليسار وقيادته، سينقل المخزن إلى نهج سياسة استئصال الفكر التقدمي من الكتب والبرامج التعليمية في بداية ثمانينات القرن الماضي، من خلال تعويض الفلسفة بالدراسات الإسلامية، وشحن الكتب المدرسية بالفكر الخرافي والغبيي، وفرض ما سماه المرحوم جسوس بحق: "سياسة التضيق".

بعد أربعة عقود من الإصرار على تطبيق تلك السياسة التعليمية، رغم تنوع وتعدد محاولات "الإصلاح" أصبحت النتائج واضحة، بل ومفجعة، وتجاوزت حتى أحلام عتاة الرجعية. وأصبح الجميع يقر بإفلاس التعليم العمومي، وغرق التعليم الخصوصي في التسليع والتبذير، لدرجة لم يعد هناك من فرق بين المضاربة في العقار، والمضاربة في التعليم العالي الخصوصي! فمهن مثل الطب، والتفريغ والهندسة المعمارية، أصبحت خاضعة لمنطق العرض والطلب مثل ما يحدث في السوق المالي.

وأخيرا، جاءت جائحة كورونا، فعمقت الجراح، وزادت في فضح المفضوح، وتوحد تجار الدين، وتجار الصحة، وتجار التعليم في الدفاع عن الغلط على حد قول الشاعر الكبير محمود درويش..

رغم ذلك وضد كل عوامل الإحباط، واليأس والغضب، لازالت هناك فسحة من الأمل والشعور بالاعتزاز، الذي يبعثه فينا، تفوق تلاميذ مغاربة في المسابقات الدولية، مثل ما حدث مؤخرا في مسابقة وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا). وقد أصبح من البديهيات أنه لا تقدم، ولا حداثة، ولا ديمقراطية بدون الاستثمار في الإنسان، أي بدون إعطاء الأولوية للتعليم والصحة.

نساء الطليعة :

بؤرة لالة ميمونة

نموذج مصفر لإهمال الدولة للنساء



أصدر المكتب الوطني للنساء الطليعات بيانا يتعلق بتفجر البؤرة الوبائية على مستوى جماعة لالة ميمونة التابعة لإقليم القنيطرة، والمرتبطة بوحدة إنتاجية وصناعية، أصيبت على إثرها أزيد من 400 امرأة من النساء العاملات بضيعات جني الفواكه الحمراء ومعمل التصدير المرتبط بها.

وقد وقف بيان نساء الطليعة على أن أولى حالات الإصابة بفيروس كورونا المستجد في صفوف العاملات قد سجلت بداية شهر ماي المنصرم، وهو ما كان يستوجب تدخل مصالح وزارة الصحة وباقي الجهات المعنية لتكثيف الفحوصات والمساعدة إلى عزل المصابات والمخالطين لهن لمحاصرة تفشي الوباء. لكن تعامل الدولة باستهتار مع الأمر وتواطؤها مع المستثمرين الأجانب مالكي الوحدات الإنتاجية والصناعية قد أوصل بلادنا إلى هذه النتيجة أياما قليلة بعد الإعلان عن قرب محاصرة الوباء وتخفيف تدابير الحجر الصحي.

وقد رصد المكتب الوطني للنساء الطليعة عدة انتهاكات وخروقات مرتبطة بتفشي فيروس كورونا والآثار السلبية التي خلفها على المستوى الاقتصادي والمعيشي اليومي لملايين المغاربة وخاصة النساء، وسجل ما يلي:

- أن النساء هن الحلقة الأضعف في هذه السلسلة التي يتحكم فيها رأس المال، في خرق واضح لتدابير الصحة والسلامة وللتشريعات التي تحمي النساء، لتكريس استغلالهن الاقتصادي والمادي باعتبارهن أيادي عاملة رخيصة تساهم في رفع الإنتاج وتحقيق المزيد من الأرباح.

- أن النساء هن الفئة الأكثر تضررا من آثار جائحة كورونا نتيجة فقدان الشغل خاصة في القطاع غير المهيكل، وتعرضهن للعنف المنزلي الجسدي والنفسي الناتج عن فترة الحجر الصحي التي يقضيها في ظروف صعبة عنوانها الضغط العائلي (تحمل مسؤولية رعاية الأطفال وكبار السن إلى جانب باقي الأدوار الاجتماعية المنزلية المفروضة).

- أن الدولة لم تتخذ تدابير استثنائية لفائدة النساء للتخفيف عليهن من آثار الجائحة باعتبارهن من أكثر الفئات تضررا، كما أنها لم تضع آليات إجرائية تضمن استفادة النساء من منح صندوق تمويل كورونا، سيما وأن العديد من النساء المعيلات لأسرهن لم يستفدن من الدعم على اعتبار أن الزوج أو أحد أفراد الأسرة هو من يقوم بالإجراءات القانونية ويتوصل بالدعم.

أن ما حدث في منطقة "لالة ميمونة" يفضح قساوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها العاملات الزراعيات من تهميش وفقر وهشاشة وحرمان من أبسط الحقوق، كما يفضح واقع الاستغلال البشع للنساء جراء تطبيق السياسات الليبرالية المتوحشة للاشعبية واللامركزية التي تملها الدوائر المالية الامبريالية.

أن العاملات في هذه الضيعات الفلاحية والمصانع المرتبطة بها، على غرار الآلاف من النساء العاملات والعاملات الزراعيات يتعرضن لأشكال أخرى من انتهاك الحقوق التي يضمنها قانون الشغل (على علاته) كعدم المساواة في الأجور وعدم تحديد ساعات العمل والتسجيل في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي وتوفير شروط عمل تضمن سلامتهن وكرامتهن الإنسانية، حيث يتم حشرهن في وسائل النقل دون احترام لشروط الوقاية والسلامة خاصة في ظل انتشار العدوى.

وقد طالبت النساء الطليعات بفتح تحقيق على وجه السرعة في قضية بؤرة لالة ميمونة لتحديد المسؤوليات وترتيب الجزاءات خصوصا ان الأزمة تفشت في 7 ماي دون أن تحرك الدولة ساكنا، وبضرورة مراقبة مفتشي الشغل والصندوق الوطني للضمان الاجتماعي لأرباب العمل والمقاولات في تطبيق الحد الأدنى من الحماية الاجتماعية للعمال والعاملات والأجراء والاجيرات وتوسيع نطاق الحماية الاجتماعية حتى يتلاءم مع المعايير الدولية. وبوضع آليات واتخاذ تدابير استعجالية لحماية النساء من تداعيات الحجر الصحي النفسية والاقتصادية، والاجتماعية،

ورفضت نساء الطليعة الخطاب التنميطي المسيئ للنساء الذي تروجه بعض المؤسسات كوزارة الصحة عبر قنوات الاعلام العمومي (كبسولة حالة الطوارئ الصحية كمثال) الذي يصور النساء ويحصرهن في ممارسة الأدوار الاجتماعية التقليدية او المهن التي تدخل في إطار ما يسمى بمهن "العناية"، في ذات السياق أدانت الطليعات ترويج ثقافة التطبيع مع الاغتصاب والعنف ضد النساء وتبريرها عبر وسائل الاعلام على، غرار ما قامت به قناة تيلي ماروك التي استضافت متدخلا في أحد برامجها عمل على تحميل النساء أسباب هذه الجرائم على الرغم من كونهن هن الضحايا، ويجدد مطالبته بتشديد العقوبات على المعتصبين والمعتدين جنسيا على الأطفال والطفلات.

بصوت مرتفع

جيك الحجر الصحي

♦ محمد امباركي

للانقطاع عن دروسه، بل ويعاقب في حياته المهنية من الناحية المادية والمعنوية.

ثانيا، الموجة الحالية لفقدان مناصب الشغل وانهيار المقاولات والشركات الناشئة، والتي تقلص من نفقاتها ومن مناصب الشغل، مع العلم أن حوالي 11.8 مليون شاب يوجدون في الجبهة

الأمامية لمواجهة الجائحة، لأنهم يشتغلون في قطاعات الصحة والعمل الاجتماعي ومنهم 74% من النساء.

ثالثا، انبثاق صعوبات متنامية للحصول على الشغل بالنسبة للشباب الوافد على سوق الشغل لأول مرة، أو الذين يحاولون مواصلة عمل يتيح لهم تحسين وضعيتهم المهنية والاجتماعية. أمام الانعكاسات الحالية ووضعية القلق وعدم الاطمئنان، سيجد الشباب نفسه يؤدي تكلفة ثقيلة على مستوى صحته العقلية والنفسية، ويتجلى هذا الواقع المر في رؤية العديد من الشباب لأفاق حياتهم المهنية بكثير من القلق واللايقين والتخوف. فحوالي نصف الطلبة الشباب هم في وضعية تأخر محتمل لإنهاء التزاماتهم الدراسية، ومنهم 10% متأكدون أنه ليس بمقدورهم إنهاءها.. منذ بداية الجائحة، وحوالي نصف الشباب المستجوبين يعتبرون أنفسهم عرضة للقلق والضغط النفسي.

وتوجد العديد من المؤشرات التي تبين أن الشباب يعاني من آثار مدمرة وطويلة الأمد، نتيجة البطالة الممتدة في الزمن، خاصة عندما يحاول ولوج سوق الشغل في مرحلة الركود الاقتصادي. فبفعل الظروف الاقتصادية يفشل الشباب في محاولاتهم الأولى لإيجاد شغل، أو يجدون أنفسهم أمام شغل لا يناسب مستواهم التعليمي. وأخذوا بعين الاعتبار أن الركود الناتج عن أزمة كوفيد 19 أخطر من الأزمات السابقة، مما فيها أزمة 2008، فالمتوقع هو خسارات في الأجور على المدى الطويل بالنسبة لفئة الشباب الذين لم يحالفهم الحظ وغادروا صفوف الدراسة في الثانوية أو الجامعة خلال نهاية هذه السنة الدراسية 2019-2020. وسيجد هؤلاء أنفسهم خلال السنوات المقبلة في مواجهة منافسة شرسة من أجل مناصب شغل محدودة.

من أجل فهم أفضل لنتائج أزمة كوفيد 19 على الشباب، أطلقت منظمة العمل الدولية وشركائها "في المبادرة العالمية من أجل عمل لائق للشباب"، "تحقيقا دوليا حول الشباب وكوفيد 19". وقد أظهرت النتائج الأولية لهذا التحقيق عن بعد، أن شباب العالم بأسره كان عرضة للانعكاسات السلبية والقاسية لأزمة وباء كورونا، وخاصة إغلاق المؤسسات التعليمية ومراكز التكوين، تزايد الانقطاع عن الدراسة، فقدان مناصب الشغل، تقليص الأجور، ونقص ساعات العمل..

أمام هاته اللوحة السوداء لواقع ومستقبل الشباب، على ضوء تداعيات أزمة كوفيد19، والتي توضح بشكل لا جدال فيه أن العالم سيكون أقل ديمقراطية وأكثر احتجاجا، والسؤال المطروح هو: هل سيكون بمقدور جيل الحجر الصحي التوقيع على نقلة نوعية في الوعي والمشاركة السياسية في صناعة عالم أكثر إنسانية وعدلا وديمقراطية، من قلب حركة اجتماعية تناضل من أجل العيش والمصير المشتركين؟ وإلى أي حد تستطيع فيه القوى المناهضة للرأسمالية المفتترسة التقاط هذه التحولات السلبية والإيجابية واستشراف آفاق المواجهة، بحيث يكون من صناعاتها الأساسيين الشباب؟

إذا كان الشباب في قلب الثورات الثلاث المميزة للعالم خلال نهاية القرن 20 وبداية القرن 21 (الثورة الديمغرافية، الثورة الثقافية والثورة الرقمية)، فلأنه من أكبر ضحايا الأزمة الاقتصادية والاجتماعية المستفحلة قبل جائحة كورونا، نتيجة انعكاسات العولمة الليبرالية المتوحشة، والتي تميزت خاصة بتشبيب التفكير وتأنثه، مما أنتج مناخا من فقدان الثقة والشعور العميق بالحكرة والعداء للدولة ورموزها ومؤسساتها، وبالتالي التشبع بثقافة الرفض والتمرد والاحتجاج ضد هدر الكرامة وقمع حرية التعبير عنها فرديا وجماعيا.. لكن معظم الحركات الاحتجاجية ظلت تراوح مكانها بين قمع الأنظمة وتراجع الزخم الاحتجاجي، على المستوى الدولي والإقليمي والوطني. فكيف سيكون مستقبل الشباب بعد الجائحة؟

جائحة كوفيد 19 وقعت على مفارقة جديدة بالملاحظة، من جهة أولى إثارة انتباه المجتمعات الى أن المفعل الصحي للجائحة يستهدف بالدرجة الأولى المسنين بالنظر الى نقص المناعة لديهم، ثم ضحايا المفعل الاقتصادي والاجتماعي للجائحة من الشباب والذي يتمظهر على مستوى العديد من المجالات والوقائع، ونقصد بالشباب حسب المعيار الدولي الفئة التي يتراوح عمرها بين 15 و24 سنة..

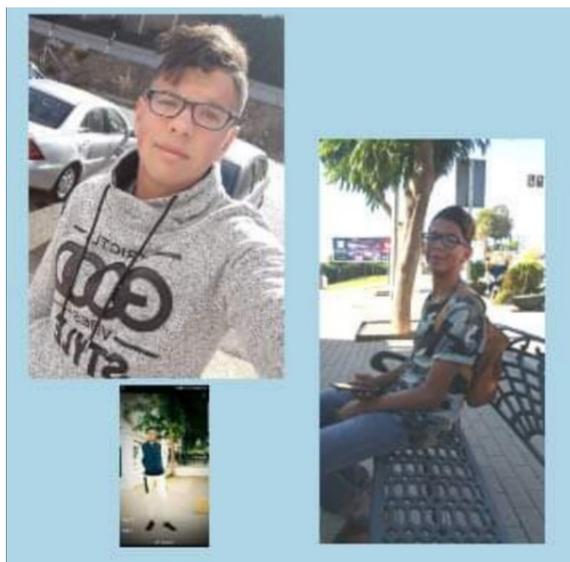
يتحدث التقرير المعنون بـ "كوفيد 19 وعالم الشغل" والصادر عن المرصد التابع لمنظمة العمل الدولية بتاريخ 27 ماي 2020، وسيما الجزء الخاص منه بالشباب، عن مستقبل هذا الأخير حيث يركز على أن أزمة كوفيد 19 تطال الشباب بطريقة سريعة وأكثر خطورة، والحاجة الملحة للتحرك الفوري لتفادي انبثاق "جيل الحجر الصحي" "Génération de confinement".

لتعزيز هذه الخلاصة يورد التقرير العديد من المعطيات التي تهم تدرس وعطالة الشباب وفقدانه لمناصب الشغل، والتي غالبا ما ترتبط بالقطاع غير المنظم (95%)، وصعوبة ولوج سوق الشغل بعد الجائحة.

لقد أدى وباء كورونا إلى اضطرابات قوية بفعل إغلاق المدارس، الجامعات، مؤسسات التعليم التقني والتكوين، وبسبب توقف التعليم المهني كالتعلم المرتبط بأنشطة التداريب قبل الجائحة، فحوالي 496 مليون شاب في العالم كانوا مشمولين بالتعليم الثانوي، الدراسات بعد الثانوية والتعليم العالي، والكثير منهم يعتبرون دراساتهم معرضة بشكل جدي للاضطرابات. إن النتائج الأولية لتحقيق حديث العهد أنجزه بشكل مشترك كل من المكتب الدولي للشغل، اليونسكو والبنك الدولي، يوضح أن حوالي 98% من الأشخاص المستجوبين في جميع جهات العالم يعيشون وضعية الإغلاق الجزئي أو الكلي لمؤسسات التعليم المهني ومراكز التكوين، 3 أشخاص من أصل 4 يؤكدون إلغاء أو تأجيل الامتحانات والتقويمات، حوالي ثلثي أنشطة التكوين سوف تتحقق عن بعد، فمن أصل مركزين للتكوين، اعتمد واحد منهما التعليم الرقمي. إن الأمر يتعلق بتطور واسع على اعتبار أنه قبل الجائحة لم يكن غير مركز واحد من أصل خمسة يتيح الدروس الرقمية. بينما في إفريقيا يرتفع عدد المؤسسات المغلقة. وفي الواقع فأفريقيا غير مجهزة بشكل كاف لكي تمر الى نمط التكوين والتعليم عن بعد، خاصة بواسطة الدروس الرقمية.

إن أبرز التحديات التي تواجه الشباب بفعل أزمة كوفيد 19 والتي يستعرضها التقرير، تتجلى في ثلاثة مستويات: أولا، اضطرابات في مجال التربية والتكوين، والتي ستؤدي مستقبلا الى تقلص الفرص المتاحة للشغل والمداخيل وتقلص القيمة الاعتبارية للشهادة والكفاءات المحصلة في حالة عدم اتخاذ الحكومات تدابير استردادية ومصاحبة على المستوى التربوي والسوسيواقتصادي، حيث يوجد تهديد حقيقي للشباب الذي سيجد نفسه مضطرا

الشبيبة الطليعية تراسل وزير الخارجية حول مقتل شاب مغربي بإسبانيا



وجهت الشبيبة الطليعية مراسلة رسمية لوزير الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج، حول مقتل الشاب المغربي إلياس الطاهري بإسبانيا.

وجاء في الرسالة أنها تابعت نشر فيديو يوثق لهذه الحادثة المأساوية، بأسف وحنق شديد، حيث يوضح هذا المقطع أن ستة أشخاص قد أدخلوا الشاب المغربي إلى غرفة صغيرة ويدها مكبلتان خلف ظهره، ثم قاموا بالضغط عليه إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة.

وتابعت المراسلة أن الحادث جاء في ظل ما يعرفه العالم اليوم من موجة احتجاجات عارمة ضد الممارسات العنصرية للشرطة، والتي انطلقت عبر وفاة المواطن الأمريكي من أصل إفريقي "جورج فلويد"، وانتقلت إلى مجموعة من دول أوروبا، والتي كانت أسبابها وقائع مماثلة لما جاء في مقطع الفيديو الخاص بمقتل الشاب المغربي إلياس الطاهري.

وقد طالبت مراسلة الشبيبة الطليعية السيد الوزير بالتحرك على أعلى مستوى، إن صح ما جاء في مقطع الفيديو هذا، فهو يعد جريمة شنعاء راح ضحيتها شاب مغربي لم يتجاوز ربيع الثامن عشر، وتعد إهانة للمغريبات والمغاربة جميعا، وللمغرب كبلد ينحدر منه إلياس الطاهري.

وقد وضعت شبيبة الطليعية عدة مطالب ملحّة فوق مكتب السيد الوزير، تلخص في:

- تنوير الرأي العام المغربي حول هذه الحادثة.
- مطالبة السلطات الإسبانية بفتح تحقيق ومحاسبة كل المتورطين في هذه الجريمة وتكليف الدبلوماسية المغربية بمتابعة الملف وتتبع وضعية عائلة الضحية.
- مطالبة القضاء الإسباني بمحاسبة المتورطين في مقتل الشاب إلياس، وإحقاق العدالة له ولعائلته ولكل المغريبات والمغاربة.

الأنوار ومناهج التعليم



♦ حنان درقاوي

كاتبة مترجمة
ومحللة نفسانية.
أستاذة فلسفة
وفكر إسلامي.
فرنسا.

افتتح الفيلسوف الفرنسي رونييه ديكارت كتابه الأساسي "المقال في المنهج" بعبارة "العقل أعدل قسمة بين الناس"، هاته الجملة سيتلقفها فلاسفة الأنوار فيما بعد ليحولوها إلى برنامج متكامل لتحرير العقل الإنساني وتنمية قدراته في جميع المجالات فيما يسمى بالأنوار الفرنسية، وبالرغم من وجود ممثلين للأنوار من بلدان أخرى كألمانيا وإنجلترا، مثل باروخ اسبينوزا، إسحاق نيوتن وجون لوك، فإنني سأركز على أثر الأنوار الفرنسية على موضوع هام واستراتيجي في حياة الشعوب ألا وهو التعليم..

يقول الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط في جوابه عن سؤال "ماهي الأنوار؟" يقول " الأنوار هي الخروج من الوصاية إلى مرحلة بناء العقل الإنساني".

الدعوة هنا واضحة وهي الخروج من الحجر الذي تمارسه الديانة المسيحية على العقل، وهي ديانة مؤسسة على توالي معجزات وخرافات مبطلّة تماما للعقل وقوانينه كالسببية والترابط المنطقي.

حركة الأنوار الفرنسية قادها فلاسفة لا يفوق عددهم العشرون، وهم كتبة الموسوعة المعرفية التي عبرت عن طموح جامع لمعرفة كل شيء في العالم، أثر فلاسفة الأنوار بشكل مباشر في الثورة الفرنسية وفي الثورة الأمريكية وفي صياغة دستورها على أساس تصور الأنوار للديمقراطية.

إن ما جعل الأنوار تنجح في تغيير المجتمع في جميع المجالات هو أنها لم تكن مجرد حركة نقد سلبية، بل كانت إيجابية وفاعلة وقدمت بدائل فكرية وفلسفية للخرافة والجهل الذي أشاعته المسيحية على امتداد قرون من سيادة الكنيسة دينيا وسياسيا.

في قلب اهتمامات فلاسفة الأنوار توجد مسألة التعليم، ومن أهم مؤلفات جون جاك روسو نجد كتاب "إميل أو التربية" والذي يصور طفلا يتيما يهتم به معلمه، الفكرة القوية في نموذج التعليم الذي يقترحه روسو هو أن يكون دور المعلم في تهيئة الظروف لكي ينشق فكر وعقل إميل، أي تنمية عقله النقدي بدل التلقين والحفظ، وهي الفكرة القوية التي اعتمدها كل الدول المتقدمة من أجل إنشاء أجيال جديدة من متعلمين يفكرون وي طرحون أسئلة ويخترعون نظريات وأجهزة، منذ روسو حتى استيفان هوبكنز والفيزيائيين الفلكيين الذين خاضوا في مجال ظل محرما، ألا وهو مصدر الكون، وتوصلوا إلى نتائج مذهلة.

هناك أيضا كتاب "البحث في التعليم" لنيكولا كونودورسيه وهو يضع خمسة مبادئ للتعليم، وهي حماية المعرفة من السلطات الدينية والسياسية، واعتبار التفوق كأعلى أشكال المساواة، أن لا يتم اعتبار التعليم العمومي تابعا للإرادات الخاصة والمنفعة القريبة المدى، وفي الأخير التعليم ليس للإخبار فقط وليس للإخضاع.

هاته المبادئ وغيرها هي التي قادت مغامرة عصر الأنوار، والتي جعلت من التعليم استثمارا استراتيجيا لا مجال فيه للارتجال والأخطاء، لأن أخطاء جميع القطاعات الأخرى يمكن تداركها، إلا التعليم، لأنه رافعة القطاعات الأخرى وعلى أساسه تم

تعميم العلوم، بل تبسيطها لتدخل حتى الحضانة وتم تدريس الفنون والموسيقى والرياضة، بالإضافة إلى الآداب والفلسفة، وكذا إعطاء نظرة عن أديان مختلفة بشكل متساوي في سبيل التربية على التعايش.

ما هو حال التعليم عندنا؟

باعتباري خريجة المدرسة العمومية المغربية وكأستاذة فلسفة لسنوات،

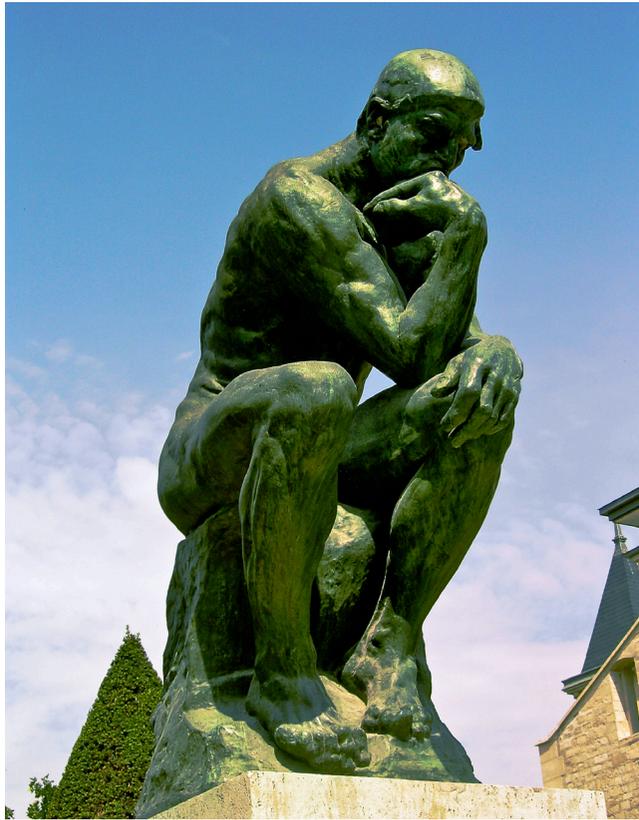
يمكنني أن أقول إن تعليمنا لا يتوافق نهائيا مع أي مبدأ من مبادئ الأنوار وبرنامجهما التربوي، يعتمد تعليمنا في جزء كبير منه على الحفظ في المواد الأدبية والدين، وتدريس العلوم يتم عن طريق الإخبار والتلقين الذي نهي عنه روسو وتم تعويضه بالتجربة أو ما يسمى بيداغوجيا "وضع اليد في العجين"، فأين هي التجربة في تدريس العلوم في مدارسنا؟ فالتجربة لا تمارس لا بالنسبة للحضانة ولا للابتدائي، فالطالب عندنا يلتقي بالتجربة في الإعدادي داخل

مختبرات العلوم الطبيعية والفيزيائية وما لها من المختبرات إلا الإسمت وبعض الأنابيب، في ظل غياب المعدات اللازمة، هكذا يضطر الأستاذ إلى إخبار التلميذ بالتجربة ونتائجها وهذا لا يخلق لا الفهم ولا الاستيعاب ولا يصنع علماء مغاربة مبدعين.

إضافة إلى هذا، فحكمة التعليم عندنا متواليّة من الارتجالات، تخضع لمنطق المدى القصير الذي نهي عنه كونودورسيه، فمثلا تارة اعتمد التعريب وتارة الفرنسية، دون رؤية استراتيجية بعيدة المدى تربط التعليم بالواقع الدولي وتطورات الفكر الإنساني، بدل ربطه باعتبارات قصيرة كالقومية واستهجان لغة المستعمر. باعتماده على الحفظ، يحول تعليمنا دون نشأة أهم ما في التعليم كما تصوره فلاسفة الأنوار ألا وهو العقل النقدي، فالطفل الذي يحفظ لا يفهم، لا ينتقد، لا يختبر قدراته الخاصة في مساءلة ما يحفظه، فما يحدث في دروس التربية الإسلامية الطويلة، من تلقين أعمى وحفظ غريب للقران، والذي استعصى حتى على جهابذة المفسرين جريمة في حق الطفل المغربي

وفي حق مجتمعنا، ويعاكس ما نريد لبلادنا بأن تلحق بالأمم التي نهضت من سباتها.

خلال هاته الحصص التي تشبه التعذيب النفسي، يغيب الحديث عن أي شكل ديني آخر، وهنا لا نربي على التسامح وفهم الآخر، ونربط التعليم بالسلطة الدينية والسلطة السياسية التي تعتمد على الدين كمشروعية، وهذا منافي لتوصيات كونودورسيه.



جامعتين أمر موجه لخلق ملكات النقد والوعي، بل هناك تضيق أيضا على العلوم الإنسانية منذ إغلاق معهد السوسولوجيا، رغم ما لدى العلوم الإنسانية من أهمية استراتيجية في فهم الظاهرة الإنسانية.

المؤسف له أيضا، هو عدم كفاية درس الرسم زمنيا ومن حيث الإمكانيات، لأن الرسم من أهم الدروس التي تهيكل تصور المكان والأحجام عند الطفل والبالغ أيضا، وهو من مقدمات التفكير العلمي ويتم التعامل معه في مدارسنا كفسحة عند البعض، وكعقوبة عند البعض الآخر، في حين ترصد له مدارس أوروبا

إمكانيات ضخمة وتنتج من معاهد تكوين الأساتذة أفواج منتظمة من معلمي الفنون. غياب الموسيقى من أسلاك التعليم، ليس كمنشأ موازي بل كمادة مقررة، هو أيضا من أسباب تخلف تعليمنا، إن الموسيقى ليست مضيعة للوقت، فالكون نغم وعدد وهذا فهمه الإغريق، قبل خمسة وعشرين قرنا.

من توصيات كونودورسيه جعل التفوق أعلى شكل من أشكال المساواة، وذلك لخلق حماس وتنافس نبيل بين المتعلمين.

وكذلك لخلق حماس وتنافس نبيل بين المتعلمين.

كيف يتم الاحتفاء بالتفوق في مدارسنا؟

شخصيا كنت تلميذة متفوقة طيلة تمارس وتلقيت نفس المنجد لسنوات عديدة وبعض الكتب التمجدية لبعض الشخصيات السياسية، فبيما أفادتني؟ ماذا فعلنا بالمتفوقين؟ ماذا فعلنا من أجلهم؟ كيف فرطنا في كفاءة مثل منصف السلاوي وغيره كثيرين؟

نلاحظ إذن كيف أن تعليمنا لا يحترم أيا من شروط الأنوار التي هي نموذج لكل التجارب التعليمية الرائدة في العالم، فإضافة إلى عوائق التعليم، تم إغراق المجتمع في شكل ديني يربى منه تربيينا خطر الإرهاب، وهذا التدين هو التصوف الطريقي، وكسليبة لطريقة صوفية اعترف بها يمنحه هذا الشكل العقدي من أمان روحي وصفاء وتسامح، لكن لا يجب أن ننكر أن هذا الشكل فيه إبطال للعقل والإرادة، ويسود بين ممارسيه التواكل والجزرية

وقبول الأوضاع بدل تغييرها، إن مهندسي التوجهات الثقافية والعقدية الكبرى للمجتمع تعيقهم الرؤية على المدى البعيد، فدعم التجهيل وإبطال العقل من أجل تجنب الإرهاب حساب قاصر، لأن الجهل هو الذي يسهل الإرهاب، فالجاهل سينقاد مع الإرهاب بسهولة فيما الذي يستخدم عقله سيصمد بل وسيحارب الإرهاب، لقد سألوا أنجيلا ميركيل "لماذا تستثمرين كل هاته الأموال في التعليم؟" ردت "لأن كلفة الجهل أكبر من كلفة التعليم".

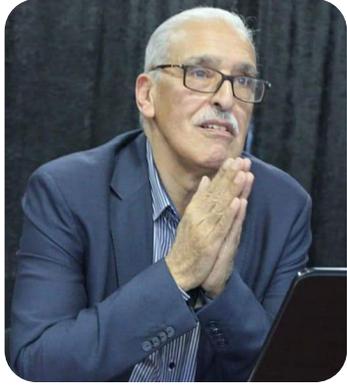
من مطالب الأنوار أيضا توفير جو من حرية الاعتقاد والضمير لكي يفكر المتعلم بحرية في كل الأشياء، فليس هناك أسئلة محرمة في العلم، وهذا شيء غائب في مجتمعنا ويتم قمع عقاب أي طفل يتساءل مثلا عن ماهية الإله ووجود الملائكة وغيرها من الثوابت الإيمانية، هذا العقاب يجمع التساؤل عند الطفل وحين ينطق السؤال يموت العلم.

نحن نعيش في مجتمع يقف على حدود احتقان شديد بين مغربين، مغرب التعليم العمومي ومغرب التعليم الخصوصي، تم إفراغ التعليم العمومي من قيمته المعرفية وتوجه الناس بشكل مكثف نحو التعليم الخصوصي، وهذا خلق قطعة اجتماعية بين الفئتين، فنلندا مثلا منعت التعليم الخصوصي منذ عقود، وهي الآن في قمة ترتيب الدول من حيث جودة التعليم، وفرنسا فيها تعليم خصوصي لكنه محدود جدا ويلجأ من يريدون الأبناءهم تربية دينية مسيحية أو يهودية أو إسلامية، فأولاد الوزراء في فرنسا يلجون المدرسة العمومية الجيدة.

نحن نسبح أيضا في نسيج معلومات مدمرة للعلم، فقد فتحنا أسواقنا لفكر داعشي متطرف، مثل دعاة نظريات الإعجاز العلمي التي توقف أي رغبة في التحصيل العلمي، فمادام كل شيء موجود في القرآن في نظره فما الحاجة إلى السعي وإلى علوم الغرب؟ كتب الخرافة هاته تنتشر في كل مكان، وتفتح مدرجات الجامعات لمحاضرين يفتون في النسبية وعلوم الوراثة انطلاقا من آيات يتم لي عنقها لاستخراج أشياء ليست فيها، أن الأوان ليصدر قرار سيادي باعتبار حماية العقول من الخرافة والتطرف، والانغلاق بنفس قيمة حماية الحدود، إن إقلاع ماليزيا الاقتصادي والتعليمي بدأ حين أغلقت حدودها أمام مثل هاته الأفكار المعطلة للعقل والتعليم. لنجعل من التعليم المبني على أنوار العقل حصانة لنا من أخطار الإرهاب وكل أشكال التخلف التي نخبع فيها.

من دروس كورونا حاجتنا إلى حلفاء المدرسة والجامعة العموميتين

♦ عبد اللطيف اليوسفي



لكننا اليوم أمام طفرة قوية، ولخطونا خطوة جبارة نحو الجودة المطلوبة. غير أن العديد من الأطراف لم تتحمل مسؤولياتها كاملة بحيث بقي قرار التربية أولوية وطنية بعد قضية استكمال التراب الوطني قرارا بدون التزامات عملية من كافة

المؤسسات والجهات بما فيها سياسات الوزارات المتنوعة التي لم تتمحور بالشكل المطلوب حول التربية الوطنية/الأولوية الوطنية. إضافة إلى غياب مطلق لسياسات حكومية مندمجة و متمحورة حول التربية والتكوين. وبالتالي لم يكن إصلاح التعليم همّ الحكومة أو همّ الجماعات المحلية ومجالس الجهات أو همّ الأحزاب أو همّ النقابات أو الجمعيات إلا لماما وناذرا، والناذر لا حكم له.

فالحديث عن المدرسة المغربية المأمولة لا ينفصل أبدا عن التعبئة الوطنية الشاملة لحلفاء المدرسة والجامعة العموميتين.

كما لا ينفصل عن ضرورة التفكير في مستلزمات تطوير هذه المدرسة؛ وإبداع السبل الكفيلة بإحلالها المكانة التي تستحقها. ولن يتم ذلك إلا مقرونا بتطبيق مبدأ التعبئة الشاملة الذي يعتبر مفتاحا أساسيا، وسكة موصلة إلى محطة الجودة التي ينتظرها الجميع، تلك المحطة التي ستكون من دون شك- نقطة انطلاق نحو التنمية الشاملة للبلاد.

إن الفرصة الذهبية التي تتيحها لنا جائحة كورونا اليوم لمصلحة المدرسة العمومية المغربية تستلزم من كافة الأطراف تحمل المسؤولية التاريخية لمساعدة هذه المدرسة على استرداد مكانتها وموقعها وإشعاعها، ولا شك أن الطاقات

الهائلة التي تحتجزها المدرسة والجامعة العموميتين المغربيتين، سواء طاقات التلاميذ والطلبة أو طاقات المدرسين والإداريين قادرة على أن ترفع مؤسستنا إلى موقع المؤسسة المنافسة والجاذبة والمتعددة الأساليب المرجوة.

إن الفرصة اليوم أضحت سانحة لجميع حلفاء المدرسة والجامعة العموميتين. أولا لحياتها من الهجمات غير المسؤولة من الجهات التي تدس السم في العسل، وتسوغ الطعن في المصادقية بخطاب ظاهره غيرة على المؤسسة، وباطنه القضاء على ما تبقى من صورتها الصامدة. وثانيا لدعمها بكل الوسائل والاقتراحات والإسهام في تجاوز كل الكبوات والاختلالات، والانتصار على كل الإرغامات التي تعاني منها المؤسسة العمومية سواء من داخل بناتها أو من خارجها.. لتستطيع العودة القوية إلى وظيفتها الطبيعية والمفترضة في تقديم تعليم جيد ومجاني وإلزامي لكافة بنات وأبناء الشعب المغربي.

♦ عبد اللطيف اليوسفي - عضو المكتب السياسي للاشتراكي الموحد - عضو الهيئة التنفيذية لفيدرالية اليسار - مدير أكاديمية سابقا

وظرفية دقيقة مست سمعتهما في الصميم. غير أن ما يقع اليوم في زمن جائحة كوفيد 19 قد فتح الباب من جديد لعودة الروح إلى وعي المجتمع بأهمية مدرسته العمومية وهي أمه الحنون. ويجد هذا الوعي الجارف نفسه اليوم أمام احتمالين:

• إما أن يوظف هذا الوعي الجديد خير توظيف لفتح أفق التصحيح المطلوب ومعالجة الاختلالات - التي لا ينكرها إلا جاحد- وبالتالي نستثمر المرحلة بحس وطني عال لفتح الغد الواعد باسترجاع الثقة في المؤسسة العمومية باعتبارها رهان التقدم وقاطرة التنمية المستدامة.

• وإما أن يُساء توظيف هذه المرحلة لإعدام ما تبقى من الأمل، وتكسير مجاديف زوارقنا وإغراقها في وهم سحابة صيف سيقع انجلاؤها مزيد من النقد الأعمى الذي يلصق بالمؤسسة التعليمية كل مشين.

ليس الغرض هنا -كما قد يتوهم البعض- أن ندفع في اتجاه التغاضي الجبان عن الاختلالات والكبوات ومناحي القصور المتعددة التي نعرفها حق المعرفة ونعيها كل الوعي. وقد سبق لعدة بيانات وبحوث وتقارير وطنية أن وقفت عندها مليا، ونهت إليها في حينها من باب المسؤولية، كتقرير 2004 للجنة الخاصة بالتربية والتكوين الذي لم تعطه العناية التي كانت ضرورية آنذاك بعد أربع سنوات على تفعيل الميثاق !،

تجمع الكثير من البحوث والتقارير والآراء أن جائحة كورونا، إلى جانب آثارها المأساوية، مثلت لحظة سانحة لإعادة ترتيب الأولويات. وطرح السؤال العميق: "أفلا يدعونا هذا الوضع المستجد إلى تبني تفكير مغاير، واستبدال نسق تفكيرنا ومفاهيمه المؤطرة؟؟ بحيث يتوجه تفكيرنا الجماعي إلى ما هو إنساني بامتياز؟ وإلى تثبيت القوة الجبارة والواعد للبحث العلمي الإنساني؟ وإلى خدمة المصلحة المرفوعة على أعمدة الاقتصاد الإنساني -الذي يستحضر مصلحة الإنسان أولا"، وهو مقتطف من رسالة د.محمد بنسعيد آيت إيدر. وقد استخلصت الكثير من الشعوب -ومنها الشعب المغربي- العديد من الدروس منها وفي مقدمتها: ارتفاع أصوات كثيرة وقوية من أجل إعادة وضع قطاع التعليم والبحث العلمي في صدر الأولويات المستقبلية. فقد كان قطاع التعليم أول وأهم القطاعات الحيوية التي حظيت باهتمام المسؤولين؛ وأول المجالات التي شملتها الإجراءات الاستباقية. وذلك بالنظر إلى العديد من الأسباب الموضوعية المتعلقة بصيانة صحة التلاميذ والأطر.. وذلك للأهمية البالغة التي يكتسبها القطاع، والخيوط القوية التي ينسجها في تجاويف المجتمع.. بل إن الكثيرين انتهوا أخيرا إلى المؤسسة العمومية وأدوارها؛ سواء في الصحة: حيث هرع الناس إلى مظلة وحضن المستشفى العمومي يطلبون حمايته من هجوم

وباء فتاك. كما التفت البعض أخيرا -بعد تنكر طويل- إلى أهمية المدرسة العمومية في تزويد الأوطان بالأطر الصحية الكفؤة والقادرة على حماية الإنسان في لحظة خوف وضعف.. وبذلك تكون الصحة والتعليم "هما المجالان اللذان أظهرت هذه الأزمة المستجدة حاجة الأوطان إلى الاستثمار فيهما بقوة وبنفس مستمر وبعيد المدى". (نفس الرسالة).

وفي عز الحجر الصحي التفتت الأسرة المغربية إلى تعليم أبنائها -حتى لا أقول تربيتهم- وهرع مسؤولو القطاع إلى تأمين "استمرار الدراسة" بما سمي تعليما عن بعد، بما له وما عليه. واتضح بما لا يقبل الشك أن المدرسة والجامعة العموميتين

ووسائل الإعلام العمومية أقدر من غيرها من المؤسسات الخاصة - إلا نادرا والناذر لا حكم له - على تقديم الخدمات التعليمية عن بعد ولو في حدها الأدنى، وخاصة لمن أسعفتهم إمكاناتهم المادية على هذه الاستفادة التي زادت الفوارق حدة. وبرزت في خضم التحولات التي يغلي بها المجتمع أسئلة الاستغلال الذي تتعرض له ميزانيات الأسر من غالبية مؤسسات التعليم الخصوصي. وانبثقت فكرة جوهرية وثورية تقضي بالعودة الجماعية إلى المؤسسات العمومية ومساعدتها على القيام بمهامها على أكمل وجه. وهنا ظهرت الحاجة الملحة لشحن حلفاء المدرسة والجامعة العموميتين. وهي فكرة طالما نادينا بها منذ سنوات لتطوير الترافع المجتمعي على المدرسة العمومية، والدفاع عنها، وحمايتها مما يحاك حوالها من مخططات جهنمية ترمي القضاء عليها؛ وحملات قوية ومنظمة للإجهاز على صورتها -التي وقرت في الأذهان- باعتبارها قناة العلم، وموحدة القيم، ومجال الاختلاط الطبقي والفئوي وسلم الترقى الاجتماعي.

والنتيجة الحتمية لتلك الهجمات والمخططات الطويلة النفس أن مدرستنا وجامعتنا العموميتين مرتا من مراحل حساسة جدا



من أجل حوار قطاعي بوزارة التربية الوطنية ممأسس وفاعل ومنتج

♦ د. محمد خفيفي



سمحت جائحة كورونا بعودة النقاش حول التعليم ومخالف ومغاير لما عهدناه سابقا، وقد سجلت العديد من المنابر الإعلامية زخم هذا النقاش الذي شارك فيه كل المهتمين القريبين من القطاع وحتى المتطفلين

عليه، بشكل بين أن المسألة التعليمية هي في حاجة اليوم لنقاش مجتمعي يحدد الأولويات ويوضح الأهداف المتبغاة ويضع خارطة طريق متواقف حولها تسمح بالانطلاق الفعلي نحو إصلاح من شأنه أن يتجاوز الاحباطات والخيبات التي منيت بها المنظومة من خلال التجارب السابقة سواء تعلق الأمر بالميثاق الوطني أو البرنامج الاستعجالي أو ما نعيشه اليوم من تنزيل للقانون الإطار. ولسنا بحاجة إلى التذكير بمختلف التقارير الوطنية والدولية التي وقفت على مكامن الخلل والأعطاب الظاهرة والمبطنة التي تعترى نظامنا التعليمي وكشفت إخلافنا لانطلاق حقيقة تعيد الاعتبار لمنظومتنا وتهيبنا لاقلاع تربوي يكون داعما لنهضة وتنمية منشودة نخرط بها في الثورة المعرفية التي يشهدها العالم والتي لا تقبل بالتخلف عن الركب والركون إلى المراتب المتأخرة في التعليم. لذلك نعتقد أن الجائحة يجب أن تكون مدخلا لإعادة النظر في عدد من القضايا المرتبطة بالتعليم وقضاياها، وأن تفتح أوراش حول كل ما له علاقة بالتعليم من قريب أو بعيد من أجل توحيد التصورات وإغنائها، والانطلاق دون، مضیعة للوقت، من أجل التنزيل والانخراط الكلي والمجتمعي، من أجل تعليم عمومي جيد، قوي متماسك، حديث، ديمقراطي يحقق تكافؤ الفرص ويبنى كفاءات الغد التي ستواجه عالما معقدا ومتشابكا تتداخل وتتعارض فيه المصالح وتلهث وراء احتكار المعارف والمنافع الاقتصادية.

لقد كان الهم الأساسي في بداية انتشار الوباء هو ضمان استمرارية التعلم وعدم خلق قطيعة بيداغوجية بين المتعلمين والمدرسين وهو ما حدا بالوزارة إلى التعجيل باتخاذ قرار التعلم عن بعد كخيار استراتيجي تجند الأساتذة والأساتذات بإمكانياتهم الذاتية لإنجاح المشروع رغم ما رافقه من انعدام تكافؤ الفرص واختلاف في التلقي تحكمت فيه ظروف اقتصادية ومجالية واجتماعية. ومع استمرار الوباء بدا أن إشكالية إتمام السنة أصبحت مطروحة وتفترض تدخلا وحلا وهو ما حدا بالوزارة إلى فتح استشارة مع النقابات التعليمية الست الأكثر تمثيلية ليتم التوصل والتوافق حول الصيغ المعروفة الآن المرتبطة باجتياز امتحانات البكالوريا وتحقيق وضمان السلامة للمتعلمين ولكافة العاملين بالقطاع، وإرجاء امتحانات أخرى إلى شهر شتنبر القادم وإعطاء الصلاحيات لمجالس الأقسام في تدبير عملية النجاح بالنسبة للمستويات الغير إشهادية....

في هذا السياق ظل الصوت النقابي حاضرا من خلال البلاغات والبيانات التي نشرتها النقابات التعليمية مطالبة بعدم جعل ظرفية كورونا عائقا أمام تدبير ملفات قطاع التربية الوطنية. فقد لاحظ كل المتابعين بأن تدبير عدد من الملفات أصابه الشلل، وقد عمدنا كجامعة وطنية للتعليم، الاتحاد المغربي للشغل، في بياننا الأخير إلى المطالبة باستمرارية الادارة وعدم توقفها وعدم اقتصارها على برمجة الدروس عن بعد، وهكذا ذكرنا بأن إخراج المراسيم التعديلية التي تم التوافق حولها يجب أن يرى النور ولا موجب للتأخير الذي يعكس سلبا على كل المعنيين بهذه المراسيم ونعني بها:

ملف الإدارة التربوية سواء المتعلق بالإسناد أو المسلك

ملف المكلفين خارج سلكهم

ملف الترقى بالشهادات



ملف التوجيه والتخطيط

يجب أن نقر أن المسار الذي انتهجته الوزارة مع شركائها الاجتماعيين كان عائقا أساسيا في بلورة تصور شامل نسهم من خلاله جميعا في التعبئة الوطنية من أجل المدرسة العمومية، فالوزارة خلقت وضعا مستعصيا الأهم فيه هو فقدان الثقة بين كل مكونات العملية التربوية، وفي مقدمتهم الحركة النقابية التعليمية... لقد أقمنا في دوامة الانتظار لمدة سنوات كان من الممكن استثمارها لجعل المدرسة في قلب اهتمامنا وشارك الجميع لرفع هذا التحدي ولكن مع الأسف الشديد الوزارة الوصية اختارت نهجا مخرجاته اليوم هو ما نراه ونعانيه.

في السياق الذي نتحدث فيه نؤكد أنه أن الأوان أن تعيد الوزارة، انطلاقا من المستجدات التي أفرزتها كورونا، النظر في آليات اشتغال الحوار القطاعي، فقراءة نقدية لمساره تبين التعثر المنهجي الذي صاحبه ورافقه لمدة سنوات طوال، يكفي أن نشير إلى واقع القانون الأساسي الأسير بدهاليز الوزارة منذ 2013 إلى اليوم دون أن تتمكن النقابات حتى من مسودة للاطلاع وإبداء وجهة النظر، مع العلم أن هذا القانون من شأنه أن يرفع الاحتقان عن عدد من الفئات المناضلة اليوم من أجل حقوقها المهضومة، لذلك المطلب النقابي بالإسراع بإخراج نظام أساسي عادل ومنصف وموحد، له راهنته التي ستسمح بتصفية الأجواء لخلق دينامية تسهل عمليات تنزيل القوانين المرتبطة بالإصلاح.

الحاجة ماسة اليوم أكثر من أي وقت مضى للتفكير في مأسسة الحوار القطاعي، ليس بإيعاز من رئيس الحكومة، كما في رسالته الأخيرة الموجهة للوزراء، ولكن كضرورة ترتبط بإرادة مشتركة بين الجميع لتجاوز التباطؤ الذي يعرفه تدبير عدد من الملفات التي تصل إلى 22 ملف كلها في غرفة الانتظار، وعلى رأسها ملف الأساتذة الذين فرض عليهم التعاقد، ومنها المرسوم التعديلي الخاص بالمساعدات الإدارية والتقنيين، والدكاترة العاملين بقطاع التربية الوطنية، وملفات: المقصيين من خارج السلم ومن الدرجة الجديدة، الملحقون التربويون وملحقو الاقتصاد والإدارة، العرضيون سابقا، المبرزون والمستبرزون، أطر التسيير المالي والإداري، المفتشون، والممونون، ضحايا النظامين فوجي 93 و94، أساتذة الزنزانة 10، أساتذة العاملين بالخارج، التقنيون والمتصرفون والمحرمون والمهندسون، المرسبون والمعفيون، الأساتذة العاملين بمختلف مراكز التكوين التابعة لوزارة التربية الوطنية المربيات والمربيون للتعليم الأولي، أساتذة اللغة الأمازيغية....

فئات عديدة تنتظر الإنصاف ورد الاعتبار ولا يمكن إنجاز ذلك

إلا ضمن مسارين متكاملين: إخراج النظام الأساسي بالشكل الذي يتجاوز الثغرات السابقة، وبلورة تصور جديد للحوار القطاعي تتحكم فيه إرادة سياسية تؤمن بأنه لا مجال اليوم للتأخر وهدر الزمن التربوي على اعتبار أن الرهان الأكبر هو ربح معركة التعليم بالحد من الهدر المدرسي المرتفع الذي يجعل العديدين يغادرون المدارس بدون رجعة، والانخراط في الثورة المعرفية التي يشهدها العالم وتثبيت دعائم مدرسة عمومية متطورة ديمقراطية يتشرب فيها الجميع قيم المواطنة الحقة، كقيلة بتهيءنا لمواجهة التحديات المستقبلية في عالم تسوده المنافسة والصراع. والدفع بتعليمنا نحو المدرسة الذكية الحاضرة للرقمنة والمتملكة للوسائل التكنولوجية المتطورة التي تساهم في تفتح المعارف وتطوير المهارات والكفايات بمنهجية علمية تستفيد من تطور النظريات التربوية الحديثة.

إن هذه القناعة رديفة فهم أن الموارد البشرية في قطاع التربية الوطنية هي رافدة الإصلاح، هي جسره، وهي المعول عليها في تنزيله وإنجاحه، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا برد الاعتبار لها والاهتمام بها. لا بد من الانتباه إن القاعدة الأساسية لمواردنا البشرية اليوم هي شابة بحكم الأعداد الكبيرة التي يتم توظيفها، وهو معطى يجب استحضاره في كل مقاربة وفي كل توجيه، ومعنى ذلك إعطاء التكوين المستمر والتأطير ما يستحقان من عناية ومن جدية تتجاوز الأخطاء والهبوات التي ارتكبت سابقا وجعلت التكوين المستمر بدون جدوى. وقد انتبه القانون الإطار إلى ذلك في مادته السادسة والثلاثين "يتعين على السلطات الحكومية ومؤسسات التكوين المعنية أن تعمل على مراجعة برامج ومناهج التكوين الأساسي لفائدة الأطر العاملة بمختلف مكونات منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي ومستوياتها، بقصد تأهيلهم وتنمية قدراتهم، ورفع من أدائهم وكفاءتهم المهنية...."

وإذ نتمن الجهود المبذولة على صعيد رقمنة الموارد البشرية وتسهيل الخدمات المقدمة لنساء ورجال التعليم (البوابة الإلكترونية) بفضل جهود العاملين بالموارد البشرية، وبسبب الانخراط في دعم تفعيل الجهوية من خلال الصلاحيات المقدمة اليوم للأكاديميات الجهوية في تدبير عدد من القضايا ذات الارتباط المباشر بالموظفين والموظفات، فإن العمل المركزي يبقى أساسيا وموجها باعتبار اختصاصاته، وعليه الاعتماد في بلورة منهجية تختار المأسسة والحكامه في تهيء الأجواء لإقلاع تربوي تكون قواعده "المسؤولية والشفافية والترشيد والتنسيق".

إصلاح التعليم العالي بين الضرورة والارتجال

إن العالم يعيش على إيقاع جائحة كورونا الذي يسير على خطى أسلافه، وي طرح حلولاً مؤقتة ولا يقينية، والمؤكد أن النموذج القديم لتدبير المعلومات أصبح متجاوزاً، مما يتطلب إصلاحاً جوهرياً في طرق التفكير والتدبير السياسي فيما يخص موضوع التعليم وفي البحث العلمي. فلمواجهة كوفيد 19، أعلنت بلادنا حالة الطوارئ الصحية ومنع السفر وتم إيقاف التعليم، وعمل المغرب على استمرار العملية التربوية باعتماد مبدأ الاستمرارية البيداغوجية وذلك على أساس تعويض التعليم الحضوري بالتعليم عن بعد، فما هي أخطاب التعليم العالي التي تتطلب معالجة مستعجلة؟

♦ محمد حمزة



مهمتها الأساسية هي الإعداد لسوق الشغل فقط، في غياب إستراتيجية تشغيل كاملة ومتكاملة، وسرعة تغيير احتياجات سوق العمل، ونقص في البيانات المتوافرة من قبل السوق، وانعكاس ذلك على استجابة مؤسسات التعليم لاحتياجاته، ذلك على استجابة مؤسسات التعليم لاحتياجاته، و ترميم الأعطاب اللغوية في غياب توفير كتلة مهمة من الإمكانيات المادية والبشرية من طرف الحكومة، وفي غياب تقييم شامل للتغيير الذي وقع في ميدان التعليم في الثمانينات والذي سمي تعريفاً.

هناك إذن حاجة لنقاش عمومي ولتعاقد وطني حول المدرسة والجامعة العموميتين، ولإصلاح للتعليم العالي يعتمد الشمولية، أي ربط الشكل بالمضمون على الصعيد التربوي، والهدف بالوسائل على صعيد التكوين، والدمقرطة والفعالية على صعيد البنيات، وربط التكوين بالبحث العلمي والرفع من ميزانيته، وإلغاء الضريبة على البحث العلمي، واعتماد العدالة المجالية في توزيع الجامعات على التراب الوطني، بحيث تتوفر جميع الجامعات على جميع التخصصات.

وفي الأخير، فهناك أيضاً حاجة ملحة لقانون أساسي يكرم هيئة البحث والتدريس ويحقق الجودة ويحسن الوضعية الاجتماعية للطلبة ويضمن المجانية، بحيث يكون التعليم العالي محفزاً بمكافأة الامتياز والإنتاج العلميين وجذاباً للطاقات الهائلة للحد من هجرة الأدمغة، ويعيد الاعتبار لدور الجامعة كمحرك للتنمية وفضاء للتكوين والتأطير والتشبع بقيم المواطنة والديمقراطية، ومشتلاً حيوياً لإنتاج فائض القيمة العلمية والمعرفية والصناعية، والتأكيد على الخدمة العمومية للتعليم العالي من أجل التنمية والتأهيل الشامل.

لهذا فبداية البدايات هي ثورة معرفية تمكن الجامعة الوطنية من أن تندرج إيجاباً في المستويات الحالية للمعرفة الإنسانية. إذن الأسبقية هي لإصلاح المضامين قبل إصلاح الآليات التقنية للتأطير والتكوين. فنجاح الإصلاح في حاجة إلى ثورة معرفية، ولا ثورة معرفية بدون ثورة في المضامين وبدون مساءلة الحقوق المعرفية التي تجسد المضمون أي مضمون المعرفة، لذلك فشلت الإصلاحات السابقة لأنها تقنية محضة، وكل ما تفرع عنها في شكل توجهات "بيداغوجية" غريبة عن الحقوق المعرفية التقليدية.

ولا بد من استحضار التوافق الوطني المنتج، والتصور الوطني الحديث المتمركز على الإنسان وعلى سيادة العلم والمعرفة.

التدريس والبحث و النقابة الوطنية للتعليم العالي. و طبق الإصلاح البيداغوجي نظام (LMD) إجازة - ماستر - دكتوراه، بدون نقاش، وسنة قبل تطبيقه في فرنسا، وبدون إمكانيات مادية وتربوية (المناصب المالية، التجهيزات، ميزانيات التسيير، البحث العلمي...)؛ النتيجة كما كان متوقعا بعد سنوات من التجريب، أن ما تغير هو فقط نظام الامتحانات وتمديد شكلي للسنة الجامعية. ومما أن مضامين البرامج لم تساءل، ومما أن شروط التكوين لم تتحسن بل بالعكس تدهورت، ومما أن بنيات البحث العلمي لم تتعزز، ومما أن الهياكل المؤسسية لم تتدمقرط بالرغم من شكلية اللجان الانتقائية لرؤساء الجامعات، فان الواقع الجامعي أضحى غرساً يغالب الموت.

بعد فشل "الإصلاح"، وبدل طرح المنظومة للنقاش العمومي تم ترجيح السياسة التقنوقراطية التي أنتجت برنامجاً استعجالياً غاب عنه الانسجام والرؤية الإستراتيجية، وفرض إجراءات لا



علاقة لها بالواقع. النتيجة كانت هدر المال العام وتوحيش الرأي العام لقبول جامعات وطنية وأجنبية مؤدى عنها. بعد ذلك، جاء البرنامج الحكومي 2016-2013 المفتتق بالنموذج النيوليبرالي، وأصبحت الخصوصية اختياراً إستراتيجياً في قطاع التعليم وتغيير الفضاء الجامعي إلى جامعات خمسة نجوم لأبناء الطبقات الغنية، وجامعات ذات الولوج المفتوح آيلة للسقوط لبنات وأبناء أصحاب الدخل المحدود. إن سياسة استنابات الجامعات الخاصة الأجنبية والتكوينات المؤدى عنها تحت غطاء ما يسمى بـ "الشراكة غير المربحة" كبديل للجامعة العمومية هو مس بالتماسك المجتمعي وتهديد للشعور بالانتماء الوطني وضرب للسيادة الوطنية وخطر يهدد الجامعة الوطنية العمومية و تمييز طبقي و جامعي فاضح.

بالنسبة للإصلاح الجديد الذي تبناه اللقاء الوطني للإصلاح المنعقد بمراكش 2 و 3 أكتوبر 2018، فهو إصلاح أحادي وتجزئي لا يختلف عن الإصلاحات التقنية السابقة. يطبعه التسرع والارتجالية والإشراك يبقى مجازياً؛ وبدون تقييم شامل وشمولي، ويقف عند إصلاح الإجازة. الإصلاح استبطن الخطاب الاقتصادي للتعليم، ورفع شعار ملائمة التعليم مع سوق الشغل، وكأن الجامعة

الجامعة، أما بين الكليات فحدث ولا حرج. إن تاريخ إصلاحات التعليم العالي هو تاريخ الإخفاقات أو تاريخ الفرص الضائعة، حسب تعبير المناضل الأستاذ سي محمد بنسعيد. فرغم تعاقب الإصلاحات فلزال الفضاء الجامعي خاضعاً لتزتيبات عميقة تهدف إلى تصفية الجامعة العمومية. فالتعليم العالي العمومي لا زال ينظر إليه من وجهة نظر مالية صرفة، والبحث العلمي لا زال مجرد نشاط هامشي ومعزول عن استراتيجيات التنمية، والكليات ذات الولوج المفتوح أصبحت فضاءات لحشر أبناء وبنات الأسر ذات الدخل المحدود، في حين أضحى الأساتذة الباحثون بالجامعة المغربية، بحكم النظرة الرسمية، مجرد مستخدمين يتقلون كاهل ميزانية الدولة.

غياب المشروع المجتمعي والنظرة الشمولية أنتج إصلاحات تقنية وتقنوية للتعليم العالي، تحمل في أحشائها شروط الفشل. فالتقنوقراطية المغربية التي تتعامل بالنظرة القصيرة المدى وبتوصيات

من المؤسسات المالية، همشت قوى المجتمع. فالطالب(ة) والأستاذ(ة) والنقابة الوطنية للتعليم العالي، كانوا الأكثر تهميشاً في جميع المحطات التاريخية للإصلاح.

فإذا كان ظهير 25 فبراير 1975 المتعلق بالجامعة، أول إطار قانوني للتعليم العالي حدد اختيار المغرب الأخذ بالنموذج الفرنسي الذي جعل من الجامعة وحدة أساسية، وباستقلالية شكلية للجامعات على المستوى الإداري أو المالي أو العلمي أو البيداغوجي، فانه لم يولي اهتماماً كبيراً لمصادر التمويل، ومع تزايد عدد الطلبة زادت نفقات التعليم العالي والتي ستعمل الدولة على تقليصها انسجاماً مع إجراءات سياسة التقويم الهيكلي.

وبعد القولة الشهيرة للملك الحسن الثاني: "السكنة القلبية"، والاستجابة التبعية لتقرير البنك الدولي لسنة 1995، الذي كان هدفه الحد من ولوج بنات وأبناء المغاربة للتعليم العالي، تقليصاً للنفقات وخدمة للمديونية الخارجية، أتت حكومة ما سمي بالتناوب التوافقي، وما تلاها من سياسات الخصوصية، وسيتم لأول مرة تسطير "مساهمة الأسر" وإلغاء المجانية في أوراق الميثاق الوطني للتربية والتكوين. وجاء القانون 01-00 المنظم للتعليم العالي الذي ناهضته هيئة

كان اللجوء للتعليم عن بعد كمارسة استثنائية وبدون تصور ولا برنامج يجيب عن الفوارق المجالية والاجتماعية، وفي غياب شرط توفر كل طالب أو طالبة على الحاسوب والانترنت بصيب كاف. فمن الأعطاب الأولية للتعليم عن بعد غياب الدعم الاجتماعي للطلبة لمواكبة هذا النوع من التعليم من جهة، وكذا عدم تعميم الكهرباء والأترنت في القرى والبوادي المغربية، مما عرى عن حجم الهوة بين المنحدرات الطبقية للطلبة. إن رفع تحديات كورونا وتحديات الثورة المعرفية والتكنولوجية وتحديات العولمة، يحتاج إلى جامعة وطنية حيوية ومنتجة، وإلى وسط جامعي يلعب كل أدواره الأكاديمية بدقة وصرامة، ليقود من جهة إلى انخراط البلاد في الثورة المعرفية الكونية، ولیمارس من جهة ثانية وظيفته النبيلة كضهير نقدي للأمة، ولا ريب في أننا أمام مشهد للتعليم العالي يعكس أزمة بنيوية عميقة على المستويات الهيكلية والمؤسسية والعلمية والبيداغوجية، تتطلب تحديد المشروع المجتمعي البنيوي والديمقراطي.

لقد مرت 61 سنة على إنشاء أول جامعة وطنية، ولازلنا نعيش تعليماً جامعياً سلطوياً ومبلقاً (موزعاً على 18 وزارة) واستقلاليته شكلية، وبدون فعالية وفي غياب حكمة ديمقراطية وتدبير استراتيجي، وتغييب تفعيل مبدأ المسؤولية والمحاسبة. كما أن وصاية وزارة المالية تساهم في ترسيخ تدبير مالي بيروقراطي يعيق الاجتهاد والابتكار وذلك بسن المراقبة القبلية الغير منتجة. فالهدر الجامعي في ارتفاع، إذ أن أكثر من ربع الطلبة يغادرون في السنة الأولى، وأقل من ثلث الطلبة يحصلون على الإجازة. كما أن ضعف البنية التحتية (مدرجات، قاعات، الأشغال التطبيقية، المكتبات...) أنتج اكتظاظاً غير مسبوق أصبح عائقاً أمام جودة التعليم العالي، مما أدى إلى قرارات ارتجالية بتقليص ساعات الدروس والأشغال التطبيقية والتوجيهية، وزيادة على مشاكل الاكتظاظ، هناك أيضاً عجز في التمكن اللغوي وفي التكنولوجيا الحديثة للتدريس وضعف وسائل الاتصال والإعلام والرقمنة.

فإذا كان الاكتظاظ نتيجة لضعف بنية الاستقبال في الجامعة الوطنية، فإن عدد الطلبة في التعليم العالي، والذي لا يتجاوز 900 ألف طالب وطالبة، يبقى جد ضعيف مقارنة مع عدد الطلبة في الجزائر مليون و 700 ألف طالب. و نسجل أن نسبة الطلبة في سلك الماستر لا تتعدى 5 في المائة، وعدد أقل يلج سلك الدكتوراه وأغلبهم يغادر بدون الحصول على الدكتوراه، نظراً لأوضاعهم الاجتماعية المزرية.

وللتذكير فجغرافيتنا الجامعية تدرج في إطار تصور فرنسي لحقول معرفية لما قبل سنة 1968. وقد تغير التصور الفرنسي للمعرفة وحقولها عدة مرات ولم يتغير التصور المغربي للحقول. لذلك طبقنا (إجازة - ماستر - دكتوراه) بصيغ متعددة، تختلف من مؤسسة جامعية لأخرى داخل نفس

رهان التعليم بالمغرب بين الوطني والدولي

♦ د. حميد المصباحي (باحث في قضايا المعرفة والفلسفة)

الكنيسة الذي أعد آليات أكثر عنفا من عنف الأساطير التي هزمتها العقلانية اليونانية، فكان لزاما انتظار مرحلة الأنوار وقبلها النهضة كمهد لها، مما يعني أن التعليم، منذ القدم كانت تتدخل فيه القوى العظمى، وتسعى به لفرض وجودها وقيمتها، فهل لا زال هذا الرهان قائما؟ ما هي غاياته، وهل هناك استراتيجيات وطنية مستقلة عما هو دولي وأممي؟ هل هناك سياسة وطنية منتجة لفكر تعليمي خاص بها، رهانا غايات وبيداغوجيات؟

بالكتابة انتقل الفكر الإنساني إلى مراحل جديدة في وجوده، الفردي والجماعي، إذ تأكدت ضرورة تطوير مكتسبات الكائن البشري وفق قواعد جديدة، تستحضر أهمية التجارب في التعلم، وضرورة وجود منهج يؤكد التواصل ويذهب به نحو هدف محدد مسبقا، بدل انتظار صدف التعلم من السماء، عن طريق الخارقين والمفارقين من الحكماء، بذلك كان لزاما على البشرية أن تتعلم من بعضها، قابلة بالاستفادة من أخطائها، التي لم تعد خطايا موجبة لعقوبات وعقاب الآلهة، لكن هذه المرحلة لم تكن كافية، بل تم السطو عليها من طرف مؤسسات بديلة، خنقت العقلانية اليونانية، وانتصرت لفكر



♦ د. حميد المصباحي

البعض أن هذه إكراهات كانت ملازمة لبنيتنا الفكرية والثقافية والفقهية، ليكون ذلك، فإن التغلب عليه لا يحدث إلا بالانفتاح على الكوني علما خالصا وفنونا وثقافة، وإذا ما استوعبت مؤسسات التعليم والتربية هذه الرهانات ومضت فيها بعيدا، فإن الحرج حتما سوف يخف وقد يتراجع.

خلاصات

كما ورد في التقديم، فنظريات التعلم ليست مجرد توجهات أو مقاربات، بل نظرة للإنسان، نتجت عن تعريف له، فهو إما معارف، أو سلوكيات أو بناءات عقلية عاطفية، أو بنية تفاعلية مع محيطها ومجتمعها، وكل رؤية هنا تحيل على بيداغوجيا، وأيضا مقارنة أنتجت هذه الحضارة أو تلك، وليس هنا مشكل القبول أو الرفض، غير أن عدم القبول يحرج بالسؤال عن البديل، كما أن القبول يسائل درجات الفهم والتفهم وضرورة التطوير حتى لا نظل مكررين لما قبلنا به، تطوعا أو اقتناعا أو حتى تشبها وتشبعا.

في الحفاظ على ما هو خاص، أي تقليدي لضمان التوازن بين الجديد، المفروض والعتيق الثقافي ليتحرك تلقائيا ويقتنع بما كان يرفضه سابقا، من قبيل تجديد بعض تجليات أشكال التدين وعدم المبالغة فيها كوسيلة وحيدة للإدماج والاندماج الثقافي في الممارسة التعليمية التعليمية.

3 بيداغوجيا التكيف

الممارسة البيداغوجية في المغرب، اتجهت نحو الكفايات، مما تحتمله من أهداف في الأخير، لأن مقبوليتها تطورت، يمكن اعتبارها كفايات، طبعا هي عرضانية مشتركة بين كل المواد، لكن هذه الكفايات حتى عندما نستهلها بما عرف بالوضعيات المشكلات، نجدها تصطدم بعقلية المتعلم، فهو ليس أمريكيا، يعشق المغامرة، ويصر على الفهم، فقد قيل له، لا تسأل كثيرا، لأن السؤال شبه محرم، وهو خجول من ذاته، وبسبب ذلك، يكاد صوته يزعه في المعرفة، ويفتخر به في الصراخ كشاب أو يافع وربما حتى كطفل، طبعا الكفايات لها قيم، تتفاعل مع غيرها بالاحتواء والتفهم، وحتى التقدير، لكن هناك قضايا تترك قصديا في المغرب للاجتهاد وحتى غض الطرف، لأنها موضوع تجاذبات اجتماعية وحتى سياسية بين الفاعلين، هذا شيء مفهوم، وإن لم يكن مقبولا، فاختياراتنا تخاف الوضوح، وتعمل على حفظ التوازنات، بين الجديد والقديم، الدولي والوطني، الفكري والجسدي، الفني الهادف والفرجوي الساخر، وربما حتى بين الجهالة والمعرفة، وكأننا لا نريد الحسم إلا فيما حسم فيه نهائيا، وحتى إن حصل، نؤجل الخوض فيه تجنبنا للحرج، أو هربا منه، قد يعتقد

1 المنظمات الدولية والتعليم

بقراءة تقارير كل المنظمات الدولية، سواء المهتمة بالثقافة، أو الطفولة، أو العلاقات بين الدول، كالأمم المتحدة، بل حتى المالية منها، كصندوق النقد الدولي، نجد توصيات وقرارات، لها غايات مشتركة، لا يمكن حدوثها صدفة، من قبيل ربط التعلم بالتكنولوجيا، كوسيلة حاملة لمعارف وقيم، وليس مجرد وسيلة ديداكتيكية كما يزعم البيداغوجيون التقنيون، كما يضاف إلى ذلك، القول بضرورة ربط التعليم بالتنمية والنمو الذاتي للمجتمعات البشرية، وخصوصا الأقل نموا، أو التي فوها غير منتظم، كما أن فكرة الاستراتيجية الجديدة لمهنة التدريس، لم تظهر اعتبارا في الخطابات التربوية وحتى السياسية، بدءا من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والخليج العربي، وقد اتضح ذلك في خطة الإصلاح 2015-2030 كما أجمعت عليها كل هذه المناطق، وتأكدت بلقاءات قارية، آخرها نيروبي، هكذا فجأة انتبه العالم إلى التعليم والتربية، وضرورة تغيير لغات العالم، والتفكير فيما عرف باللهجيات المحلية، لا مجال للصدف هنا ولا المفاجآت، إن استحضار منهجيات العمل التربوي، هو إعداد لذهنيات، محكومة بتوافقات، لا يمكن إخفاؤها باختلاف نظريات البداغوجيا، مما هو رؤى وتصورات، للمعرفة، ولكن أيضا للإدماج الاجتماعي والثقافي للأفراد والجماعات، التسليم بسيادة مقارنة لها جذورها الثقافية والحضارية، والتي يعتبر عالمنا العربي موضوعا لها، رغم غياب التنظير فيه على هذا المستوى رغم المجهودات التي تبذل في هذا الاتجاه.

2 مغرب الأهداف والكفايات

بذلت مجهودات من خلال الميثاق الوطني للتربية والتكوين، قابلت بين النموذج القديم، مما هو تأسيس لبناء المضامين، وتوجيهها إلى أهداف، مؤسسة على حفظ الهوية الوطنية، وفق نظام القيم السائدة اجتماعيا، لضبط السلوك والنفسية والمعتقد، مما تفرض من وحدة المذهب والاعتداد بالنموذج المغربي، سياسيا وثقافيا ودينيا، لكن انفتاحا على العالم وما يعرفه من تحولات وتفاعلات، كان ديمقراطيا لئلا من الانتباه إلى المجتمع، التلميذ- الأسرة، أي السماح للتعلم بالتعبير عن ذاته والمساهمة في بنائها، بدل الأسلوب التقليدي، القريب من منطق الفقه أكثر من علوم التربية، وقد فرضت تحولات العالم، القبول بحيوية المتعلم والإنصات لما يموج داخله، والإقرار بحقه في الاختيار والدفاع عن قناعاته حتى إن كانت مجرد تمثيلات اجتماعية عامة، ينبغي السماح لها بالظهور والدفاع عن وجودها، ثم الإقناع بضرورة تغيير بعض محتوياتها التي تعج بالتناقضات، هنا يظهر العالم تربويا وحتى سياسيا، فالديمقراطية، أو بعضها يفرض ديمقراطية التعليم وانفتاحها على ما هو كوني، والرؤية الاستراتيجية للتعليم_التعلم_تبدع



التعليم المغربي بين إكراهات الواقع ورهان المستقبل



♦ ذة - سعاد كريفي

يعد التعليم من بين أهم أورش الإصلاح التي حظيت باهتمام وعناية الفعاليات السياسية والاجتماعية والثقافية والمهنية، وتدلل المراهنة على هذا القطاع على الوعي بأهميته وثقله وقوة تأثيره في التنمية الاقتصادية والبشرية، خاصة وأن تقارير كثيرة أعدتها هيئات وطنية ودولية حول أزمات القطاعات المجتمعية والاقتصادية كانت توجه بأصابع الاتهام إلى نظام التربية والتعليم، ولا شك أن المناخ الدولي وسياقاته تزيد من جسامه التحديات وأبرزها تحدي الاندماج الفاعل في اقتصاد ومجتمع المعرفة، بوصفه أفقا كونيا يستقطب كل الدول وفرصة حقيقية لبلادنا من أجل اختصار المسافة وتحقيق التنمية بمختلف أشكالها.

لا مناص أن تكون الخيارات المجتمعية أو السياسات الوطنية منصهرة خلف أبعديات السياسة العامة خصوصا وأنه أمام واقع تطبعه تحولات عميقة ومتسارعة على الصعيدين الوطني والدولي نلاحظ أن أغلب الحكومات على تباين أنظمتها السياسية واتجاهاتها الفكرية، اتجهت إلى سلك المسار الاستراتيجي في سياسة التغيير وهكذا، فإن مجمل المقاربات التي تناولت هذا الموضوع سواء في قراءة واقعه أو استشراف أفقهها، تسلك لازمة التعقيد في مدخلاتها ومخرجاتها التي تبقى عصية الاستيعاب من خلال دراسة سطحية ينقصها الامكانيات. من حيث أنها بنية ذات تعقيد وتعقيد "نصوص قانونية، الوسائل، الواقع وسلطة البرامج..." في ظل متطلبات منظومة القيم الاستراتيجية الحديثة "عقلنة وترشيد، فعالية ومردودية، تتبع وتقييم..."

إن الوصول إلى الهدف من السياسات العامة يجب أن يصاحبه استراتيجية تعمل على هندسة القرار بإحاطته بمجموعة من التساؤلات التي تتمحور بالأساس حول المسار التاريخي للمنظومة التعليمية

بالمغرب، وفي هذا الصدد فدوركايم يؤكد أنه: "لكي يتم فهم النظام التربوي لا يكفي أن ننظر إليه بالصورة التي يوجد عليها اليوم، لأن النظام التربوي نتاج التاريخ، والتاريخ وحده قادر على تفسيره، إنه مؤسسة اجتماعية حقيقية..". ويعزى تفسير الإصلاحات التربوية انطلاقا من التاريخ لدى دوركايم إلى كون أنه يتعذر إدراك التحولات التي يشهدها النظام التعليمي دون ربطها بالتحولات التي تخترق البنيات الاجتماعية، ولذلك فبواسطة الماضي يمكن استشراف المستقبل.

إن المحطات الأساسية البارزة في تاريخ المنظومة التربوية الوطنية يمكن الوقوف عندها في مرحلة ما بعد الاستقلال في إطار المخططات، بحيث شكل إصلاح 1985 محطة هامة في تاريخ المنظومة لأنه يندرج في إطار التقييم الهيكلي استنادا إلى توجيهات البنك الدولي والتي أعطت الأهمية للتوازنات المالية على حساب القضايا الاجتماعية.

ومن أجل تقييم وتشخيص حالة المغرب من جوانب عدة، قام البنك الدولي في شتنبر 1995 بإنجاز تقرير عن أوضاع المغرب وقدم تشخيصا مرفقا بتوجيهات تخص القطاعات التالية "الاقتصاد، الادارة، التعليم"، كما قال الراحل الملك الحسن الثاني في خطابه للسنة التشريعية أمام البرلمان 1995: "لقد قرأنا هذه التقارير فوجدنا فيها فصاحة موجعة، وأرقاما في الحقيقة مؤلمة تجعل كل ذي ضمير لا ينام".

لقد شكل تقرير البنك الدولي إنذارا قويا مما جعل التفكير في الإصلاح مليا من خلال بلورة ميثاق وطني للتربية والتكوين، وعلى الرغم من المستجدات التي جاء بها إلا أنه وجهت إليه العديد من الانتقادات، ولذلك تقدم صاحب الجلالة الملك محمد السادس في خطابه أمام البرلمان في افتتاح الدورة التشريعية الخريفية لسنة 2007 بإعطاء تعليماته السامية من أجل إنجاز مخطط استعجالي لتسريع وثيرة الإصلاح وإعطاء نفس جديد للميثاق. واستجابة لكل هذا، وضعت وزارة التربية الوطنية برنامجا استعجاليا وامتد على أربع سنوات من سنة 2009 إلى 2012، مما خلق دينامية وحوافز وانتظارات جديدة لدى الفاعلين الميدانيين

بعد ذلك تم وضع الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم 2015/2030 والتي تقوم على إرساء مدرسة جديدة قوامها الإنصاف وتكافؤ الفرص وترسيخ الجودة والإعمال الفعال للنموذج البيداغوجي.

ولعل التعليم وفق هذه الرؤية يبقى بوابة المستقبل، وعندما يطرح باعتباره قضية وطنية فإن ذلك معناه أن المجتمع يطرح مشكلاته المرتبطة بحاضره ومستقبله خصوصا وأن هذه القضية لها أبعاد جديدة، ومظاهر شديدة التنوع والتعقيد، فمستقبل الديمقراطية والاقتصاد يتأسسان على التعليم، ولكي نعد الأجيال الآتية لمواجهة تحديات هذا السياق علينا أن نختار أحد الامرين، إما أن نترك ما يأتي به المستقبل يجرفنا، أو نحاول تشكيل معالم هذا المستقبل، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الفعالية في إعداد، صياغة، تنفيذ وتقييم السياسات العمومية في مجال التعليم.

إن سنة التطور، دفع المغرب إلى الدخول في إصلاح حقيقي وفعلي تجسد في وضع دستور جديد غير من بنية النسق السياسي والمؤسستي وغير من آليات وضع وكيفية تدبير وتنفيذ السياسات العمومية، إذ أنه شكل تجسيدا حقيقيا لكل التحولات الديمقراطية قوامها

الحكامه الجيدة والجهوية المتقدمة وتخليق الحياة العامة وسيادة دولة الحق والقانون والمؤسسات دون أن ننسى دسترة التعددية اللغوية والثقافية، وعلي فإن المشروع الديمقراطي الذي يضع الدستور الجديد آليات بنائه، لن تكتمل له مقومات التأثير في مجتمعنا ما لم تلعب مؤسسات إنتاج المعرفة وفي مقدمتها المدرسة المغربية، دورا أساسيا في ذلك وهذا يتطلب اعتماد مجموعة من الاجراءات تتمثل في:

- الخروج من الحالة الذهنية والخطابات النمطية عن التدهور المستمر لقطاع التعليم بالمغرب،

- إرجاع البعد السياسي للقطاع وإدماجه ضمن منافسة برامج الأحزاب السياسية -إعادة تحديد الاختصاصات، وتدقيق أدوار مختلف المؤسسات المتواجدة في القطاع.

- تركيز جهود الإصلاح على الناحية البيداغوجية دون إغفال البنيات التحتية، التجهيزات والأبعاد المادية كذلك التركيز على الأعمال القابلة للتحقق، وعلى ولاية تشريعية دون فقد الرؤيا الإستراتيجية.

- تطوير رؤية شمولية ومنسجمة لمكانة ودور مختلف الفاعلين في قطاع التعليم.

- اعادة الحياة لمبدأ المراجعة الدائمة، التكييف المستمر، الاطلاع على مختلف التجارب الإيجابية التي يعرفها العالم ومحاولة إدخالها إلى النظام التربوي المغربي. وختاماً، فإن التعليم وفي سياق التحولات العالمية والمحلية يبقى بوابة مستقبل تكوين أجيال قادرة على الاستجابة للتحديات التي تواجه المجتمع المغربي.

إن أطفال اليوم هم مواطنو الغد، وبناء هذا الغد لا منطلق له إلا المدرسة الجديدة بمواردها البشرية ومناهجها وعلومها وقيمها، والذي لا شك فيه أن هذا البناء المنشود لا يقبل بتلك المبادرات الموسومة بالاستعجال.

صحيح أن هذه المدرسة تمر الآن بنفق مظلم ... ولكن في هذا النفق هناك ضوء يلوح في الأفق.





التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا بالمغرب

♦ ذ.علي أشهبون - باحث تربوي

التعليم عن بعد هو ذاك التعليم الذي يتم بين المعلم وتلاميذه عن طريق قنوات الاتصال والتواصل الاجتماعي : كالقنوات التلفزيونية والتي لا يكون فيها تواصل مباشر، بقدر ما يكون هناك إيصال للمعلومات والدروس إلى التلاميذ، دون جعلهم يتجاوبون مع الدروس عن طريق المشاركة والتفاعل. أو عبر بعض التطبيقات الهاتفية كالواتساب والتي تتيح للطرفين نوعا من التواصل والأخذ والرد.

وسأحاول هنا التطرق إلى هذا الشكل من التعليم في زمن محدد وهو زمن الحجر الصحي بالمغرب (منذ منتصف شهر مارس 2020 إلى الآن) وسأقتصر على ما يتعلق بالتعليم الابتدائي العمومي، حتى لا ننتيه بين الأسلاك والأنواع التعليمية الأخرى.

لقد أعلنت الوزارة الوصية عن هذا الشكل من التعليم بعد أن فرضت ظروف جائحة كورونا توقف التعليم الحضوري، حفاظا على صحة فلذات أبادنا وعلى صحة المواطنين عموما. وقد تم ذلك دون تخطيط مسبق ولا برنامج دقيق للعملية شأنه في ذلك شأن مختلف المرافق الوطنية الأخرى التي توقفت بفعل الجائحة. وطبيعي والحالة هذه أن تكون هناك بعض الصعوبات والعراقيل التي رافقت ذلك والتي يمكن أن نجملها في أربع مستويات:

(1) على مستوى المرسل: وهو الأستاذ حيث أن هذه العملية تقتضي توفر الاساتذة على قدر كاف من التحكم في الوسائط الالكترونية وهو ما لم توفره الوزارة الوصية للأساتذة عبر تكوينات متخصصة في هذا المجال، رغم أن الوزارة اعتمدت منذ سنوات برنامج (جيني) والذي لم يستفد منه الجميع، خصوصا بعد تبني التوظيف المباشر (التعاقد او اطر الأكاديميات)، مع انعدام التكوين الاساس والمستمر إلا ما كان من بعض الاجتهادات للسادة المفتشين عبر تكوينات رسمية أو موازية. بالإضافة إلى أن التعليم عن بعد عبر القنوات التلفزيونية لا يشارك فيه إلا القلة القليلة من الاساتذة المختارين لذلك.

(2) على مستوى المستقبل: والذي هو التلميذ والأسرة عموما، والتي عانت الكثير مع أبنائها إذ أنها في الكثير من الاحيان وجدت نفسها تتقمص دور المعلم في توضيح وشرح ما لم يفهم من الدروس (هذا متى توفرت على جهاز التلفزة وعلى هواتف من النوع الذي يمكن ان يحمل عليه تطبيق الواتساب، وعلى الانترنت وكانت شبكة الاتصال تشمل منطقتها....الخ).

(3) على مستوى قناة التواصل والتي تنقسم إلى:

- **القنوات التلفزيونية** وتشمل كل من الرابعة، السادسة، الأمازيغية والعيون، وكلها تتطلب التوفر اولا على جهاز التلفزيون ثم على تقنية (TNT) للتمكن من التقاط هذه القنوات. وهو ما لا يتوفر لدى كافة الأسر وخصوصا القروية التي تسكن الجبال ومناطق المغرب العميق.

- **تطبيق التواصل الاجتماعي (الواتساب)** وهذا يتطلب التوفر على هاتف من النوع الذي يستطيع تحميل تطبيقات التواصل الاجتماعي. إضافة إلى توفر الانترنت وكانت المنطقة تشملها شبكة الاتصال.

(4) على مستوى مضمون الرسالة: وهي مجموع ما يقدم من معلومات عبر مختلف الدروس، وهنا لا بد من التذكير بان مواد التعليم الابتدائي في مجملها غير قابلة للتدريس عن بعد أو على الأقل تطرح صعوبات وإشكالات كثيرة، وخصوصا بالنسبة للمستويين الأول والثاني حيث يكون أساس التعليم هو التعبير والقراءة والكتابة والرياضيات. فكيف يمكن للمعلم ان يقدم درسا في التعبير أو القراءة أو الخط أو الإملاء باعتماد التعليم عن بعد.

ثم ان الدروس عبر القنوات التلفزيونية هي دروس تقدم لتلميذ افتراضي يتساوى في ذلك تلميذ الوسط الحضري والقروي والتلميذ المستقر في أعالي الجبال وذاك الذي يعيش في الصحراء، مما يسقط عن هذا الشكل من التعليم مبدأ تكافؤ الفرص.

خلاصة القول، أنه يجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا و ألا نغطي الشمس بالغربال، ونقول بأن الدراسة استمرت طيلة فترة الحجر الصحي، وبأننا لسنا في عطلة، خصوصا بالنسبة لتلاميذ التعليمين الأولي والابتدائي، لأننا بكل وضوح لا نتوفر على الشروط اللازمة لذلك، وهو ما يمكن ان ننكب عليه لاستخلاص الدروس من خلال هذه التجربة التي حتمتها علينا جائحة كوفيد 19 (كورونا).



التعليم عن بعد وأزمة الثقة بين أولياء التلاميذ ومؤسسات التعليم الخصوصي



♦ عبد اللطيف الصبيحي

على ذلك بالتهديد بعدم تسليم وثائق الالتحاق والانتقال إلى مؤسسات التعليم العمومي، متخذة الأطفال والتلاميذ رهائن عندها، غير مبالية بصعوبة الظرفية التي تمر منها البلاد، لتشهّر مخالف جشعها، في وجه أولياء أمور تلاميذ منهم من فقد عمله جزئيا أو كليا بسبب الوباء. هذا الأمر لم تكن لتجرؤ عليه لولا أنها لمست ارتباكا وترددا في قرار وزير التعليم، الذي كذف بالملف بعيدا، وكلف مدراء الأكاديميات بإدارة المفاوضات بشأنه، معللا قراره بأن وزارته يقتصر دورها فقط على المتابعة البيداغوجية لا غير. يفتقد تجار التعليم إلى خاصية مهمة يتمتع بها عموما كل التجار في القطاعات الأخرى، هذه الخاصية تتمثل في إدراكهم لأهمية الزبون "رغم أن التعليم أشرف من أن يكون سلعة"، كونه أساسا في استمرار تجارتهم، فتجدهم يبذلون جهودا مضيئة للحفاظ عليه وتقديم أحسن الخدمات والتسهيلات له، مع حس عالٍ بالتفهم والإنصات له، فقدان هذه الخاصية دفعت نسبة كبيرة ومحترمة من الأسر المغربية للإفصاح عن رغبتها تحويل أقساط التعليم الخصوصي المقطعة من الأجور، وتوجهها صوب المدرسة العمومية، للرفع من شأنها وتدارك كل نواقصها، أملا في استعادة أدوارها الطليعية التي من أجلها ضحى أجدادنا وحلموا بأن يصبح التعليم العمومي رافعة للتقدم والرفق المجتمعي.

ربط أزمة الأوراق المالية كل شهر، وليس لها أدنى استعداد للتنازل عن ثلاثة أشهر من فترة الحجر الصحي، نكرانا منها وجودا رغم ما استفادت منه من امتيازات لسنوات، والكل يعلم السياق الذي ولدت فيه مؤسسات التعليم الخصوصي، ولا يخفى على أحد أنها ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب.

هذا الأمر منع الجميع من تصديق زعمها الهشاشة والعوز، متضرعة بأسباب واهية، ورافضة المس بما تعودت حياتته.. ولو افترضنا جدلا نقص أرباحها المبهولة، واعتبرنا أن فعلها نابع من التشبث بتعاقداتها الربحية كما تدعي، فعليها أن تعلم في الأخير أن تشبثها بالأداء الإيجابي، يلزمها على الأقل بالتفاوض على قيمة الخدمة المقدمة وكلفتها بدل "الصعود إلى الجبل"، فكلية وقيمة التعليم عن بعد ليستا بنفس جودة التعليم المباشر.

لقد خرجت إدارة بعض مؤسسات التعليم الخاص عن رشدها، واستفاق توحشها الرأسمالي، ولطالما كانت ممارساتها بعيدة عن الرشد، وذلك راجع لإدمانها الريع الذي أصبح في عرفها شرعيا ومشرعنا مدعما بحجج لا يصدقها عاقل. فبعد أن وجدت نفسها في الزاوية وتساعدت الانتقادات التي توجهت إليها من كل حذب وصوب، بدأت سياسة الوعيد باللجوء إلى المحاكم لاستخلاص حق لا تملكه، وزادت

إن التعليم عن بعد بعيد كل البعد عن أسس العملية التربوية، لغياب شرطي التسيير المباشر والإشراف الضروريين لعملية التنشئة والتربية والتلقين، هذان الشرطان يعدان هامين للوصول بالمتعلم إلى كمال التبليغ وتقوية ملكاته وتنمية قدراته.

والسؤال المطروح، لماذا لم تتعفف الباطرونا المدللة، المالكة لمؤسسات التعليم الخاصة عن دس يدها في جيوب الأسر المغربية، في هذا الظرف بالذات، وهي مدركة تمام الإدراك استحالة توفيرها لأركان التدريس والتعليم السليم المتفق عليها عند جمهور المربين والمربيين..؟

على حد علمنا وبالرجوع لما تم تداوله من معطيات واحتجاجات تخص عدم قدرة الأسر تأدية أقساط التعليم الخاص، فإن قادم الأيام وخصوصا مع اقتراب الموسم الدراسي، سيشهد عملية شد الحبل بين أولياء أمور التلاميذ وجمعياتهم من جهة وبين الباطرونا وربطتهم، وجشع أجباز التلاميذ على الإداء بوصولات أداء هاته المبالغ للتمكن من شواهد التسجيل، وذلك بعد فشل كل المبادرات التوفيقية، وأكد أن الأمور ستزداد حدة مع فترة الامتحانات، ونتصور الأجواء النفسية العصيبة التي يمكن أن ترافق اجتياز التلاميذ لاختباراتهم هاته.

يبدو أن تمثيلات ورباطات التعليم الخصوصي أدمنت على



التعليم في المغرب بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق



منظومة تعليمية في حالة تيه دائم، وكان ذلك نتيجة تراكمات تاريخية واختيارات موجهة من الدولة لضرب أي إمكانية للترقي الاجتماعي لبنات وأبناء المغاربة عن طريق التعليم، ولضرب أي بذور للتقدم والمعرفة والوعي في أوساط الشعب المغربي، فكيف وصلت منظومة التربية والتعليم لحافة الانهيار؟.

يستهلك قطاع التعليم من الميزانية العامة في السنوات الأخيرة أكثر من 40 مليار درهم سنويا، منها أجور الموظفين الذين يشكلون 40 في المائة من موظفي القطاع العام، كما أن مصاريف الوزارة خاصة على مستوى تدبير المال العام تقدر بالملايير، ورغم ذلك يعيش التعليم أزمة بنيوية بعد فشل كل الوصفات العلاجية والترقيعية، حيث انتهى المطاف بإنتاج



♦ عبد المجيد مصدق

1) الجذور التاريخية لميراث التعليم العصري:

"إن القوة تبني الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام، فالرؤوس تحني أمام المدافع، في حين تظل القلوب تغذي نار الحقد والرغبة في الانتقام، يجب إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان.."، هكذا تكلم "هاردي" مسؤول السياسة التعليمية في المستعمرات الفرنسية، لتبين المخططات الكولونيالية في مجال التعليم بالمستعمرات.

بعد الاحتلال العسكري أصبح الهدف الأساسي من السياسة التعليمية الاستعمارية في المغرب، هي إخضاع العقول للمستعمر؛ حتى تتم الاستفادة من المخزون البشري للمستعمرات، لخدمة مصالح فرنسا، وضمان تبعية الجيل الذي ستم تنشئته في المدارس الفرنسية؛ أي

الأعيان، وطبقة سكان المدن الأميين، ثم القرويون المنعزلون الأكثر فقراً وجهلاً، وكان الحرص أن لا تختلط هذه الطبقات وجودياً وتعليمياً ببعضها البعض، وذلك مخافة أن تخلق بؤراً ثورية، بنهج سياسة تفرض أن يبقى التعليم خالياً من الجانب التحرري والقيمي أو تطوير الوعي، وتلافي الكولونيالية لكل ما من شأنه أن يقف حاجزاً أمام تحقيق أهداف وخدمة السياسة الاستعمارية ودوامها واستقرارها، مع وضع بعض الإصلاحات في التعليم العتيق، إذ تم في هذا السياق الاهتمام

هذا التعليم الذي سيقدم لبناء هذه النخبة الاجتماعية كان تعليماً طبقياً بامتياز، يهدف إلى تكوينها في ميادين الإدارة والتجارة، وهي الميادين التي اقتص بها العملاء والأعيان المغاربة، أما النوع الثاني، فهو التعليم الشعبي الخاص بالطبقة الفقيرة، ويتنوع بتنوع الوسط الاقتصادي؛ فكان بالمدن يوجه التعليم نحو المهنة اليدوية، أما بالبادية فيوجه التعليم نحو الفلاحة، وأما بالمدن الشاطئية فسيوجه نحو الصيد البحري والملاحة.

لقد تم تقسيم المغاربة إلى 3 فئات: طبقة

أن الحديث عن "تطوير المغرب" وإخراجه من ظلمة الجهل إلى نور الحضارة" وفقاً لصك الحماية/الاستعمار، لم يكن إلا خطاباً لذر الرماد في العيون، ولترويض المغاربة سيتم إتباع سياسة تعليمية ممنهجة لتحقيق السيطرة بأقصى سرعة وبأقل التكاليف، وقد اعتمدت في الأساس على التفرقة والطبقية، فكان التعليم في عهد الحماية طبقياً بامتياز، لا على صعيد العرق فقط، بل تجاوز ذلك إلى طبقية دينية وأخرى اجتماعية، فقد قامت فرنسا بالفصل بين تعليم خاص بالنخبة الاجتماعية، وتعليم لعموم الشعب؛ إن

التعليم في المغرب بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق

سياسة فرنسا الطبقيّة فيما يخص الأمازيغ على إنشاء مدارس خاصة بهم؛ لتحقيق الانفصال التام عن الهوية العربية، وقد سرّعت من وتيرة ذلك خصوصاً بعد إصدار الظهير البربري، لترسخ سياسة فرنسا القاضية بفك الارتباط بين الأمازيغ والعرب.

فقد كانت المعركة الثقافية التعليمية لفرنسا معركةً مصيرية؛ لإطالة الهيمنة الاستعمارية، فكان لسكان الجبال من الأمازيغ النصيب الأكبر من هذا المشروع؛ فهم في فكر فرنسا مجرد قبائل معزولة لا يربطها بالنسيج المجتمعي المغربي رابطاً، فلغتهم مختلفة، وتقاليدهم مختلفة، وعملية إعادة تأهيلهم لغويًا وثقافيًا ستكون سهلة المنال ومن تم

والإيطالية، والحساب والمواد التالية: الهندسة، والفيزياء، والكيمياء، بالإضافة إلى العزبة والتاريخ اليهودي، والتاريخ العام، والجغرافية.. ومما يثير الانتباه كون اليهود اعتمدوا مبكرًا في مدارسهم اللغة الفرنسية لغةً أساسية، رغم أنهم في الأصل مواطنون مغاربة، ولعل ذلك يرجع إلى كونهم ينظرون إلى أنفسهم كطائفة لا انتماء لها لهذا الوطن، ولا رابطة بينها وبين المغاربة المسلمين، بحكم طبيعة عقيدتهم الانعزالية فكانت هذه المدارس بعد الاستعمار نسخةً طبق الأصل من التعليم الأوربي، تسير برامج التعليم الفرنسية وقد بلغت نسبة تدرّس يهود المغرب 90 في المائة لأن ولوج المدارس كان إجباريًا وعممًا.

بصفة خاصة خارج إطار هذه اللغة والانتماء الحضاري. فمع بداية الاحتلال أصبحت اللغة العربية ممنوعةً أو شبه ممنوعة، إلا ما كان من بعض الدروس الدينية في مدارس الأعيان، أما بعد سنة 1944 حيث مرغ أدولف هتلر أنف فرنسا، فقد تم تخصيص 10 ساعات للغة العربية والمواد الدينية، مقابل 20 ساعة للفرنسية والمواد المدروسة، وفي الابتدائي ظلت حصص العربية هزيلة، غير خاضعة لأي توجيه أو مراقبة، فقد كانت طرق التلقين تقليدية، وكان الأساتذة ضعفاء من جهة التكوين البيداغوجي، وفي الثانويات اعتبرت اللغة العربية لغة ثانية، أما في "الليسيات"، التي

بتطوير جامعة القرويين، وزيادة توطيده بالتعليم الأصيل القائم بالمساجد، بعيدًا عن النهج الفرنسي المتبع وحتى لا يذهب المغاربة للبحث عن هذا النوع من التعليم في الخارج كالجامع الأزهر بالقاهرة، ويقع احتكاك هؤلاء الطلبة بالحركات التحررية القومية في مصر. ومن جهة أخرى تم تقسيم سكان المغرب - بالنظر إلى الدين الذين ينتمون إليه - باعتبارهم ثلاثة كيانات غير متجانسة: المسلمون، واليهود، والأوروبيون المسيحيون، وتم تخصيص نمط تعليم لكل طائفة من هذه الطوائف، وكان الأساس التعليمي يقوم على اللغة الفرنسية، التي بواسطتها سيرتبط التلاميذ المغاربة بفرنسا، وتاريخ فرنسا، وكان المقصود هو أن



سلخهم عن لغتهم الأم الأمازيغية، وهويّتهم الحضارية، والتي - حسب "ليوطي" - تعدّ عقبةً في طريق فرض اللغة الفرنسية على الأمازيغ؛ فكونهم مسلمين يعني ضرورة ارتباطهم بالقرآن، وارتباطهم بالقرآن يعني حفاظهم على اللغة العربية تعليمًا وتعلمًا وممارسة لغوية، يبين ذلك ما ورد في دورية "ليوطي".

وفي هذا الإطار تم إنشاء ما عُرِف بالمدارس البربرية - الفرنسية، في مناطق جبال الأطلس، خاصة إيموزار، وعين الشكاك بناحية فاس، وثانوية أزرو الشهيرة، وعين اللوح بناحية مكناس وخنيفرة والقباب، بالإضافة إلى مدرسة اهرمومو بناحية تازة والمدرسة العليا الفرنسية البربرية وكان دور هذه المدارس ينصب على ما يلي:

+ التعليم بالمقررات الفرنسية حصراً.
+ مجالات التدريس الأساسية هي المهن والفلاحة.
+ ترك اللغة العربية والتركيز على الأمازيغية.

لقد كانت النتائج المرجوة من التعليم اليهودي والمدارس اليهودية هو عصرهم مع روح الاستعمار وسلخهم عن الهوية المغربية، ليشكلوا جماعة وظيفية تابعة للاستعمار قلبًا وقالبًا.

فيما كان التعليم الأوربي الخاص بأبناء الفرنسيين والأوروبيين، مرتبطًا ببلد الاحتلال وهو تعليم ظل دومًا التعليم الممتاز بالمغرب، والذي يسير التعليم الموجود بفرنسا، ويكفي أن ننظر إلى "مدارس البعثة الفرنسية" الموجودة حاليًا، والتي هي استمرار له.

لقد عملت سلطة الاحتلال عقب توقيع "معاهدة الحماية"، على إقرار نظام تربوي جديد، خاصة في المدن والمناطق المأهولة بالسكان الأمازيغ. وكان من أحد أهم مميزات هذا النظام فَرَنَسَةُ التعليم ليس كأداة للتواصل فقط، وإمّا محاولة لربط المستعمرات بالدولة الفرنسية، كأنها جزء منها من جهة، وكذا القضاء على اللغة العربية من جهة أخرى، فقد قامت

كانت مدار النخبة بعد أن تم السماح بعد سنة 1944 م للمغاربة بولوجها، فقد كانت العربية مادةً مهملة، مادتها قصص خرافية وحكايات تشوه المغرب وتاريخه، وفيما يخص المدارس اليهودية، فإن أول ظهورها في المغرب كان قبل فرض الحماية، وتحديدًا في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن، الذي أصدر ظهيرًا لحماية اليهود بعد تدخل الرابطة الإسرائيلية عقب إعدام يهوديين اتُهما بتسميم مندوب الحكومة الإسبانية، ليتم إنشاء حوالي 20 مدرسة يهودية بتمويل من الرابطة الإسرائيلية العالمية، ومنظمات يهودية أخرى في الفترة ما بين 1862م إلى 1911م، ولم يحتج المستعمر إلى إدخال كثير من التغييرات على هذه المدارس، فقد فرضت اللجنة المركزية للرابطة الإسرائيلية العالمية مقررًا عامًا في كل مدارسها، يعتمد على تعلّم اللغات الأجنبية والتحدّث بها بطلاقة، واعتماد اللغة الفرنسية لغة تعليم، مع اعتماد اللغات الإنجليزية والإسبانية

يعطيهم فكرة عن عظمة تاريخها وقوتها. وحسب جورج هاردي "فإن اللغة الفرنسية هي سلاح المعركة أدًا، ولربح الرهان لا بد من حسن استعمال هذا السلاح، حتى ولو تطلب الأمر اقتلاع الشعوب والأمم من امتدادها الحضاري، والرمي بها في مزابل التاريخ؛ إن الغاية تبرر الوسيلة"، ومن الطبيعي أن يتم ذلك على حساب اللغة العربية التي تم حصارها في المدارس العتيقة والتعليم الأصيل المتخلف أصلاً؛ إذ كان يتم إغلاق كتاتيب تعليم القرآن، ومُحاربة معلّمي اللغة العربية، فقد كانت السياسة اللغوية الكولونيالية تعتمد على:

القضاء على اللغة العربية الفصحى، ثم إحلال اللغة الفرنسية محلها، والدفع بأن تتبوأ اللغة الدارجة مكانها من خلال إنشاء معهد عالي لتعليم الدارجة المغربية؛ لتخريج الأطر والمساعدين القادرين على مخاطبة المواطنين بالدارجة، عوضًا عن الفصحى، لأن الهدف المرسوم هو تطوير المغربية والأمازيغ منهم

التعليم في المغرب

بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق

الإصلاحات والمناظرات، وتكوين لجن عليا عهد إليها النظر لتأسيس منظومة تعليمية، تستجيب لحاجيات الحاضر والمستقبل وهكذا دخل المغرب في دوامة من إصلاحات البرامج والمناهج والمقررات.

* اللجنة العليا للتعليم (1957):

من جملة توصياتها، إصلاح التعليم الموروث عن الاستعمار (الهيكل، البرامج، الأطر...)، مع المناداة باعتماد المبادئ الأربعة (المغربة، التعريب، التوحيد، التعميم) لإرساء نظام تربوي وطني، وقبل ذلك تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1956 كمنظمة نقابية لطلبة الجامعة والثانويات، وقد تأثر بالغيان السياسي لمرحلة ما بعد الاستقلال.

* اللجنة الملكية لإصلاح التعليم (1958):

أوصت بإصلاح التعليم والدعوة إلى إجباريته ومجانته مع توحيد المناهج والبرامج.

* المجلس الأعلى للتعليم (1959):

أهم خلاصات اجتماعاته، التأكيد على ضرورة مجانية التعليم وتعميمه، بعد هذه الفترة شهد المغرب غليانا سياسيا واجتماعيا، سواء حول الدستور أو الانتخابات التشريعية والتزامن مع ما سمي بمؤامرة 1963، وفي هذه السنة صدر قرار سياسي رسمي بفصل التلاميذ عن الطلبة كمنخرطين في الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وبالرغم من ذلك شاركت الجماهير التلاميذية في إضراب ماي 1963 (حوالي 157 ألف تلميذا وطالبا)، وكانت المعركة حول المطالبة بإصلاح التعليم وفتح الحوار مع قيادة المنظمة الطلابية.

* مناظرة المعمورة:

عقدت في 14 أبريل سنة 1964، وكان أهم ما تمخض عنها تقليص ميزانية التعليم، مما أثر سلبا على تعميم التعليم، وبالرغم من ذلك أكدت على الدعوة إلى تطوير آليات ثابته الإصلاح، وجددت التأكيد على المبادئ الأربعة: المغربية، التعريب، التوحيد، التعميم، وقد خصصت جانبا لموضوع التعريب والازدواجية، وخلصت إلى ضرورة الاستمرار في التعريب لجميع الأقسام في الابتدائي مع الاحتفاظ بالفرنسية في القسم 3 ابتدائي، وفي سنة 1965 أصدر الديوان الملكي مذكرة جاء فيها "إن ما تم انجازه في موضوع التعليم إلى حدود سنة 1965 كان دائما يتسم بالتسرع والارتجالية، وأن ارتفاع عدد التلاميذ يمثل مشكلا كبيرا للدولة". وحددت نفس المذكرة ألا يتجاوز عدد التلاميذ بالابتدائي 1.564.000 تلميذا خلال العشر سنوات المقبلة، وقد عرفت هذه المرحلة ما بعد المؤتمر التاسع للاتحاد الوطني لطلبة المغرب (أكتوبر 1964) تصاعدا نضاليا، وصلت فيه الإضرابات إلى 60 يوما بمشاركة حوالي 150 ألف طالبا وتلميذا، مما دفع الحكومة إلى رفع



البيداغوجية والديداكتيكية، لاكتساب القدرات المؤهلة لولوج المدارس العليا والجامعات العلمية المتخصصة، تلجه الأقلية الأوربية وأبناء حاشية الدولة وكبار الموظفين وبعض أبناء الطبقتين البرجوازية الكبرى والمتوسطة.

2) التعليم بعد الاستقلال الشكلي:

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل المغرب المستقل شكليا؛ حيث كانت هناك حاجة ماسة للأطر والتصورات الوطنية وتكييف التعليم مع المتطلبات الملحة للواقع الاجتماعي والاقتصادي، والربط بين تعميم التمدرس والتنمية، كما كانت الدولة في حاجة ماسة لبناء أجهزتها الإدارية والأمنية والعسكرية.. وهكذا عمل النظام على تعميق الطابع الاستبدادي للدولة، والذي يتسم بالمركزية والبيروقراطية ومراقبة المجتمع للتحكم في اتجاهاته وضبط تطوره، حيث ظل التعليم من بين الآليات الحاسمة في ضبط حركة المجتمع، واعتبر ميدان صراع بين الحركة الوطنية ونظام الحكم.

فمنذ فجر الاستقلال الشكلي تم التوافق مع الحركة الوطنية حول المبادئ والأهداف الأساسية للسياسة التعليمية، إلا أن هذا التوافق ظل حبيس الرفوف، كباقي التوافقات التي حصلت بينهما، واستمر الصراع بينهما لمدة طويلة، لعبت فيه موازين القوى الاجتماعية والسياسية دورا حاسما، والتي كانت تميل دائما لصالح النظام.

مسار إصلاحات الدولة لمنظومة التربية والتعليم:

بعد تسلم المغرب مفاتيح وزارة التعليم من فرنسا وإسبانيا بعد توقيع وثائق الحصول على السيادة، بدأ العمل بقيام سلسلة من

لا يتعدى 3 في السنة، أما الشواهد الجامعية المتحصلة فهزيلة : 6 محامين، 6 مهندسين، 3 أطباء. أما في الفترة ما بين 1945 إلى 1955، فقد عرفت تحسنا كان الهدف من ذلك امتصاص الغضب والحس التحرري الذي بدأ ينمو، ورغم ذلك لم تتجاوز نسبة المتدربين ممن بلغ سن التمدرس سنة 1950، نسبة 7 في المائة، و11 في المائة سنة 1954.

وقد كانت نتائج هذه الفترة كالتالي:

تلميذا حاملا للشهادة الابتدائية. 4.188+

+ 175 حاصلا على البكالوريا، في حين حصل على البكالوريا الثانية 94 تلميذا.

وفي نفس الفترة سمح للطلبة المغربية بولوج المدارس الأوربية، التي كانت تقدم تعليما عصريا حديثا، تتوفر فيه الشروط البيداغوجية والديداكتيكية، لاكتساب القدرات المؤهلة لولوج المدارس العليا والجامعات العلمية المتخصصة، حيث كان يلجها القلة الأوربيون وأبناء العملاء والأعيان، وقد تسابق أقطاب النخبة السياسية ليستفيد أبناءهم بدورهم من هذا التعليم رغبة في تأهيلهم لإتمام دراساتهم العليا، وبقيت هذه المدارس تابعة لفرنسا حتى بعد الاستقلال، وكأنها مدارس فرنسية في أرض المغرب لا تربطها صلة به، بل تخضع مباشرة للقنصليات والسفارة!!

لقد تركت لنا فرنسا نظاما تربويا ضعيف المناهج والمحتوى، وظلت الطبقة ستمته البارزة وأصبح لدينا ثلاثة أنواع من التعليم: + تعليم عمومي يلججه أبناء الطبقة الدنيا، ضعيف المحتوى والطرائق، يعاني مشاكل هيكلية ويشهد بتلايب الفرنكوفونية.

+ تعليم خاص سقط تحت الضغوط التجارية في محاولة مضاهاة التعليم الأوربي بجرعة فرنكوفونية كبيرة.

+ تعليم أوربي حديث، تتوفر فيه الشروط

ولم يتم حصر نظام التعليم هذا في المدارس الابتدائية فقط، بل تم تعميمه على المرحلة الثانوية والدراسات العليا أيضا، فتم إنشاء ثانويات بربرية - فرنسية؛ كثانوية أزرو التي تم إنشاؤها سنة 1927 م، والمدرسة العليا الفرنسية البربرية سنة 1914.

غير أن نظام التعليم في عهد الحماية عامة، والمدارس البربرية - الفرنسية خاصة، عرف فشلا ذريعا وانهيارا مدويا؛ فمن مجموع المدارس البربرية - الفرنسية، ظلت ثانوية أزرو الوحيدة المحافظة على طابعها غير العربي، وإلى حدود 1948 م فقط.

هذا السقوط المدوي ترك آثارا كارثية على ساكنة الجبال، الذين حرموا من التعليم نهائيا، خصوصا أن السلطات الاستعمارية قد قامت بتصفية الكتائب القرآنية في سياق السياسة البربرية، وقد كانت الملائد التعليمية الوحيد في هذه المناطق، ولم يكن الحال في البوادي والمدن المغربية بأحسن حالا؛ إذ كانت هي الأخرى محرومة من التعليم الحديث. وإذا علمنا أن نسبة سكان البوادي والأرياف بلغت 90 في المائة في تلك الفترة، يتضح لنا حجم الكارثة التعليمية التي تسببت بها سلطات الحماية؛ أي إن نسبة غير المتدربين، أو من تلقوا تعليما ضللا، تتجاوز 90 في المائة من مجموع الساكنة، باعتبار أن كثيرا من البالغين سن التمدرس لم يلتحقوا بالمدارس.

وكنيجة لما بعد الحرب العالمية الثانية وبداية تحرك الحركة الوطنية للمطالبة بالاستقلال، تم التغاضي عن ظهور بعض المدارس الخاصة الوطنية تدرس باللغة العربية وينهل محتوى برامجها ومقرراتها من المشرق العربي.

وتتضح كارثة التعليم في هذه الفترة بالنظر إلى النتائج التالية:

فحصيلة التعليم الفرنسي في المغرب منذ قيامه إلى سنة 1944، أن الحاصلين على البكالوريا

التعليم في المغرب بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق



للتعليم، وكان في نيتها إعداد ميثاق وطني للتعليم، لكنها اكتفت بصياغة وثيقة أولية حول التعليم.

لم يظل الوزير العراقي منتظرا لنتائج اللجنة المذكورة، بل سارع إلى تقديم إصلاحه الذي ينص على التغيير الشامل لمنظومة التربية والتكوين وتنفيذه بدعم علني من القصر، بعد طرده من حزب الاستقلال بسبب ذلك.

* مناظرة إفران الثانية (1980):

والتي طالبت في توصياتها بتسريع مسلسل التعريب ومغربة الأطر، بالرغم من المشاكل المادية التي كان يجتازها المغرب في تلك الفترة، والتي أثرت على البنيات التحتية للتعليم نتيجة اعتماد سياسة التقويم الهيكلي والتكشيف، وهي المرحلة التي عرفت بداية تدخل البنك الدولي بشكل مباشر في السياسة التعليمية بالمغرب، بدء باعتبار التعليم قطاعا غير منتج (منطق المقاول)، وتقنين التكرار.

وتقنين تسجيل الموظفين في التعليم الجامعي. لقد كان هدف أوامر المؤسسات المالية الدولية وضع حد لسياسة الدولة التدخلية، ونهج سياسة التكشيف في القطاعات الاجتماعية، وبداية من هذه الفترة بدأ التراجع عن أغلب مكتسبات السنوات الأولى للاستقلال في ميدان التربية والتعليم، وارتباطا بذلك فإن الفترة ما بين سنة 1983 إلى عام 1994، أي مرحلة التقويم الهيكلي والخضوع لوصفة المؤسسات المالية الدولية، بدأت تبرز الانعكاسات الخطيرة على التعليم، وتمثلت في تخفيض ميزانيته من جديد، وتجميد الأجور والتحكم في النفقات...

هاته الأوضاع والاختلالات في منظومة التربية والتعليم، استغلها الفكر الوهابي المتوحش للانقضاض على المؤسسات التعليمية والتغلغل في المناهج، وذلك بغسل عقول بعض المدرسين والتلاميذ، وسيؤدي ذلك إلى دخول تيارات الإسلام السياسي بالعنف إلى الحرم الجامعي، ومحاولة السيطرة على أوطان، ووضعها بين أيدي العنف الأصولي بمساعدة النظام وتوجيهه لضرب الفكر العقلاني والتقدمي بالجامعة، هذا الغزو الوهابي بفتات البترودولار سيكون له الأثر السيئ، بتخريج أفواج من قوى الظلام وطمس الفكر النقدي وتعطيل ملكة المنطق والعقلانية، فهذا التشجيع من الحكم بتغلغل الوهابية للمناهج التعليمية والمؤسسات، كان له الدور البارز في انتشار التطرف بالمغرب، حيث تم تكوين قرابة جيل كامل من المدرسين على الإيديولوجيا المتطرفة ليس فقط في التربية الإسلامية، بل حتى في المواد العلمية، حيث أصبح أستاذ العلوم بفكر خرافي وماضوي، رغم أن الموضوع يتعلق بتجارب علمية في المختبر.

ولا تزال تداعيات هاته الجريمة ضد تعليم بنات وأبناء المغاربة، سارية المفعول لآن، ويتطلب الخروج من نفقها أمد من الزمن،

وإلى الأمام.. وكانت أهم توصيات المناظرة، تطوير التعليم العالي والاهتمام بالتكوين المهني، ومن نتائجها تعريب الفلسفة وتعريب الاجتماعيات وإحداث البكالوريا التقنية. وفي نفس السنة تم إحداث المجلس الأعلى للتعليم في حلة جديدة، لكنه لم يشتغل قط، وهو ما يفسر التجاذب القوي حول الرهان على التعليم، وتباعا في نفس السنة أصدر 500 من علماء ومثقفي المغرب بيانا يحذر من ازدواجية اللغة ويدعو إلى توحيد لغة ومناهج التعليم، وهو ما انعكس على التطورات القادمة.

* المخطط الخامس الثاني 1973-1977:

خرج إلى الوجود بعد محاولتي الانقلاب العسكري، بالصخيرات سنة 1971 والطائرة الملكية 1972، وأقر بأن إصلاح التعليم ضرورة ملحة، ولذلك نجده يطرح برنامج عمل استعجالي يبدأ في سنة 73 وينتهي في سنة 77، ويتمحور حول ما يلي:

+ تنمية التمددس.
+ مغربة الأطر.
+ الاشتغال على الحاجيات في التكوين.
+ الحد من ولوج التعليم العالي.
كما حمل بين طياته العودة إلى سياسة التعريب.
+ انطلاق مغربة السلك الثاني.
+ إحداث مكتب التكوين المهني و إنعاش الشغل.
+ الشروع في تعريب المواد العلمية في الابتدائي.
+ إحداث شعبة الدراسات الإسلامية وإلغاء شعبة الفلسفة بعد ذلك.

ولا بد هنا من التذكير أنه بعد قرار حظر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في يناير 1973، صدر ظهير خاص بالإصلاح الجامعي سنة 1975، وفي خضم أتون حرب الصحراء المغربية أعاد الملك سنة 1978 التأكيد على استمرار الازدواجية في التعليم.

* المخطط الثلاثي لسنوات 1978-1980:

فقد عرف مباشرة سياسة تكشيفية جعلته يركز على تنمية التعليم بالعالم القروي وحده وتعزيز المواد التطبيقية، ومغربة الأطر، ولم يهتم بالتعريب كثيرا.

* مشروع إصلاح التعليم لسنة 1980:

تم إطلاقه في عهد الطبيب الاستقلالي عز الدين العراقي، فركز على ما يلي:
+ توجيه التلاميذ نحو التكوين المهني.
+ التحكم في الاستقطاب الجامعي حسب النقط والمقاعد المتوفرة.

وقد قوبلت هذه الإصلاحات برفض واسع، تمخض عنه الإعداد لمناظرة إفران التي أسفرت نتائجها عن تكوين لجنة تضع تصورا شاملا

شكوى قضائية ضد الاتحاد في محاولة لحله، إلا أن الحكم كان لصالح المنظمة الطلابية بفعل صمود الجماهير الطلابية.

في هذه المرحلة، من المهم الوقوف عند مذكرة القصر التي أعقبتها مذكرة تنفيذية من وزير التعليم، تهدف إلى تقنين وحصر المرور من سلك إلى سلك دون تجاوز سن معين مما يعني الطرد، وفي نفس الوقت كانت هناك محاولات جديدة لفصل نضالات التلاميذ عن الطلبة، إلا أن هذا لم يمنعهم من تفجير أضخم وأعنف انتفاضة جماهيرية في تاريخ ما بعد الاستقلال، وذلك يوم 23 مارس 1965، والتي ساهم فيها إلى جانب التلاميذ والطلبة أولياؤهم وجماهير الطبقة العاملة.

لقد كانت المذكرة تمس بحق التمددس ومتابعة الدراسة، وهو ما أوجع الشارع وأدى إلى الأحداث الأليمة لما يعرف في أدبيات التاريخ السياسي المغربي بالأحداث الدائمة مارس 1965.

* المخطط الثلاثي (1965 - 1967):

الذي عرف بشعار "إلزامية التعريب في المرحلة الابتدائية" وعرفت هذه الفترة عدة مشاكل هيكلية، من ضمنها:

+ تقليص ميزانية التعليم مما انعكس على نمو التمددس.
+ اقتراح سلكين في الابتدائي، واحد من ثلاث سنوات يكون إلزاميا تتكفل به الجماعات المحلية، وهو سلك معرب كليا، حيث ستلقن المواد العلمية باللغة العربية بدء من سنة 1966، وآخر من أربع سنوات تتكفل به الدولة، والعمل على مغربة الأطر.
+ إلحاح المخطط المذكور على التقريب بين البرامج العصرية والتقليدية وتشجيع التعليم الخاص.

رفض كل من حزب الاستقلال والاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد المغربي للشغل والاتحاد الوطني لطلبة المغرب هذه القرارات والتوصيات، واعتبروها تراجعا عن ما كان مخططا له من قبل. في هذه الظروف تم اقتراح تخفيض تسجيل أعداد التلاميذ الجدد لفترة عشر سنوات (1975-1965)، أي الاقتصار على حوالي 26.000 تلميذا فقط في كل دخول مدرسي عوض 100.000 تلميذا التي كانت تسجل في كل سنة إلى حدود 1965، وهو مضمون مذكرة الديوان الملكي.

فما بين سنوات 1965/1967، تمت بلورة المخطط الثلاثي هذا، وأهم ما ارتكز عليه، التراجع عن المبادئ الأربعة: التعميم، التوحيد، المغربية والتعريب.

* مناظرة إفران الأولى (1970):

صادفت التوترات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصعودا يساريا في الأوساط الجامعية التلاميذية، وإنشاء حركتي 23 مارس

التعليم في المغرب

بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق



ورما جيل آخر ولد وسط الثورة المعلوماتية والالكترونية لا يؤمن بالخرافة ويحدث القطيعة مع رياح الهمجية التي حملها بدو الخليج إلى المغرب..

فليس غريبا أن صعود السلفية الوهابية في المغرب تزامن مع ظاهرة تريف المدينة، فهو منتشر في المغرب، لكنه ليس متغلغلا بشكل كلي، إلا أن هذا لا يمنع من أن يكون سببا في نشر الأفكار الظلامية الهدامة، فالعوامل المساهمة في انتشار التطرف تكمن في الفقر، والتهميش، والتعليم، وكذا الاستغلال البشع لشبكات التواصل الاجتماعي من طرف أتباعهم داخل التنظيمات والحركات الإسلامية المحلية. * اللجنة الوطنية للتعليم (1994): في الفترة الممتدة بين سنوات 1994 إلى 1998 حدث هجوم للفكر الليبرالي المتطرف الذي أعلن الحرب على المرافق العمومية معتبرا أن اقتصاد السوق مبني على المنافسة والاستهلاك، وأن زمن تدخل الدولة قد انتهى، ولأن النظام الحكم تبغي فقد ساير الركب وشرع في التخلص من التزاماته الاجتماعية اتجاه الفئات المحرومة، بهدف التخفيف من الميزانيات الاجتماعية وعلى رأسها ميزانية التعليم، في هذا الوقت تم الاعتراف رسميا بفشل السياسات التعليمية السابقة، وبدأت الدعوة إلى مراجعة المجانية، في هذا السياق قام الملك بتشكيل اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم، لكن أعمالها توقفت في منتصف الطريق، لأن الملك رفض نتائجها معتبرا تقريرها ذو حمولة إيديولوجية وليس تقريرا تربويا..! ومما تضمنه التقرير محاولة تجاوز آثار التقويم الهيكلي على التعليم، وذلك بالرفع من بنيانه، في ظل هذه الأوضاع تقرر إنشاء الهيئة الخاصة لإصلاح التعليم وقد كانت من توصياتها:

+ الزامية التعليم من سن 6 سنوات إلى سن 16.
+ مجانية التعليم.

+ اعتماد اللغة العربية في جميع المجالات.

لكن بالخطاب الملكي في 6 نونبر 1995، أعلن الملك عن رفض مطلق لنتائج عمل هاته اللجنة الخاصة، ودعوة القصر للعمل على ميثاق وطني للتربية والتكوين جديد، وتشكيل لجنة خاصة جديدة لذلك.

هكذا انحللت اللجنة الأولى لتعوض بلجنة ثانية كان على رأسها السيد مزيان بلقيش، في عهد حكومة "جديدة" وملك جديد.

* اللجنة الملكية للتربية والتكوين (1999):

كانت من توصياتها وضع أسس إصلاح التعليم: الزامية التعليم، إدماج التعليم في محيط الاقتصادي والاجتماعي..

كما بدأت الإعداد للميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي كانت خطوطه العريضة إصلاح منظومة التربية والتكوين بتغيير المناهج ..

* اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين

إلى: 4 فصول و 23 رافعة للتغيير و 134 فقرة وحوالي 1000 مستلزم.

رافعات التغيير كانت تطمح لمعالجة إشكاليات: الإنصاف والجودة والاندماج الفردي والارتقاء المجتمعي والريادة الناجعة والتدبير الجديد للتغيير..

لكنه وبعد بضع سنوات أعلنت هيئة تابعة للمجلس في تقرير لها: إن الإيقاع الذي تقدم به التربية لن يحقق أهداف هذه الرؤية في سنة 2030 وهو ما يعني فشله.

ومع ذلك حولتها الحكومة إلى قانون إطار ودخل حيز التنفيذ السنة الماضية.

إن ما يسري من فشل في ميدان التربية والتعليم، ينتقل من سلك إلى سلك، أي من القاعدة غير الصلبة إلى برامج ومقررات التعليم العالي، الذي تفرخ جامعاته أعدادا كبيرة من الشباب العاطل والتائه والفاقد للرؤية والمبادرة كنتيجة لمناهج ومقررات تقتل في المهدي ملكة التفكير والإبداع والنقد، فقد حصل المغرب على مرتبة متدنية في مؤشر التعليم العالي، بحلوله في المركز 101 عالميا و 12 عربيا بعد حصوله على درجة إجمالية متوسطة بلغت 3.6 في المؤشر العالمي لجودة التعليم العالي، الصادر عن تقرير التنافسية العالمية لعام 2017 - 2018، وهي مرتبة لا يحسد عليها.

هذا التسلسل التاريخي للإصلاحات كان لا بد من طرحه لفهم المحطات المفصلية التي أدت لأزمة قطاع التربية والتعليم.

فهناك توجه رسمي للقضاء على التعليم العمومي في المغرب، وهو ما أكدته تقرير مغربي رسمي صدر عام 2005، وحمل عنوان: "50 سنة من التنمية البشرية في المغرب"، وخلص إلى أن المنظومة التربوية في المغرب بدأت بالتراجع منذ سبعينيات القرن الماضي، قبل أن تدخل في أزمة طويلة ما زالت مستمرة

المدرس، العنصر الفعال في تطبيقها، وكان آخر من يعلم بنزولها، ولم يكن قد تلقى أي تكوين فيها، ولم يشارك في مناقشتها، فكيف يوصل الرسالة إلى محور الإصلاح الذي هو التلميذ وهو يجهلها؟ كما غاب التحفيز والدعم وقيام الشراكات وانفتاح المؤسسة على محيطها. لقد كان بالمكان أن ينجح الميثاق لو طبق فعلا على أرض الواقع، وصرف عليه ولو جزء بسيط من المال العام والميزانيات الضخمة التي كانت تبذل في ما يسمى باللقاءات التربوية، والتي لم تكن في الحقيقة إلا مناسبات للاجتماع حول المآذب الفاخرة.

* البرنامج الاستعجالي 2009/2012:

كان عمق طرحه استدراك التأخر المسجل في تطبيق الميثاق الوطني، من خلال مشاريع محددة وزرع نفس جديد في مسلسل إصلاح المنظومة التربوية، باعتقاد بيداغوجية الكفايات والإدماج، ومحاربة الهدر المدرسي، وتشجيع جمعيات دعم مدرسة النجاح، وقد رصدت له ميزانية ضخمة بلغت 45 مليار درهم، ذهبت أدراج الرياح، حيث تم نهبا وتبديدها على الكماليات، وبعد انفضاح الأمر تم تحريك مساطر المتابعات بطريقة انتقائية، لكن لسبب أو آخر تم إقبار التحقيقات وظل الملف يراوح مكانه بين أروقة المحاكم..

* الرؤية الاستراتيجية لإصلاح التربية والتكوين "للمجلس الأعلى للتربية و التكوين" (2015 - 2030):

والذي لا زالت فصوله وبنود تكتيكاته بين الفر والكر إلى الآن، وبهذا السياق فإن أول ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الرؤية الاستراتيجية لإصلاح المدرسة المغربية جاءت بعد فشل كل التجارب الترقيعية السابقة لإصلاح التعليم، حيث تم تكليف نفس الوجوه عبر المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي بمهمة وضع خارطة طريق لإصلاح المدرسة المغربية، وتضمنه هذه الرؤية ومكوناتها وثيقة تتوزع

"الميثاق الوطني للتربية والتكوين" (2009-2000):

كانت تهدف إلى إصلاح المنظومة التعليمية بتغيير البرامج والمناهج وتعددية الكتب المدرسية، مع الاهتمام بتدريس اللغة الأمازيغية..

هذا الميثاق هو وثيقة سياسية رسمية تتبنى المقاربة بالكفايات حول التربية والتعليم بالمغرب، وقد أعلنت العشرية 2000-2009 هدفا زمنيا لتحقيق كل غاياته.

ويتكون من 83 صفحة ويتضمن قسمين:

قسم 1: المبادئ الأساسية تتألف من:

المرتكزات الثابتة لنظام التربية والتكوين - الغايات الكبرى وحقوق وواجبات الأفراد - ترسيخ ثقافة الحوار وحقوق الإنسان، ويهدف كل هذا إلى جعل التلميذ محور المنظومة.

قسم 2: يحتوي على 6 مجالات للتجديد و 19 دعامة للتغيير.

اعتبر البعض هذا الميثاق المنقذ الأخير والخلص النهائي، نظرا لما يتضمنه من مجالات ودعامات وتوصيات، اعتبرت أنها الملاذ الأخير، وخصصت لذلك اعتمادات ضخمة وميزانية مهولة، لكنها أخطأت الطريق، رغم ما واكب ذلك من دعاية وتسويق، غير أنه بعد وقت قصير أعلن عن فشله من طرف المجلس الأعلى للتعليم وصندوق النقد الدولي.

ويمكن إيجاز أهم أسباب فشله في:

+ بقاء أغلب دعائمه حبرا على ورق.

+ لم يتم تفعيل مجالس التدبير وظل المدير هو الذي يسير، وبتوجيهات فوقية من الدخلاء على الميدان،

كما لم تزود المدارس بالوسائل التعليمية والتجهيزات الضرورية.

+ لم يتم إصلاح المؤسسات التعليمية وأصبح بعضها عبارة عن أطلال.

+ لقد تم اعتماد المراجع والمناهج في غياب

التعليم في المغرب

بين الإرث الاستعماري والاستبداد السياسي

♦ عبد المجيد مصدق



بعجلة المنظومة التعليمية والتربوية نحو غد أفضل ومستقبل زاهر حافل بالنتائج الإيجابية للرفع من مستوى تعليم المغاربة، لكن غياب الإرادة السياسية وغياب المواقفة المستمرة للوقوف على كل اعوجاج قد يحدث، وعدم القدرة على الدمج وبالسرعة المطلوبة لكل المستجدات المعرفية والعلمية، إضافة إلى ضعف وتشنت رجال ونساء التعليم، وترهل العمل النقابي إضافة لتفكك القوى الحية، كل هذه العوامل تشكل العنوان العريض لفشل منظومة التربية والتعليم، كما أن من أهم أسباب التي كرس التعجيل بانتهيار المنظومة التعليمية، تلك المرتبطة بغياب المناخ الديمقراطي جملة وتفصيلا.

لكل ذلك لم يوفق المغرب في خلق منظومة للتربية والتعليم كاملة ومؤسسة على مرجعيات محددة هدفها تعليم عمومي مجاني، علمي يساير تطورات العصر ويواكب المستجدات في عصر السرعة، فالأمل هو في إعادة بناء منظومة تعليمية بعيدة عن التحكم السياسي للسلطة الحاكمة، أي إصلاحات جذرية تأخذ بعين الاعتبار الخصوصية وفي نفس الوقت مواكبة عصر العلوم والتقنيات والعقلانية، وليس مساحيق تطير كلما هطلت أمطار الخريف. كما يجب إبعاد التجار والسماسة ولوبيات تسليح التعليم عن مجال حساس كالتربية والتعليم، فقد آن الأوان لوضع حد لوصاية المنطق الليبرالي على المجال التربوي والتعليمي واقتلاع هيمنة الأحزاب الحاكمة كل مرة عليه، وتجسيد الاستقلالية التامة للقطاع الوصي من أجل العمل بكل أريحية في كل ما يخدم التربية والتكوين وإعادة الاعتبار للأستاذ الباحث في الميدان بعيدا عن التنظير الفارغ واستيراد البرامج والمخططات ذات الحمولة التجارية للتباهي بها أمام الأبنك المانحة للقروض.

يُطور التعليم في المغرب؟"، فجاء جواب الملك حاسما: "أريد مني أن أعزز صفوف معارضي اليسارية؟". إن التعليم في المغرب، ينقسم إلى عام وخاص وممتاز، حيث أن الطبقة الراقية والغنية توجه أطفالها لمدارس البعثات، وهو توكريس للتفاوتات الطبقة في المجتمع، ما يعني أن المبادئ الأربعة التي كان يتوجب السير على نهجها لم تكن إلا شعارات للاستهلاك وامتصاصا للغضب الجماهيري.

بعد هذا التشریح الطويل لوضع التعليم بالمغرب والوقوف ولو نسبيا على مكامن الخلل، فالواقع الوبائي الحالي في زمن كورونا، عرى جريمة تخلي الدولة عن أدوارها الاجتماعية، وتسببها في انهيار المدرسة العمومية، ومن حق المغاربة الذين أبانوا عن وحدة الصف كلما تعلق الأمر بمصيرهم ومصير أبنائهم ووطنهم التساؤل عن مصير التعليم، في هذا الواقع المؤلم وأفاقه المظلمة، ويطالبوا بتحديد المسؤوليات عن هدر زمن الإصلاحات، ونهب وتبديد المال العام المرصود لهذا القطاع الحيوي، ففي كل محطات الإصلاحات لم يقف المسؤولون ولو مرة واحدة لتحليل وتقييم أسباب فشل وتشخيص الداء في أي محطة، حتى يصلحوا ما أفسده دهرهم.

فطيلة عقود والأسر الريعانية الحاكمة للدولة وأتباعها من لوبيات وأصحاب الصفقات، والمستفيدون من ميزانية التعليم يتكلمون على إصلاح ميدان التربية والتكوين، ورفعت شعارات للواجهة، أهمها برامج مخططات الهيكلية والميثاق الوطني للتربية والتكوين و البرنامج الاستعجالي والرؤية الاستراتيجية (2015 - 2030)، ناهيك عن ما حملته هذه البرامج من حملات بيداغوجية وديداكتيكية واستراتيجية، كلها كانت تتبجح بخطاب الدفع

بملك أدوات استيعاب العلوم وإنتاج الثقافة والفكر، جيلا لا يرى في طرق تعلمه أي أفق أو بؤادر مستقبل أفضل.

وينضاف إلى العوامل السلبية السابقة، بروتوكولية وشكلية تكوين المدرسين، وعدم تمكن أهل الاختصاص من تحضير برامج مسايرة للتطورات والتحول المتواترة في المغرب والعام، مما ينتج عنه وجود خلل في آليات اشتغال المؤسسة التعليمية كوحدة تربوية. والخلاصة أنه بذلت أموال ضخمة في برامج ومخططات سابقة لا مردودية ولا فعالية لها، ولو كانت هناك إرادة سياسية وربط للمسؤولية بالمحاسبة وتم إنفاق عُشْر ذلك فقط على البنيات التحتية المدرسية والتجهيزات وبناء المؤسسات والنقل المدرسي ورعاية ودعم المدرسين، ولو رفعت يد السلطات الليبرالية يديها عن التعليم، لتم وضع القطار على السكة وترك يسير على الطريق الصحيح، فمن أنيطت بهم مسؤولية التدبير الحكومي في العقد الأخير أعلنوا مرارا وتكرارا صراحة وضمنا أن الدولة لا يمكن لها الاستمرار في تمويل التعليم، وأن الحل في نظرهم في إلغاء المجانية، ويستشف من الوقائع والنتائج الملموسة أنها نفذت يدها من هذا القطاع "غير المنتج"، فتعاطيها معه لا يتجاوز تعاطيها مع أي مشكل إداري تعترضه العقبات البيروقراطية.

والإقرار بإهمال هذا القطاع الحيوي لتقدم الشعوب ورقبها، جاء من رأس الهرم السلطوي، لأنه كان يرى في التعليم أنذاك أداة لتخريج مثقفين معارضين له، وفي حوار مع الصحافي الفرنسي جان دانييل، مؤسس وصاحب مجلة نوفيل أوبسرفاتور، يتذكر هذا الصحافي اليساري المخضرم الذي كان يعتبر صديقا للملك المغرب الراحل، أنه سأله ذات يوم: "لماذا لا

إلى الآن، كما لاحظ التقرير أنه وبدلا من الإصلاح الجذري لقطاع التعليم الذي يستهلك سنويا سدس ميزانية المغرب، كانت هناك إصلاحات جزئية تتغير بتغير المسؤولين على القطاع بدون منطوق للاستمرارية والتكامل بين المراحل، فيرت الفقير الوضع الاجتماعي السيئ لأسرته، ويخلف الغني أسرته في تبوء صدارة الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع.

فمن يتابع قرارات الدولة المغربية منذ بداية عشرية الإصلاح الأولى، سيتأكد أنها تنفذ كأي تلميذ نجيب تعليمات كبار مصاصي الدماء الدوليين ومهدد الطريق أمام المفترسين المحليين لخصوصية التعليم، والدليل على نجاح خطة الدولة لخصوصية التعليم هو ذلك التنامي السرطاني لأفواج التلاميذ الهاربين إلى التعليم الخاص ولو كانت أسرهم متواضعة الدخل. فمثلا برسم ميزانية 2018 والتي حددت في أكثر من 59 مليار درهم مغربي، عمدت الدولة إلى اعتماد الحل السهل بالتزخيز للمدارس الخصوصية التي باتت تستوعب أكثر من 15% من التلاميذ، ويتوقع أن ترتفع النسبة إلى 25% عام 2025.

فهذا السعي المتواصل نحو الخصوصية، هو أيضا من بين أسباب عدم نجاعة مشاريع الإصلاح وبالتالي استمرار نزييف المدرسة العمومية، التي تحولت إلى "عالة" على الميزانية من منظور الدولة، وعبئا على المجتمع عامة، وأنها بدون نتيجة منتجة لاقتصاد السوق.

إن التلميذ المغربي كان وما زال يفرض عليه دور فأر التجارب منذ ما يقرب من أربعة عقود، عبر وضع أو استيراد مقررات للتدريس وفرضها على التلميذ الطفل، وهي بعيدة كل البعد عن محيطه، وخارجة عن كل الضوابط التربوية والبيداغوجية، بل زاد ذلك في معضلة الأمة والهدر المدرسي، وخلق جيلا يفتقر للقيم ولا

مهارة التفكير النقدي وتنمية السلوك المدني

♦ عبد الرحيم الضاقية - باحث في التربية والتكوين

وضعية تفكيك معنى التعلّيم/ السؤال لصعوبات في الفهم، بينما التلميذ/ة (ب) اشتغل على تمثل أحواله عليه وضعية المهمة المسندة إليه، التلميذ/ة (س) غرق في تفكير حول موضوع خارج صفي نظرا لعدم فهمه المقصود... إذن فالكثير من المدرسين/ات يعتقدون أنه عندما نكلف تلاميذ/ات مثلا بفهم نص فإنهم يقومون بنفس المهمة، لكن الواقع يشير إلى اختلافات في مواجهة العقبات الخاصة بكل واحد منهم/ن. فالمهمة في المحصلة هي مجموعة من الآليات التي تتيح تجاوز العوائق المعروفة أو المفترضة أو الطارئة، ولن يحصل هذا الأمر دون التحكم في القواعد والآليات ومنطق اشتغال الموضوع الذي يشتغل عليه التلميذ/ة. فتلخيص نص ما يستوجب تجاوز عقبة عدد الحروف أو السطور أو الصفحات التي يتكون منها. لذا يتعين على التلميذ/ة تعبئة مهارات لغوية وصرافية ومعرفية مرتبطة بموضوع النص كي يتمكن من فرز الجمل الاعتراضية والاستطرادات والأمثلة.. كما أن المعرفة بالموضوع تتيح فرز الرئيسي عن الثانوي وكشف التداخلات الحاصلة في النص الأصلي. ويخلص أحد الباحثين في علوم التربية إلى أن بناء المعارف داخل الفصول الدراسية أو ما يسمى بعلم التدريس (الديداكتيك) يتم فصل بشكل قوي مع مفهوم المهمة الذي تحيل على التساؤلات الخاصة التي تطرحها المادة الدراسية على الواقع (البعد الأستمولوجي) وكذلك على السيرورة التي تسعف في تملك المعارف (الأبعاد النفسية) (Develay, 1994, pp34-88). هذا المسار الاستفهامي والإشكالي في نفس الآن هو الذي يعطي شرعية للتفكير النقدي ويجعل ممارسته كامنّة في جميع الأنشطة الصفية وضمن المهام الأولية والفرعية المنجزة. ومن شأن هذا البعد حماية التلميذ/ة من الأفكار المسبقة والمواقف الجاهزة التي تؤدي إلى العنف والتطرف ضمن بيئات تتميز بالهشاشة.

✓ التعليم التعاوني:

تمتد الخلفية التاريخية التكوينية للتعليم التعاوني إلى القرنين 18 و 19 حين وجدت أوروبا نفسها أمام معادلة صعبة فمن جهة تحتاج النهضة الاقتصادية ليد عاملة مؤهلة في جميع الميادين، وفي نفس الوقت عدم اقتناع الدول بضرورة الاستثمار في التعليم بالقدر الكافي. ومن أجل الاستجابة لهذا الطلب لاجتماعي ظهرت المؤسسات التعاونية في إطار هَمِّ اجتماعي فظهرت أولا "التعاونية المدرسية" التي تساعد المؤسسات التعليمية على الاستجابة لبعض الحاجيات ثم تحولت إلى مدرسة تعاونية ساهمت في التنمية البشرية والتدريب على العيش المشترك سواء داخل المدرسة أو خارجها. فالتعليم التعاوني إذن عبارة عن مشروع وأدوات تهدف إلى تغيير العلاقات والأهداف: فداخل القسم ليس المهم هو أن نتعلم فقط، لكن الأهم هو أن نتعلم جماعة. وقد أثرت هذه المنهجية في وضعية الفاعلين التربويين داخل الفصل حيث أن القيادة التربوية تنبع من المسؤولية داخل المشروع التعاوني، وأن المضمون يتحدد من خلال نوعية الطرق التي ننهجها للتعليم (العمل الجماعي - البحث - التقصي - المشروع - التقويم المسؤول..). أما العلاقات فتدبر بشكل مفتوح من خلال التناوب على الأدوار والمراوحة بين الإشتغال داخل المجموعة والعمل المنفرد الذي يؤدي إلى الإبداع وتفتق المواهب لكي لا تضيق أفكار ومقاربات نيرة ضمن جماعة غير متجانسة من حيث سرعة وقيمة الأداء (https://meirieu.com). تتيح إذن هذه المقاربة التوجه نحو مشروع واحد لكن بهدف مزدوج: تعلم التعاون والتعاون من أجل التعلم، مما يتيح تطوير

الرئيسيين في المدرسة (المتعلم/ة - المدرس/ة). وبالنظر إلى المواد الدراسية نجد أن بعضها يستثمر أكثر في تنمية مهارة التفكير النقدي ولو ظاهريا حيث نجد مواد الفلسفة والتاريخ والرياضيات والنقد الأدبي.. تحيل كثير من أنشطتها على تنمية مهارة التفكير النقدي نظرا لبنيتها وجهازها المفاهيمي الخاص لكن هذا لا يعني أن المواد الأخرى لاتفعل التفكير النقدي. كما لا يجب التغاضي عن بعد آخر في التفكير النقدي الذي يحيل على تنميته من خلال طرق ومنهجيات التدريس ونوع التدبير الذي يمكن أن تسير به المواد الدراسية المختلفة ضمن الفصول الدراسية، إضافة إلى العلاقات التي تفرزها التفاعلات الصفية. وقد أوصت الأبحاث التجريبية التربوية أن الأطفال قادرون على تطوير مهارات التفكير النقدي في سن مبكرة جدا مما يساهم في تسهيل العمليات العقلية المنطقية اللاحقة التي يحتاجها الأطفال في بناء المعارف والمبادئ الأولية للتعلم. وفي نفس الاتجاه اعتبرت فرق البحث المتخصصة أن استعمال استراتيجيات تعليمية محددة تساعد على تطوير مهارات وقدرات التفكير النقدي ومنها:

✓ وضوح المهام المطلوبة:

المهام Taches هي أنشطة ينجزها الفرد لهدف معين ضمن شروط محددة وقد تكون أنشطة مجزأة أو مندمجة. وتعد المهام من العناصر الأساسية في بناء أنشطة التعليم والتعلم حيث أن المواد الدراسية المختلفة تتأسس على شكل ونوع المهام التي يمكن أن يمارسها التلميذ/ة في ظلها. ومن المعروف أن المواد الدراسية تتأسس بشكل كلي على نوع الأسئلة التي تطرحها على الواقع المعيش. ولكي تتوضح المادة الدراسية في خصوصيتها يتعين أن يتم التعامل معها كأجوبة عن أسئلة، وغالبا ما تتحول المواد الدراسية في الفصول الدراسية الحالية إلى معطيات جاهزة لا تحيل على مشكلة أصلية، مما ينزع عنها طابع الأشكالية الأولى الذي تتميز به في الأصل. إذن فالمادة الدراسية بهذا المستوى من الفهم هي بناء يجب على أسئلة ويحيل على توجيهات



من أجل الوصول إلى موضوع التعلم. إذن في وضعية تعليمية شفافة يتعين توضيح المهام بدقة كي يبرز المسار الصحيح لدى التلميذ/ة مما يتيح له تعبئة الموارد الملائمة ويتخلص من ثقل الموضوع كمعطى جاهز. ومن الملاحظات الأساسية التي وقفت عليها الأبحاث التربوية نجد أن التلاميذ/ات عندما يُوجّهون لإنجاز مهمة، فهم ينطلقون نحوها بطرق مختلفة حيث أن العقبات التي تعترضهم/ن تختلف بين تلميذ/ة وآخر حسب قدراته: فالتلميذ/ة (أ) نجده في

في ظل الأزمة الوبائية التي يعيشها اليوم يقف الملاحظ على حقيقة أن الشعوب التي استثمرت في التربية لم تجد صعوبة في تطبيق إجراءات التباعد الاجتماعي والوعي بخطورة الوباء، بينما لم تفلح حتى الترسانة الأمنية والقانونية من إيصال المعلومة لأوساط لم



♦ عبد الرحيم الضاقية

تنل قسطها من التربية والنماذج داخل الحواضر بادية للعيان. ففي ظل هذه الحالة الاستثنائية يُعد التفكير في بدائل بيداغوجية أمرا مطلوبا في ظل إعادة النظر الجذرية في وظيفة المدرسة. ومن هذه البدائل المقترحة مقارنة المهارات الحياتية التي يمكن تلقح الإنسان من الداخل وتجعله صامدا أمام وضعيات فريدة من نوعها مثل تدبير القلق والقدرة على مواجهة اللامتوقع... وكلها مهارات حياتية يتعين على مدرسة الغد أن تدمجها في المنهاج الدراسي كي تتمكن المضامين الدراسية من إنتاج سلوكيات مدنية ناجعة في إطار مجتمع متحول.

1. في المفهوم والدلالات:

يتأسس التفكير النقدي على تحليل وتقويم مكونات المسارات الفكرية المسلوكة من أجل إنتاج المعرفة. وهو بذلك مهارة حياتية تتيح للفرد التسلح بعدة نظرية وتطبيقية تتيح له الفصل في الحقائق واتخاذ بعد من المواقف المعبر عنها أو التي في طور التهييء. ويقوم التفكير النقدي على تحييص الفرضيات والنظر الموضوعي في الفناعات التي يعتمدها المجتمع حقائق ضمن سياقات الحياة اليومية. ويتم تحييص وتقويم المواقف والآراء عن طريق الملاحظة أو التجربة أو توظيف المنهج العلمي من أجل الكشف عن الحقائق الأولية والعناصر التي تم إقحامها من أجل عدم الففز على المواقف أو توجيهها وجهة معينة. ويفترض التفكير النقدي الوضوح والدقة والموضوعية التي لا غبار عليها كي يتم تفنيد كل ما من شأنه إرساء الانطباعات الذاتية، وضمن هذا السياق يرتبط التفكير النقدي بالشك المنهجي المفضي إلى كشف الزيغ والتدليس والوصول إلى اليقين المنطقي. ومن منهجيات التفكير النقدي سلوك مسار يبدأ بمعرفة الشيء أو الموضوع من أجل الوصول إلى بنائه المنطقي، وتحليل البنية الحجاجية التي يستند عليها وذلك بتجاوز الأفكار المسبقة والأحكام الجاهزة المرتبطة به. ويستعمل في ذلك الذكاء العقلي عبر مجموعة من الآليات مثل المقارنة والقياس المنطقي والبحث في النماذج المشابهة من أجل تحييص الحجج المقدمة عبر وضع مصادرها أمام الجميع ومعرفة الرأي والرأي المضاد (http://lesdefinitions.fr).

2. المدرسة ومهارة التفكير النقدي:

على مستوى المدرسة نجد في الحقيقة أن المواد الدراسية في بنائها الأولي تستند على التفكير النقدي من خلال أساسها الإيستمولوجي الذي يستند على معرفة عالمة خضعت لعمليات النقل الديداكتيكي حتى أصبحت مواد قابلة للتدريس، ورغم التشويه والتبسيط الذي يلحقها فإن الأساس المنطقي والحجاجي يبقى في متناول الفاعلين/ن

مهارة التفكير النقدي وتنمية السلوك المدني

♦ عبد الرحيم الضاقية - باحث في التربية والتكوين



مهارة التفكير الناقد للممارسة التعليمية في حد ذاتها. ومن أجل البناء المنهجي لهذه المقاربة تقترح الأبحاث تحقيق الشروط التالية :

- ✓ تفاعل المجموعات في نفس الوقت دون فصل للتعليمات ؛
- ✓ اشتغال التلاميذ/ات في إطار وضعية مساعدة دائمة للزملاء في إطار تحقيق مشروع موحد ؛
- ✓ المسؤولية الفردية لكل عضو ضمن المجموعة؛
- ✓ اكتساب مهارات التعامل مع أفراد مختلفي القناعات، القيم، المواقف..؛
- ✓ قبول المجموعة الخضوع لتقويم ومناقشة ما يحصل ضمنها على جميع الأصعدة.

✓ النمذجة Modelisation :

النمذجة هي تجسيد للواقع بشكل لفظي أو ذهني أو رمزي بهدف تجاوز التعقيد الناتج عن نظام أو نسق معين، أو من أجل الوصول إلى تبسيط مكوناته والنفاذ لفهمه بوسائل وأدوات مخالفة لبنائه الأصلي. وتساهم النمذجة في فهم أنظمة طبيعية أو بناءات نظرية معقدة من خلال اختزال مكوناتها إلى عناصر متناغمة

منطقيا أو هندسيا. ويمكن النمذجة من ترجمة مشكلات متشابهة إلى لغة رياضية مختزلة تبسط المعطيات من أجل تحويلها مثلا إلى معرفة قابلة للتدريس أو استعمالها ضمن وسائل الإعلام الجماهيري مما يؤدي إلى فهمها وانتشارها الواسع. وتعتمد هذه الآلية على إنتاج نموذج بديل عن النسخة الأصلية من أجل تسهيل فهمها ونقلها إلى وضعيات جديدة. وفي المجال التربوي تساعد النمذجة على تملك طرق ومنهجيات معقدة من طرف الجميع مما يتيح لهم اتخاذ بعد من المعرفة وإسقاط مثلثاتهم/ن وآرائهم عليها. هذا البعد هو الذي يذكي الحس النقدي لدى التلاميذ/ات ويساعدهم/ن على التعامل الموضوعي مع موضوع المعرفة. وتنقسم النماذج إلى :

• نماذج نظرية : وهي بناءات منطقية توضح المراحل المسلوكة للوصول إلى النمذجة، ويكون الواقع أو النظرية الأصلية هي مرجعها وبواسطتها يتم الحكم على دقة وصحة النموذج ؛

• نماذج تجريبية : في الواقع أن هذه النماذج لو يعد لها مسوغ إبستمولوجي لأن جميع النماذج هي نظرية. وتستمد النماذج التجريبية وجودها من مكونات إنجاز مراحل النمذجة : (Marchive , 2003 p 144) .

تستند إذن النمذجة على عمليات التعميم وتجاوز الخصوصيات المتعلقة بحقل علمي أو مادة دراسية معينة كما أنها تلخص معلومات وبيانات وظواهر وتحولها إلى بناء ذهني يسمح برصد بنيات غير قابلة للملاحظة ومن خصائصها: الاستناد على فرضيات و الاقتصاد على بعض الخصائص واختزالها و تبسيط الظواهر المعقدة و فرز بعض الوقائع حسب مقاييس محددة و البناء النظري المبسط ثم أخيرا إمكانيات نقل النمذجة من مادة دراسية إلى أخرى.

✓ منهجيات التدريس البنائي:

تعتمد منهجيات التدريس البنائي على إسهامات العالم بياجى من خلال اعتماد نموذج يقوم على ربط التعليمات بثقافة المجتمع الذي يحصل فيه التعلم، وتسعى إلى مساعدة التلاميذ/ات على بناء مفاهيمهم وتعلماتهم/ن

من خلال أربع مراحل مستخلصة من مراحل دورة التعلم الثلاث (استكشاف المفهوم، استخلاص المفهوم، تطبيق المفهوم)، وهذه الأربع مراحل هي: مرحلة التعرف، ومرحلة الاستكشاف، ومرحلة اقتراح التفسيرات والحلول، ومرحلة اتخاذ القرار). واعتمدت مراحل نموذج التعلم البنائي على البيداغوجية البنائية التكوينية في بناء المتعلم/ة لمفاهيمه من خلال العمليات العقلية، كما اعتمدت على الطرق التي يتعلمها المتخصصون ويعملون بها في ميادين العلوم الحقة. وتسير هذه المراحل بشكل متتابع في تخطيط الدرس، فهي تبدأ بوضعية انطلاق وطرح إشكالي ووضع فرضيات وتنتهي باتخاذ القرار أو الخروج باستنتاج أو تعميم أو قاعدة. كما أنها تعتبر متداخلة ومتكاملة مع بعضها البعض ضمن المواد الدراسية المختلفة سواء كانت علمية أو تقنية أو أدبية أو إبداعية، وتتفاعل معهما من خلال الاستقصاء وحل المشكلات. إضافة إلى أنها تدبر بها عمليات التعلم بطريقة ديناميكية ومتفاعلة مع الواقع والفاعلين/ات الآخرين ضمن المؤسسة التعليمية، لذا فإن خطة الدرس تتوقف على الموقف التعليمي التعليمي الذي يوجد عليه المتعلم/ة حيث أن جميع العمليات تتم في ذهنه وإن أي اعتقاد بأن التعلم يحصل خارجه فهو تمثل خاطئ يرجعنا إلى النظريات التربوية لما قبل بنائية.

وتتميز منهجيات التعلم البنائي بعدة سمات منها:

- ✓ محورة العملية التعليمية حول المتعلم/ة من خلال تفعيل دوره في الاكتشاف والبحث وتنفيذ أنشطة الدرس ؛
- ✓ محاكاة المتعلم/ة لمنهجيات العلم من خلال استعمال منهجه التجريبي مثلا في بناء المعرفة ؛
- ✓ إعطاء المتعلم/ة فرصة المناقشة والحوار مع زملاءه المتعلمين/ات أو مع المدرس/ة؛ مما يساعد على بناء خطة تواصلية فعالة ؛

- ✓ منح الفرصة للمتعلمين/ات للتفكير في أكبر عدد ممكن من الحلول للمشكلة الواحدة، مما يشجع على استخدام التفكير الإبداعي، وبالتالي تنمية الحس النقدي لديهم/ن ؛
- ✓ تشجع منهجية التعلم البنائي على العمل في إطار مجموعات والتعلم التعاوني؛ مما يساعد على تنمية روح العمل بالفريق التي يتيح الانفتاح على الآخر ويحد من

الذاتية والتمركز على الذات.

3 - تنمية السلوك المدني من خلال مهارة التفكير النقدي:

أما على مستوى السلوك المدني فإن المعطيات السالفة تدخل كلها ضمنيا في بناء مواقف سليمة من الوضعيات المجتمعية والسلوكية المرتبطة بها. ويمكن في هذا الصدد التقدم بالتوضيحات والمسارات الآتية انسجاما وتكملة لما سبق:

- إن أي سلوك هو نابع من موقف قابل للتحليل والمعالجة وبحث دوافعه فالمعرفة بالأسباب هي بوابة نحو تعديل السلوك واعتناق سلوكيات إيجابية؛
- أن أي سلوك قابل للخضوع لمجهري التشريح والنقد من أجل استخراج نماذج تفسيرية تسعف في وضع خطاطات توضح الأهداف والمراحل والنتائج؛
- لعل الشك المنهجي كآلية علمية قادرة على تعديل السلوك وعدم الخضوع للأفكار المسبقة والتطرف والنفسي الأحادي للظواهر.

• يقدم ميريو Meirieu نموذجا توضيحيا لمآلات المعرفة المدرسة في علاقتها بالسلوك المترتب عنها حيث يبين أن علم الأعصاب قادر على معرفة كمية المعلومات التي يمكن أن يعالجها ذهن الطفل في المدرسة، بل يمكن توجيه المعارف التي يمكن أن نقدمها له وكذا الطرق التي يمكن أن تسهل عليه العمليات العقلية. تماما كما يتعامل الميكانيكي مع السيارة فعند قيامه بمراقبتها وإصلاح أعطابها من خلال إجراءات تقنية وتجريبية. فإنه يبقى عاجزا عن تحديد الوجهة التي يريد أن يأخذها السائق بعد المغادرة ومدى احترامه لقانون السير. نفس هذه الصورة يمكن الوقوف عندها مع المدرس/ة فرغم اعتقاده أنه قام بالمتعلمين على مستوى المعرفة والمنهجية والتقويم فهو غير قادر على معرفة السلوكيات التي يمكن أن يقوم بها المتعلم/ة عندما ينتهي من الدرس أو بعد مغادرته المدرسة. (Mei- rieu , 2019, p 27). لذا يتعين تغيير النظرة والمنهجية التي يتم بها بناء المعرفة من مقاربات كيميائية إلى مقاربات إنسانية تستحضر الإنسان كذات مفكرة وغير قابلة للبرمجة الآلية.

التعليم العمومي والنموذج التنموي:

♦ د. عبد اللطيف
قيش

آية علاقة؟

وفقا لقدراته قمة تحقيق العدالة الاجتماعية، وأبرز من عبر عن هذه الفكرة هو روبرت نوزيك (ROBERT NOZIK)، ودعاة تدخل الدولة، وهم أنصار نظرية العدالة الجدد (أمثال جون رولز (JOHN RAWLS) وأمارتيا سين (AMARTYASEN) وتوماس نيجال (THOMAS NAGEL)، إن العدالة الاجتماعية تتطلب سياسات تعالج المساواة الاجتماعية والاقتصادية وتعطي كل فرد فرصة عادلة في النجاح. (إنحي محمد عبد الحميد، تطور مفهوم العدالة الاجتماعية في أدبيات التنمية الدولية: رؤية نظرية- مجلة الديمقراطية- العدد 68 - سنة 2017 ص 11-12). يبدو أن هذا النقاش شكل الخلفية التي انطلق منها تقرير البنك الدولي سنة 2006 المعنون بـ "الإنصاف والتنمية المستدامة"، والذي حمل تصورا جديدا حول الفقر متعدد الأبعاد.

انطلاقا من ذلك، يطرح السؤال: ما موقع

128/41 الصادرة عن الأمم المتحدة وقرارها الذي تنص مادته الأولى على " أن الحق في التنمية، حق من حقوق الإنسان غير قابل للتصرف، وموجبه يحق لكل إنسان ولجميع الشعوب المشاركة والإسهام في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية نحو التمتع بهذه التنمية التي يمكن فيها إعمال جميع حقوق الإنسان، والحريات الأساسية إعمالا تاما " فالحق بهذا المعنى حق شامل يتعلق الأمر بالحقوق الفردية والجماعية وحق الشعوب في تقرير مصيرها الاقتصادي والتحكم في ثرواتها وخيراتها فهو تركيب للحقوق السياسية والمدنية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. مركز التنمية من هذا المنظور فهو الإنسان، ولما معنى لوجوده إذا لم يكن حقه في التعبير وحقه في الحياة وحقه في شغل لائق وحقه في تعليم جيد ومجاني وحقه في الحرية، حقوق مكفولة. في إطار تطورات هذا المفهوم سيبرز مفهوم

مدخل:

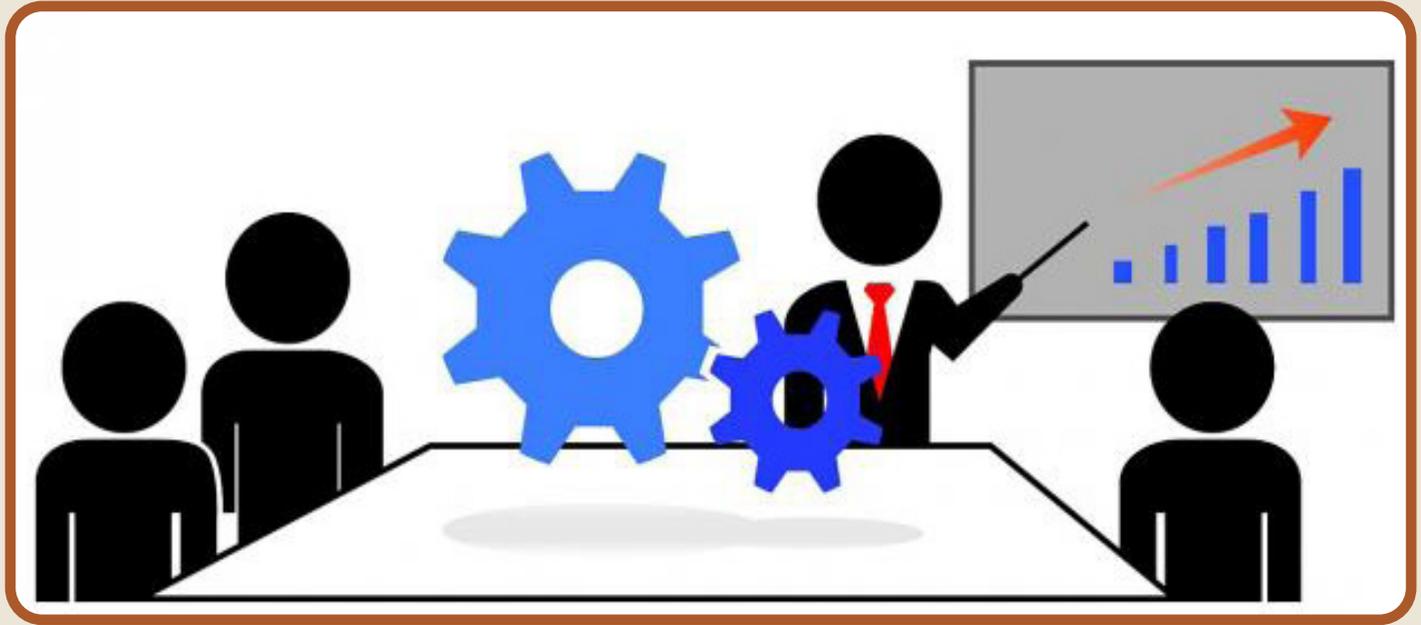
برز مفهوم التنمية بصفة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، قبل هذه المرحلة كان يستعمل مصطلحي التقدم المادي أو التقدم الاقتصادي للدلالة على التطور الحاصل في المجتمع، ومن ثم أضحت هذا المفهوم من أهم مفاهيم القرن العشرين.

لقد برز مفهوم التنمية في علم الاقتصاد "الدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغييرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إسباب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية حياة كل فرد، ومعنى آخر، زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات، عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة، وحسن توزيع عائدات ذلك الاستغلال." (لحسن



وقد شكلت مرحلة 1983 مع سياسة التقييم الهيكلي تجسيدا لهذه التوجهات، والشروع في تخلي الدولة عن أدوارها ووظائفها الاجتماعية تجاه الخدمات الاجتماعية لفائدة سياسة التقشف وتقليص ميزانية القطاعات الاجتماعية. وهو ما تعزز مع تبني سياسة الخصخصة التي تم اعتمادها عبر الإعلان عنها في البرلمان سنة 1988 كاختيار استراتيجي لحل الأوضاع الاجتماعية (القدرة الشرائية- أزمة التشغيل...) إلا أن هذه الرهانات لم تتحقق، وعلى عكس ذلك وجد المغرب نفسه في وضعية تفاقم الأزمة، وهو ما عبر عنه تقرير البنك الدولي الشهير لسنة 1995، وتلاه خطاب السكتة القلبية. وفي هذا الإطار أيضا تطرق تقرير الخمسينية إلى الفترة 1988 - 1995: "شهدت هذه المرحلة أضعف نمو في الخمسين سنة الأخيرة، وذلك بمعدل 2,7%، وقد تميزت هذه الفترة بجفاف متواتر وبطيء الاستثمار العمومي والخصومي وتدهور تنافسية الصادرات المغربية، بالنظر إلى صادرات البلدان النامية..."، بذلك لم تكن هذه الظروف تؤهل المغرب للإقدام على الانفتاح وتوقيع الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة (الجات) في مراكش سنة 1994، لكن هذا الانفتاح أملاه الخضوع لتوصيات المؤسسات المالية الدولية المانحة.

ترتب عن هذه الاختيارات، ارتفاع البطالة وتزايد الفوارق الاجتماعية والفوارق المجالية - وانخفاض المؤشرات الاجتماعية المتعلقة بالتعليم والصحة والشغل. رغم القيمة التشخيصية للأعطاب والاختلالات الواردة في التقرير الخمسينية، والتي كان يمكن أن يشكل أرضية للقطع مع الاختيارات السابقة، فإن المقترحات والبدايل ظلت بعيدة المنال، لأن الاختيارات محكومة بالتوجهات النيوليبرالية، فالجوء إلى التدبير المفوض، والشراكة عام/ خاص، عنوانها هو استقالة الدولة من مسؤوليتها الاجتماعية. إن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بدورها لم تحقق المبتغى. وكان الاعتراف الرسمي أنها لم تخلص 12 مليون مواطن من حالة "الخصاص الفادح" (الصحة- التعليم- الوقاية- الدخل- النقل...)، وجاء ترتيب المغرب من مؤشر التنمية البشرية 126 من ضمن 188 الوارد في تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية سنة 2015، ليؤكد فشل كل



التنمية في الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية للدولة؟

1. موقع التنمية في الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية للدولة - (تم الاعتماد على كتاب ذ. نجيب أقصبي):

الاقتصاد السياسي والسياسات الاقتصادية). سن المغرب منذ الاستقلال سياسة اقتصادية مبنية على المخططات سواء ما عرف بالخماسية والثلاثية أو ما عرف بالمخططات (الأزرق- الأخضر. الصناعي...) بعد 1999. وإن كانت الخلفيات المعلن عنها تتمثل في رهانات التنمية، والقيام بإصلاحات للنهوض بالفلاحة والصناعة وتكوين الأطر ومغربتها وفك الارتباط بين الفرنك الفرنسي والفرنك المغربي، ومحاربة التضخم... فإن الاختيارات لم تخرج عن تأطير التوجهات الليبرالية والنيوليبرالية لها.

التنمية البشرية الذي استعمل أول مرة سنة 1990 في التقرير العالمي حول التنمية البشرية الذي أصدره برنامج الأمم المتحدة للتنمية (PNUD)، حيث اعتبر هذا التقرير أن الإنسان يشكل مركز التنمية وأضحى المفهوم قضية جوهرية في العملية المجتمعية للقيام بتحويل عميق في الحياة الإنسانية في مستوياتها المتعددة بهدف مواجهة التحديات المطروحة، خصوصا ما يتعلق بقضايا التخلف والتأخر والأخطار البيئية والبطالة والفقر والهشاشة والتبعية والتمييز العرقي والجنسي والاستغلال وتقييد الحرية... (نفس المرجع). إن النقاش في موضوع التنمية بات مرتبط بقضايا الانصاف والمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية، وموقع الدولة.

إذ حصل أنقسام وسط المدرسة الليبرالية الجديدة بين دعاة عدم تدخل الدولة «إذ يمثل حصول كل شخص على ما يستحقه،

مادي، محاربة الأمية، مدخل لتحقيق التنمية البشرية- ص 10).

كما انتقل هذا المفهوم إلى الحقل السياسي منذ الستينات للدلالة على التغيير الاجتماعي في أبعاده المتعددة. يتعلق الأمر بنظم تعددية وتحقيق النمو الاقتصادي والمشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية وترسيخ مفهوم الوطنية والسيادة والولاء للدولة القومية. بعد ذلك انتقل هذا المفهوم إلى حقل معرفية أخرى، ويتعلق الأمر بالتنمية الثقافية والتنمية الاجتماعية، (نفس المرجع). إنه مفهوم متعدد الأبعاد- فهو مفهوم شامل ومتغير غير ثابت - يتميز بدنامية مستمرة، وهذا بديهي لأن المفاهيم تتطور بتطور التاريخ، فهي وليدة السياقات ومنها تستمد حملتها. في إطار هذا التطور الذي عرفه هذا المفهوم برز الحق في التنمية، والذي يندرج ضمن الجيل الثالث لحقوق الإنسان، وهو ما تم الإعلان عنه بتاريخ 04/12/1986 من خلال التوصية رقم

♦ ذ. عبد اللطيف
قيش

التعليم العمومي والنموذج التنموي: آية علاقة؟

- توسيع مجال الحريات الفردية والجماعية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية انطلاقا من سمو التشريعات الدولية وملائمة القوانين الوطنية مع كونية مبادئ حقوق الامتياز.

- قضية التعليم قضية مركزية واستراتيجية لا تعالج بالمنطق الظرفي والترقيعي والتجزئي.

- التعليم العمومي المجاني الجيد رهان استراتيجي في التنمية.

- لا يمكن اختزال رهانات التعليم ووظائفه في التلاؤم مع سوق الشغل بتمجيد التخصصات التقنية وتبخيس العلوم الإنسانية، يستوجب الأمر الربط العضوي بين التعليم والمسألة الثقافية لتقوم المدرسة والجامعة العموميتين بوظيفتهما العلمية والمعرفية والإشعاعية والحضارية حيث العقل مركز التفكير.

- ربط التعليم بالمنظومة الحقوقية وإشاعة ثقافة الاختلاف والتسامح والتعدد.

- ربط التعليم بعلم الجمال ومختلف أجناس الإبداع.

- أن يكون إصلاح التعليم في قلب العدالة الاجتماعية وفي قلب مجتمع المعرفة ومن أجل إنسان كوكبي وتعليم المعرفة والنسبية والشمولية والأبعاد المتعددة والسياق والمركب والخطأ والوهم (إدغار موران، المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل).

وأخيرا لا بد من التأكيد على أن التنمية لا

تستقيم مع:

- الاستبداد
- الفساد
- اقتصاد الربيع
- خلق الحياة السياسية
- خلق الحريات

تثبيت أسس خصوصية التعليم وتسليعه جل التقارير الدولية والوطنية تكشف عن مؤشرات كمية ونوعية حول طبيعة الأزمة، وحول نخوية وطبقية النظام التعليمي، وتكريسه للتفاوتات الاجتماعية، ف450 ألف طالب يغادرون الجامعة بدون شهادة، و400 ألف تلميذ يتكون المدرسة سنويا، ففي سنة 2017، ما يقارب 160 ألف من حملة الشهادات الجامعية (إجازة- ماستر- دكتوراه) في وضعية بطالة مزمنة، ونسبة 13% من الحجم الوطني العام الذي يشمل مليون و160 ألف مواطن أغلبهم من الشباب تتراوح أعمارهم بين 15 و34 سنة. من الناحية النوعية، يشكو النظام التعليمي من الازدواجية بين النمط التقليدي والعصري، وهو ما يعرض التلميذ للتمزق لأن مرتكزات المنظومة وأسسها تقليدية جامدة غير مستوعبة للتحويلات والمتغيرات وللقيم الكونية لروح العصر، والغياب التام للعدالة التربوية إذا كان مفهوم التنمية المستدامة شامل ومركزها الإنسان وللتعليم دور محوري فما هي طبيعة النموذج التنموي الذي من شأنه أن يفتح آفاقا للمغرب الممكن.

خلاصات:

إن مرتكزات النموذج التنموي تتمثل في الإصلاح الدستوري والسياسي والمؤسسي يمكن المغرب من الانتقال إلى الديمقراطية عبر الملكية البرلمانية.

- العدالة الاجتماعية عبر سياسات اقتصادية واجتماعية مبنية على التوزيع العادل للثروة المادية والمعرفية.

- دولة الحق والقانون حيث لا سمو إلا للقوانين ويلعب القضاء النزيه المستقل دورا رياديا في ذلك.

الإطار 51-17، ودستور 2011 في الفصل 31، لم تتخلص الدولة من مقاربتين في تعاطيها مع موضوع التعليم، يتعلق الأمر بالمقاربة الأمنية- الضبطية، ولعل حذف مادة الفلسفة، وحذف معهد السوسولوجيا القروية، وعسكرة الجامعة... إحدى المؤشرات الدالة على ذلك، ثم مقارنة التوازنات المالية والتي تجسدت مع سياسة التقويم الهيكلي، ومنطق اعتبار التعليم قطاع مستهلك وغير منتج. إن المدرسة والجامعة العموميتين لم يتم تهميشهما فقط، بل تمت محاربتهما.

تعاطت الدولة مع التعليم بمنطق التخلي والتخلص من هذه الخدمة العمومية، ولم تتوفر تاريخيا الإرادة السياسية للإصلاح ولا الاقتناع بنجاعة الإصلاح. فأزمة المدرسة العمومية ليست أزمة حكمة، فهي أزمة سياسية أولا، وهي أزمة بنيوية هيكلية، ترتبط بطبيعة المشروع المجتمعي، وهو موضوع صراع تاريخي بين الدولة والقوى الديمقراطية، لذلك كان الجدل في موضوع التعليم في أبعاده حاضرا لهذا الصراع السياسي. فرغم الخطاب الذي يتم تسويقه حول الإصلاح، صممت الدولة والأغلبية الحكومية على تمرير قانون الإطار 51-17، والرامي إلى تنويع الوضعيات النظامية بهدف اعتماد التعاقد كآلية وهو ما يمكن من إدخال الهشاشة إلى القطاع، والتنصيب بتحليل على تنويع مصادر التمويل بهدف الإجهاز على مكتسب المجانية، ونفس الأمر بالنسبة للشراكة عام/خاص. إن الأمر هنا يتعلق بضرب مبادئ المساواة والإنصاف والتماusk الاجتماعي. إن توجه الدولة، وانطلاقا من الفصل 31 لدستور 2011 ومضامين الرؤية الاستراتيجية وقانون الإطار بهدف إلى

هذه الاختيارات. فالاقتصاد المغربي ظل يشكو من الهشاشة والتنمية الإنسانية مؤثراتها مخجلة.

تدل مختلف المؤشرات أن اختيارات الدولة ظلت أسيرة التوازنات المالية، على حساب البعد الاجتماعي، وظلت أسيرة فهم تقنوي لمفهوم التنمية، الغائب فيه هو الإنسان والذي ينبغي أن يكون المحور فيه، وفي هذا الإطار يشكل التعليم قاطرة نحو التقدم والتنمية، ولعل النموذج الآسيوي جدير باستخلاص عبره " ففي ستينات القرن الماضي، كان حجم اقتصاد كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة مثلا بحجم اقتصاد مصر أو أقل منه بقليل، علاوة على أنها كانت خارجة من استعمار كبل قدراتها واستغل مواردها، أو أنهكتها حروب أهلية، منذ سنة 60 كان 80% من الكوريين غير متعلمين، تنفق حاليا 20% من ميزانيتها العامة على التعليم: (الحسن المصدق، تحديات التنمية المستدامة الحلقة المفقودة بين القطاع العام والقطاع الخاص- جريدة أخبار اليوم - 28 يناير 2020 - العدد 3102) فما هو موقع التعليم في اختيارات الدولة؟

2. موقع التعليم في اختيارات الدولة:

منذ لجنة إصلاح التعليم سنة 1957 واللجنة الثانية سنة 1958. ومناظرة معمورة سنة 1964 ووثيقة المذهب الجديد للتعليم (بن هيمة سنة 1966) ومناظرة إفران سنة 1970، وأيام التربية بإفران نهاية غشت 1980، و1983 مع سياسة التقويم الهيكلي، والميثاق الوطني للتربية والتكوين (1999)، والبرنامج الاستعجالي (2003-2015) والاتفاقية الإطار 2007 وقانون



التعليم من بعد واللامساواة

♦ محمد تيكونسي



حيث تأهيل المؤسسات التعليمية وتكوين الأطر التربوية على بناء وتنفيذ وضعيات تعليمية للتعليم عن بعد، ومن حيث استئناس الأساتذة والتلاميذ بالأدوات التكنولوجية الرقمية.

لذلك يمكن القول إن تجربة التعليم عن بعد قد أظهرت وأبرزت

العديد من مظاهر اللامساواة الكامنة في التعليم "الحضوري". فإذا كانت العديد من الأصوات تعتبر الواجبات المنزلية مدعاة للامساواة بين المتعلمين في الظروف العادية، نظرا لفوارق الاجتماعية والثقافية بين الأسر (المستوى الاجتماعي والتعليمي للأهالي، والإمكانيات الاقتصادية للأسر..)، فإنها برزت بشكل أوضح خلال فترة الحجر الصحي بين متعلمين يجدون الدعم والمساندة "وربما التدريس نفسه" من طرف أبائهم، وآخرين لا يمكنهم الاستفادة من ذلك. كما أن الأوضاع الاقتصادية للأسر أثرت بشكل مباشر على تفاعل مظاهر اللامساواة بين المتعلمين، فليس لكل طفل غرفة خاصة أو تلفاز أو حاسوب أو هاتف شخصي بالنظر لمساحات أغلب البيوت المغربية والإمكانيات المادية للأسر، كما أن التكلفة المادية للارتباط بالانترنت ليست متاحة للجميع. هذا فضلا عن تعقد الولوج للتكنولوجيا الرقمية لغالبية الأطفال الفقراء في مقابل استئناس القليل من أبناء الأغنياء بهذه التقنيات قبل زمن كورونا. كما يشكل المستوى الجغرافي مجالا آخر لتفاقم اللامساواة، فجل تلاميذ القرى لم يستفيدوا من الإمكانيات المتاحة على ضعفها وقتها.. ويمكن الاستمرار في تعداد أوجه اللامساواة التي فاقمها التعليم عن بعد، خاصة بعد القيام بتقديم ما تبقى من المقرر الدراسي لهذه السنة، ولذلك فإن مظاهر اللامساواة والاعدالة في التعليم، ومظاهر إعادة الإنتاج، قد ظهرت بشكل أوضح خلال فترة الحجر الصحي هذه..

واعتبارا لما سبق، لم يكن ممكنا الاعتداد بما تم تقديمه من دروس خلال فترة التعليم عن بعد، في تقييم مستوى المتعلمين، نظرا للوعي الذي تشكل لدى الجميع بمحدودية أثر هذا النوع من التعليم، خاصة في ظل الشروط الراهنة، وعدم تأهيل المنظومة التعليمية لمثل هذه التحديات. ولذلك اعتمدت الوزارة في تقييمات نهاية السنة بالنسبة للمستويات المعنية بها، على ما تم تقديمه إلى غاية 14 مارس 2020.. ورغم ذلك فإن آثار هذه السنة لن تنمحي بسهولة خلال بداية الموسم المقبل من خلال عمليات الدعم، بل يقتضي الأمر إعادة بناء المفاهيم والمعارف التي لم يتم تقديمها خلال هذه الفترة، خاصة وأن منطق بناء البرنامج الدراسي يعتمد على التعليمات السابقة لبناء معارف جديدة أو تعميق تلك التي تم تقديمها.

واجه المغرب، ومع العالم، وضع استثنائيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، في سياق مواجهة الانتشار السريع لجائحة فيروس كورونا المستجد كوفيد 2019، وفرض على البلاد حالة الطوارئ الصحية، وتوقفت مجمل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها منذ 20 مارس 2020، وقبل ذلك توقفت الدراسة في مختلف المؤسسات التعليمية والتكوينية والجامعية العمومية والخصوصية بكل التراب الوطني منذ 16 مارس 2020. وبسبب ذلك، اعتبرت وزارة التربية الوطنية أن توقيف الدراسة الحضورية لا يعني بأي شكل من الأشكال إقرار "عطلة استثنائية" ودعت المتعلمين والمتعلمين إلى ملازمة بيوتهم والاستمرار في الدراسة عبر ما سمي بخطة "الاستمرارية البيداغوجية" و"التعليم عن بعد".

يشير مفهوم الاستمرارية البيداغوجية إلى إبقاء نوع من الاتصال المستمر ما بين المتعلمين والمؤسسة التعليمية، خلال فترات تعذر قيام هذا الاتصال بشكل يومي ومباشر، بما يهدف إليه هذا الاتصال من خلق حالة من التركيز الذهني والتحفيز الوجداني لإبقاء المتعلمين في حالة ارتباط مع المعارف والمهارات المرتبطة بالمنهاج الدراسي، عبر إنجاز أنشطة مرتبطة بالتعلم السابقة، وأنشطة للدعم و"المراجعة" وغيرها. في حين يشير مفهوم التعليم عن بعد إلى ذلك النوع من التعليم القائم على فكرة عدم تواجد المتعلم والأستاذ في نفس المكان. وهو ما يفصل عمليا بين لحظتي التعليم والتعلم التي طالما اقتزنا في سياق التعليم الحضوري. فضلا عن ذلك يفترض التعليم عن بعد نزع الطابع الاجتماعي عن فعل التعلم، طالما أن المتعلمين المستهدفين به لا يتواجدون في نفس المكان لحظة التعلم.

اعتمدت وزارة التربية الوطنية، أسلوب التعليم عن بعد ليس فقط ل"مراجعة" ما تم تقديمه سابقا، وإنما لإنهاء البرنامج الدراسي عبر تقديم دروس جديدة، وهو ما يقتضي بناء معارف ومفاهيم جديدة باعتماد عدة وسائل، منها القنوات التلفزية، والبرامج الرقمية، وتطبيقات التواصل الاجتماعي.. وهو ما شكل تهديدا حقيقيا لمفاهيم المساواة والإنصاف والجودة في التعليم. فالكثير من المتعلمين يشعرون بالعزلة وعدم الرغبة وضعف الدافعية لتتبع "حصص دراسية" لا تختلف في بنائها الديدانكي وفي أساليبها تنشيطها عن حصص مصورة للتعليم الحضوري، منزوع عنها الطابع الاجتماعي للتعلم، والتفاعل بين المتعلمين فيما بينهم، وبين أستاذهم من جهة ثانية. وبصرف النظر عن الاجتهادات الكثيرة لنساء ورجال التعليم وانخراطهم الإيجابي في كل المبادرات الرامية إلى تخفيف وطأة توقف الدراسة الحضورية، فإنه يمكن القول إن النظام التعليمي لم يكن مستعدا كفاية لمواجهة هذا النوع من الوضعيات التي اقتضت التوقف النهائي للدروس الحضورية، سواء من حيث بناء المناهج والبرامج، ومن

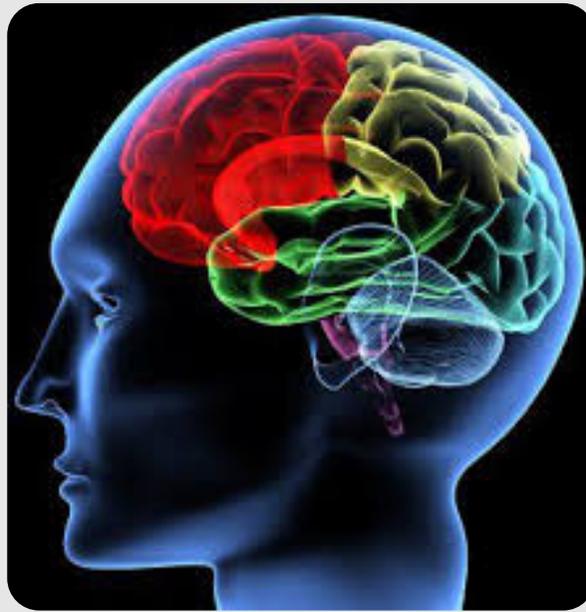
الطفل المغربي بين تعليم العقل والنقل

طرف الأسرة، من خلال بعض المواد التلقينية (والتي تأخذ مساحة كبيرة من الوقت، الشيء الذي يثقل كاهل الطفل المغربي دوناً عن غيره ويكرس فيه عقلية التلقين دون فهم). - محو أمية الكتابة والقراءة : والتي عوض أن ننحو فيها سبيل اكتساب اللغة بالسليقة عن طريق كثرة القراءة والاطلاع. نثقل كاهل الطفل بحفظ قواعد نحو متكلفة فارغة من أي روح فنية أدبية. (زد على ذلك عدم حسنا في هويتنا اللغوية وكذا لغتنا الثانية).

- الدفع بالطفل -تحت ضغوط نفسية مَرضية- في سباق محموم دارويني عنوانه البقاء للأقوى. حيث يكون عليه ابتلاع أكبر كمية من المعلومات حد النخمة، في أقل مدة ممكنة، قصد اجتياز الامتحانات بأعلى تقديرات ليكون من الأوائل، وككل نخمة، ينتهي الأمر بعسر هضم واسترجاع كلي لما في الأحشاء بمجرد نهاية الامتحان، وهو منهج يعاكس تماما التجارب الرائدة والناجحة، كما هو الحال في الدول الإسكندنافية. نتيجة لكل ذلك نكون قد شكّلنا إنسانا دغمائيا، متعصبا، جاهلا، مهزوزا نفسيا، وفوق ذلك ربما عاطلا عن العمل! لأننا بكل بساطة، وفي خضم كل تلك الفوضى والتشردم، مزقنا الطفل وقدمنا له كل الأجوبة العقيدية الفكرية التقنية والعلمية التي تريحنا، وبأسرع وقت ممكن، ونسينا (أو تناسينا نتيجة الخوف) أن نفسح له المجال كي يغشاه الفضول، ويقتحمه السؤال.

إنه إنسان مثخن بالأجوبة ولكنه لا يملك سؤالاً واحداً.. مع أن السؤال هو الذي يجعل كينونة الإنسان منفتحة على الوجود، غير نهائية وغير محسومة مسبقاً.. كينونة غير معلبة، غير قابلة للتصنيع كما زعمنا آنفاً. بل هي لوحة فنية قابلة للخلق والإبداع.. فأسمى ما يمكن أن تقدمه المدرسة للطفل، هي أن تمكنه من تقنيات الإمساك بالريشة حتى يتسنى له رسم حياته بنفسه ليحبها ويحب نفسه.

عاشه المعتزلة في صراعهم مع أهل السنة والجماعة. عاشه ابن تيمية في محاولته "درء تعارض العقل والنقل". عاشه ابن رشد في "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال".



وعاشه محمد عابد الجابري من خلال مفاهيم العقل البياني والعرفاني والبرهاني. وسنعيشه لألف سنة أخرى.

وهكذا وفي ظل غياب الحسم، ستظل الأسرة المغربية التقليدية بكل محدثاتها الإيديولوجية هي التي تلعب دور صناعة الإنسان "الناقل". فتدفع في سن السادسة إلى المدرسة، بطفل راشد "مكتمل" النمو محسوم العقيدة والفكر والتوجهات، ليقترص دور المدرسة على ثلاثة غايات:

- تكريس وتأكيد توجهه الفكري المقرر والمحسوم مسبقا من

أحيانا نصادف إنسانا نُعجب بأخلاقه وأدبه ورُقي تفكيره. فتمتدحه لما هو عليه، مفترضين أن الفضل في ذلك يعود له حصريا، متناسين أنه وعلى امتداد أربعة عشرة سنة، هي سنوات طفولته، كان مجرد عجيب طبع في يد غيره، هو من شكله وصنعه، وهو من يعود له الفضل الأكبر في نجاحه. إن تجربة صناعة "إنسان" هي تجربة عمر، تقوم على الكثير من الشروط والمستلزمات. لكن. هل بتكرار هذه الشروط يمكننا تكرار تجربة النجاح، وصنع آلاف النسخ من شخصية متفوقه، تقوم بالبلاد والعباد؟

هذا بالفعل ما تصبو إليه كل المؤسسات التعليمية عبر العالم منذ نشأتها. لكن قبل التطرق للسبل الكفيلة بصناعة هذا الإنسان الناجح. الأولى أن نتفق على ماهية الإنسان أولا.

سواء في الغرب، أو الشرق، أو الشمال، أو الجنوب، فإن جُل البشر اتفقوا على أن للإنسان بعدين رئيسيين:

- البعد الأول هو العقل: ويقوم على المنهج العقلي التجريبي كسبيل للمعرفة. مع مراجعة مستمرة للمسلمات والأسس بالاعتماد على الشك المنهجي والنقد الذاتي. كل ذلك في إطار من حرية الفكر والعقيدة والحق في التعبير.

- البعد الثاني وهو البعد الأخلاقي: ويعتمد على مبادئ حقوق الإنسان الكونية، كما تعارف عليها البشر.

على الخلاف من ذلك، وعلى خلاف إجماع جل بقاع العالم، ظللنا نراوح مكاننا ممزقين بين النموذج الحدائي السالف الذكر، ونموذج ثرائي يقول بالإنسان "الناقل" (من النقل): هذا الأخير، يعتمد بدل العقل، على الإيمان بالغيبيات، والتصديق بالنصوص المنقولة والاكتفاء بتفسيرها.

وبدل الأخلاق الإنسانية الكونية يحصر الأخلاق في إطار التقيد بالتشريعات الدينية كمحدد للحلال والحرام.

هذا التمزق بين النموذجين الذي نعيشه اليوم، عاشته على مدى قرون كل الأجيال التي سبقتنا، وخاضت محاولات عديدة للتوفيق بينهما، أو لإثبات عدم التعارض بين العقل والنقل (أو بين العلم والدين).

المدارس الخاصة بين الانتهازية والجشع

♦ محمد الحمري

فرص لنهب جيوب الزبناء بطريقة ذكية وبرضاهم، من خلال أنشطة الدعم التربوي - شراء الكتب الأجنبية - الأنشطة الموازية - الإطعام - الحراسة بالنسبة لتلاميذ التعليم الابتدائي... ولكن أين كانت الأسر عندما ترفع المدرسة الخصوصية من قيمة الواجب الشهري أو واجب التامين أو تطالبهم بأداء مبالغ إضافية عن مهام من صميم المدرسة (الدعم التربوي مثلا)؟؟

7 - تبني المدرسة الخصوصية مجدها على ثلاثة أسس: خرق القانون - ضرب المدرسة العمومية - تحكّم المدرسة الخصوصية في اختيار التلاميذ.

8 - أسر المدارس الخصوصية تعيش نشوة وتحس بارتقاء اجتماعي مزيف هو الآخر عندما تقف سيارة النقل أمام منزلها لتقل أبناءها، وأبناء الجيران يتجهون مشيا إلى المدرسة العمومية، وبعد حين يعود بعضهم بسبب الإضراب أو رخصة مرضية أو غياب أستاذ(ة) بدون مبرر ما دام المستقبل المهني مضمون. وتحس أيضا الأسر بالنشوة عندما يتحدث أبنائها باللغة الفرنسية في المحلات التجارية والمطاعم، بل تدفعهم للتحدث باللغة الأجنبية للتباهي. فلغة التحدث في الشارع تحدد نوع التعليم الذي يستفيد منه المتحدث.

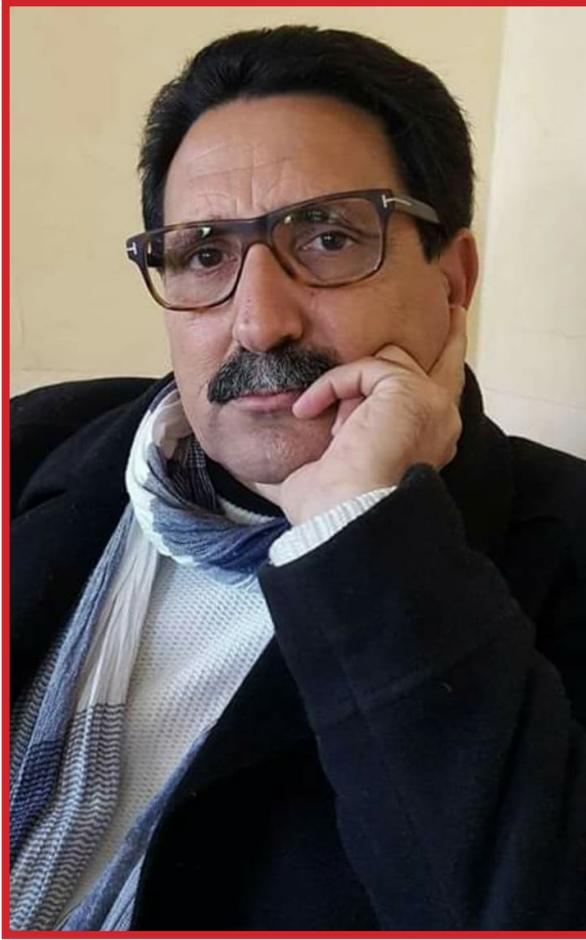
9 - صحيح أن بعض الأسر مرغمة على تسجيل أبنائها في المدارس الخصوصية لتوقيتها المناسب ولحماية الأبناء من مخاطر الطريق ومحيط المؤسسات العمومية غير الآمن، لكنه يدل على انتهازية مفرطة وبحث عن حلول فردية لمشاكل جماعية فعوض التكتل والنضال الجماعي من أجل فرض إصلاح حقيقي للمنظومة التربوية يتم اللجوء إلى مدارس تكرر الطبقة.

خلاصة القول أن مدارس خصوصية جشعة تبني مجدها المزيف بدعم الدولة التي ترفع يدها تدريجيا عن الصحة والتعليم، وزبناء انتهازيون يبحثون عن مستقبل أبنائهم، متوهمين النجاة بأنفسهم وغير مدركين أن ضرب المدرسة العمومية خطر على الجميع.

ملحوظتان لهما علاقة بما سبق:

أ - في إحدى الاجتماعات الرسمية في الوزارة بداية الموسم الدراسي 2010 - 2011 وقع خلاف بين جهتي حول نقطة معينة، فاقترح أحد الزملاء للحسم في الموضوع مازحا أن تميل الكفة لمن يدرس أبناءه في القطاع العمومي، فتفاجأت عندما رفعا أيدينا نحن الثلاثة من مجموع الحاضرين 15.

ب - في يوم من أيام الموسم الدراسي 2006، كان أحد النقابيين يوزع نداء للمشاركة في إضراب محلي مشكوك في مشروعيته، أمديني النقابي بالنداء بأحد المقاهي فسألته: هل سيعود ابنك يوم الإضراب إلى المنزل كما سيعود ابني؟ فتلعثم لأنني أعرف أن ابنه يدرس في مؤسسة خصوصية. فقلت له: للأسف أنت غير مؤهل للدعاية للإضراب.



السنوات الإشهادية تفاديا للتأثير على نسبة النجاح الوهمية. هذا دون أن تسائل المدرسة الخصوصية نفسها عن هذا التراجع في المستوى. وكذلك أثناء التسجيل لا تقبل المدارس الخصوصية من لا يحصل على نقط مرتفعة في ركانز التسجيل.

5 - يستند القطاع الخصوصي في تبخيس المدرسة العمومية

تابعت النزاع القائم بين الأسر والمدارس الخصوصية حول واجبات أشهر الحجر الصحي، وما خلق من نقاش حول التعليم الخصوصي وكأن هذا التعليم وتجاوزاته وليد اللحظة فقط. وبعيدا عن المزايدات النضالية أود توضيح بعض الأمور من وجهة نظري.

1 - النزاع بين الأسر والمدارس الخصوصية هو مرتبط بالجانب المالي فقط، حيث وجد الآباء فرصة الجائحة مبررا لرفض أداء واجبات دراسة أبنائهم، علما أن الجائحة قوة قاهرة على الجميع. ولا مسؤولية للمدارس الخصوصية فيها؛ فعلى الموظفين وذوي الدخول المرتفعة أداء ما في ذمتهم، ما دامت رواتبهم لم تتوقف، أما باقي الزبناء الذي تأثروا بالجائحة فمن الواجب على المدارس الخصوصية التعامل بمرونة مع الوضع.

2 - المدارس الخصوصية أنواع من المصنفة 5 نجوم إلى البناء العشوائي، ومن أبواب المدارس من راكم ثروة طائلة فسارح إلى تأسيس سلسلة من المدارس الخصوصية في مدن مختلفة، وبعضهم بالكاد يصارع من أجل البقاء. لذلك لا يجب التعامل مع كل المدارس بنفس الطريقة في هذا الموضوع بالتحديد.

3 - زبناء هذه المدارس استفادوا ويستفيدون من التجاوزات الخطيرة للقطاع الخصوصي للمناهج المغربية، ولغياب المراقبة الصارمة من طرف الدولة لأن هناك توجهها لدعم هذه المدارس من أجل ضرب القطاع العمومي. هذا التجاوزات ساهمت في ضرب مبدأ تكافؤ الفرص بين تلاميذ العمومي وتلاميذ الخصوصي، فمثلا يتم - في القطاع الخصوصي - إلغاء المواد الأدبية في الثانية باكوريا في الشعب العلمية والاستفادة من غلافها الزمني لصالح الرياضيات والعلوم من أجل منح فرصة أكبر للتلاميذ للتمرن على الاختبارات الوطنية. فلو قامت مدرسة عمومية بإلغاء مادة التربية الإسلامية في الثانية باكوريا مثلا لقامت الدنيا ولن تقعد، في حين يصمت الجميع أمام القطاع الخصوصي وخصوصا دعاة "الإسلام في خطر". هذا

بالإضافة إلى تدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية قبل أكذوبة ما يسمى بالتناوب اللغوي، وذلك من أجل تأهيل تلاميذ الخصوصي لمسيرة الدراسة في التعليم العالي. إذن المدارس الخصوصية وفرت للأسر الذين يأكلون الغلة ويسبون الملة امتيازات لأبنائهم، ليتمكنوا من حصد المقاعد في كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان والهندسة المعمارية وغيرها. كما استفاد زبناء القطاع الخصوصي من النفخ في نقط المراقبة المستمرة لسنوات طويلة مما ساعد أبنائهم في ولوج المعاهد العليا على حساب تلاميذ القطاع العمومي.

4 - هناك صراع قائم بين القطاع العمومي والخصوصي

خفي وظاهر أحيانا، ويعمل القطاع الخصوصي على تغذيته من خلال الحط من قيمة المدرسة العمومية ومثالا على ذلك فالتلاميذ الذي يتراجعون في مستواهم الدراسي في القطاع الخصوصي يطلب من أسرهم نقلهم إلى المدرسة العمومية حيث مستواهم المناسب - حسب زعمهم -، ويتم ذلك عادة في

على كون العاملين في القطاع العمومي لا يستهلكون منتوجهم، مستثنين على أن جل أبناء الموظفين في وزارة التربية الوطنية يدرسون في القطاع الخصوصي كشهادة مجانية للجودة في هذا القطاع.

6 - صحيح أن جل المدارس الخصوصية لا تتوانى في البحث عن



في إضراب محلي مشكوك في مشروعيته، أمديني النقابي بالنداء بأحد المقاهي فسألته: هل سيعود ابنك يوم الإضراب إلى المنزل كما سيعود ابني؟ فتلعثم لأنني أعرف أن ابنه يدرس في مؤسسة خصوصية. فقلت له: للأسف أنت غير مؤهل للدعاية للإضراب.

البعد الطبقي والتقليدي للتعليم

الدروس المتبقية تم استعمال 600 ألف تلميذ؛ وبيت الدروس عبر القنوات التلفزيونية الوطنية (الثقافية، الأمازيغية، العيون)، وبلغ عدد الدروس التي تم بثها تلفزيونيا 59 درسا، وعدد الدروس المصورة 3127 درسا؛

وتم تكوين 23290 من أساتذة اطر الأكاديميات واطر الإدارة التربوية عبر منصة e-takwine. المدمجة في منظومة مسار لتمكين الأساتذة من التواصل مع التلاميذ، والتعليم عن بعد Teams - إطلاق الخدمة التشاركية وإطلاق الخدمة من خلال إنشاء أقسام افتراضية، والتي بلغ عددها في التعليم العمومي أزيد من 725 ألف قسم نسبة تغطيتها 95.85%، وفي التعليم الخصوصي أزيد من 108 ألف قسم بنسبة تغطية وصلت إلى 70.64%. وبلغ عدد مستعملي هذه الخدمة حوالي 85 ألف أستاذ و300 ألف تلميذ.

هنا نلاحظ أن الوزارة في تقييمها لحصيلة تطبيق التعليم عن بعد اكتفت بالمعطيات الرقمية والتقنية المستعملة، ولم تقيم مدى الاستفادة الفعلية للمتعلمين من التعليم عن بعد، بإجراء مثلا تقييمات بيداغوجية رقمية، ومعرفة المعوقات الموضوعية والحقيقية لفشل التعليم عن بعد، بذات الأسباب البيداغوجية (عدم تملك الكفايات الرقمية لدى المتعلمين والمدرسين)، أو ذات الأسباب الاجتماعية الطبقة، لعدم توفر جل المتعلمين خاصة المنتمين للفئات الهشة على الحوامل الرقمية أو أكثر من جهاز تلفاز بالنسبة للأسر التي لها أكثر من ابن، وعدم الربط بالانترنت أو ضعفه، وخاصة النسبة الكبيرة التي يشكلها متعلمي الوسط القروي والأحياء الشعبية للوسط الحضري؛ وهذا له علاقة بالسياسات والاختيارات العمومية التي تنتج الفوارق الطبقة والتميزات والتفاوتات المجالية، من حيث الاستفادة من الخدمات العمومية التجهيزية والتعليمية الجيدة وغيرها وهذا بالطبع يؤثر سلبا على فعالية ونجاح المتعلمين وفشل أي برامج إصلاحية أو خدماتية تعليمية، بما فيها التعليم عن بعد. في الختام، نستنتج ونلاحظ أن تجربة التعليم عن بعد لهذه السنة، كشفت للعيان الاختلالات الحقيقية للنظام التعليمي المغربي وللمدرسة العمومية المغربية، حيث ما زالت غارقة في التخلف والتقليدية، وتعجز بأشكال التمايزات الطبقة والمجالية وغياب تكافؤ الفرص في النجاح والتعليم أمام كل أبناء المغرب.. ومازلت مدارسنا المغربية (ونظامنا المجتمعي) في حاجة إلى إصلاحات تحديثية علمية وديمقراطية وحقوقية ومواطنة حقيقية..

على تشكل أنواع المدارس ونسبة تحديثها، خصوصا بالتجهيزات البيداغوجية الرقمية وتكنولوجيا التعليم الحديث. ناهيك عن شبه غياب كلي لأي تكوين أساسي أو مستمر للأطر التربوية ولأي مناهج أو مواد دراسية رقمية ومعلوماتية تستهدف المتعلمين، لاكتساب المعارف والكفايات المعلوماتية والرقمية؛ وهنا نتذكر مختلف التقييمات السلبية التي عرت عن مدى فشل برنامج جيني وتوقفه العملي، حيث كان من بين أهدافه تجهيز كل المؤسسات المدرسية العمومية بهذه التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصالات (حيث ما تم انجازه منها اقله غير صالح أو لا يستعمل أو أصبح خردة)، وضعف تكوين المدرسين والمتعلمين في هذا المجال. كل ذلك عمل سلبا في إفشال تطبيق التعليم عن بعد، سواء بالنسبة لأغلب المدرسين والمتعلمين الذين يفتقدون للكفايات



البيداغوجية الرقمية كمعرفة ومهارات، سواء للتعلم الرقمي بالنسبة للمتعلمين أو للإنتاج والتدريس الرقمي البيداغوجي الجيد بالنسبة للمدرسين. هذا يظهر لنا مدى حاجة نظامنا التعليمي التقليدي الملحة والضرورية لطفرة وثورة تحديثية فيما يخص دمج التكنولوجيات الحديثة والرقمية مناهجا وتجهيزيا وتكوينيا، ومحاربة التمايزات الطبقة مدرسيا بتوحيدها من حيث العمران والتجهيزات والبنىات والمناهج التعليمية الحديثة.

في جواب وزير التربية الوطنية على سؤال محوري حول حصيلة التعليم عن بعد وأفاق استكمال السنة الدراسية بمجلس المستشارين، الثلاثاء 12 ماي 2020، نلمس كذلك خلفيته الامبريقية في تقييم هذه الحصيلة، حيث اكتفى فقط بتقديم معطيات تقنية وإحصائية رقمية، وكانت كالتالي: لتوفير موارد رقمية للمتعلمين والمتعلمات (6000 مورد رقمي TelmedTice - لاستكمال

ما يهمنا في هذا المقال، كتحقيق لتطبيق الوزارة للتعليم عن بعد، هو أن نبين بعض مواطن فشل وقصور وزارة التربية في تديرها وتصورها وتقييمها للتعليم عن بعد في المدرسة المغربية، من خلال اعتماد مقارنة وظيفية - أمبريقية داخل مجال مدرسي ومجتمعي تقليدي وهش (التجهيزات والبنىات الرقمية والتكنولوجية الحديثة)، معتمدين في تقييمنا هذا على المدرسة النقدية في سوسيولوجيا التربية (خاصة مسألة النظام التعليمي والانتماء الاجتماعي/الطبقي).

من المعروف انه تم توقيف الدراسة الحضورية انطلاقا من يوم 16 مارس 2020 نتيجة جائحة كورونا (كوفيد 19)،

واعتمدت الوزارة أنها بتوظيفها للتعليم عن بعد كعلاج لهذا الخلل الطارئ، يكفي توظيف التعليم عن بعد كإجراء تقني جزئي لانقاد السنة الدراسية والمنظومة التعليمية



♦ محمد الصدوقي

سوسيولوجياً، جل المقاربات المنهجية والمعرفية التربوية الرسمية التي قاربت منظومة التربية والتعليم في أبعادها الإصلاحية التدييرية والتقييمية خاصة، كانت تنتظم أساسا وفق مقارنة وظيفية-أمبريقية؛ حيث إن المقاربة الوظيفية تهتم "بعلاج الخلل القائم في النظام التعليمي من خلال التركيز على نظام التعليم ذاته، أو في علاقته بالنظم الفرعية الأخرى في المجتمع دون أن تشير إلى الخلل القائم في النظام الاجتماعي العام. وعليه فإن طبيعة المعرفة التربوية، حسب هذه المقاربة، هي معرفة وظيفية، تبريرية ومحافظية، تركز النظام القائم (الاجتماعي والمعرفي والإيديولوجي والقيمي..) وتعيد إنتاجه". أما المقاربة الإمبريقية فإنها "تتجه إلى التركيز على المجالات المحدودة، والاهتمام بالمشكلات الجزئية، والوقائع المعرفية المعزولة عن سياقها التاريخي والذاتي وإطارها الاجتماعي، والعناية بالمنهج، والتصاميم والمقاييس والنماذج الكمية والإحصائية، والاعتماد على المعطيات التجريبية، دون اعتبار النظريات التفسيرية، واستبعاد التصورات القبليّة والذاتية."

في حين يتم الإبعاد الكلي (بطريقة مقصودة أو جاهلة) للمقاربات المنهجية والمعرفية للمدرسة النقدية أو الراديكالية في السوسيولوجيا وسوسيولوجيا التربية (من بين روادها المعروفين بيير بورديو صاحب مقولات الرأسمال ثقافي أو الرمزي وإعادة الإنتاج...); حيث نجد "ربط المعرفة التربوية (المدرسة) بالأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما أنها تطرح الأسئلة حول إنتاج المعرفة وشرعيتها وتوزيعها وتقويتها داخل المدرسة، ونوع المصالح التي تدافع عنها، والفئات التي ترتبط بها خارج المدرسة (خاصة الانتماء الاجتماعي الطبقي)، وشكل العلاقات والمبادئ التي تؤكدتها، والسياسات التي تحكمها، والمؤسسات التي تتحكم فيها في إطار ثقافة ومجتمع معينين."

ككل (خلفية وظيفية)، متغافلة وجاهلة لمدى العلاقة البنوية والجدلية بين متغيرات المدرسة (كبنىات وتجهيزات) وأنواع المدارس، وباقي الأنظمة والمتغيرات المجتمعية الأخرى (التجهيزات والبنىات العمومية، الفوارق الاجتماعية الطبقة والمجالية)؛ حيث نجد أن أغلب المدارس العمومية ما زالت تقليدية على مستوى البنىات والتجهيزات البيداغوجية (الرقمية والتكنولوجية الحديثة للمعلومات والاتصالات)، إذ نلاحظ تمايزات ولا تكافؤ للفرص بينها وبين مدارس التعليم الخصوصي ومدارس البعثات، ناهيك عن التمايزات المجالية في هذه التجهيزات بين المدارس العمومية نفسها: مدارس الأحياء المهمشة ومدارس الأحياء المتوسطة والغنية، مدارس الوسط الحضري ومدارس الوسط القروي التي تشكل حسب آخر إحصاء للوزارة (2018/2019) نسبة 54.36% (5276 مؤسسة ابتدائية وإعدادية وتأهيلية)؛ هنا نلاحظ مدى تأثير خلفية الانتماء الطبقي

التعليم: ذراع الدولة الإيديولوجي

♦ عبدالعاطي اربيعة



مصفاة قائمة بذاتها تجعل من أبناء العمال عمالا، ومن صغار الموظفين موظفين، ومن أصحاب الرأسمال رأسماليين.

إن التعليم من خلال ما سبق، يعتبر من أخطر أجهزة الدولة الإيديولوجية، بل أخطر من أجهزتها القمعية حتى، والنظام المغربي واع بذلك، منذ زمن طويل، فقد عمل على ضرب المدرسة العمومية عبر السياسات التعليمية المتعاقبة، والتي كانت تؤدي دائما إلى عكس الأهداف المعلنة قبل تنزيلها، هذه السياسات التعليمية الفاشلة أو المفشلة، والتي تعاقبت عليها عدة لجان ومخططات زادت التعليم انحدارا.

وبالرغم من أن التعليم لطالما اعتبر قطاعا سياديا، وبالرغم من الميزانيات الضخمة التي

رصدت لهذه السياسات التعليمية المتبعة، أو ما سميت كل مرة بالإصلاح، إلا أنه مرارا ما كان يعلن عن فشلها حتى قبل انتهاء المدة المخصصة لها، مع نفقات بالملايير تذهب هباء منثورا، وهو ما يجعل كل من يمتلك عقلا نقديا يتساءل، هل هذه السياسات كانت تفشل فعلا؟ وإن كانت كذلك، فلماذا كان الفشل؟ وبالرغم من أن هذه الأسئلة تحمل استنكارا بين طبقاتها، فلا بد من توضيح المغزى منها، فبالنسبة للدولة وباعتبار التعليم كأبرز أذرعها الإيديولوجية، فالنتائج التي كانت تصل إليها هذه السياسات هي المبتغى في حد ذاتها، وبالنسبة لها، فالسياسة التعليمية هي سياسة الفشل، حتى تحارب انبثاق أي فكر نقدي، يطل عليها من شقوق المؤسسات التعليمية المهترئة، كما تطل أولى أشعة الغسق، وبالتالي فهذا الفشل يمكنها من استدامة الوعي الزائف السائد، ومن خلاله الحفاظ على علاقات الإنتاج السائدة.

إذن فنحن الحالمون بغد أفضل، وحدنا من نتجرع مرارة هذا الفشل ومعنا عموم الجماهير الشعبية الكادحة، التي تراقب في صمت طموح أبنائها في الترقى الاجتماعي يتبخر بسبب نظام تعليمي طبقي، لا يخدم إلا مصلحة الطبقات الغنية ومن خلفهم جهاز الدولة. إن معركة التعليم العمومي، لا تقل أهمية عن معركة التغيير الديمقراطي، ويجب أن تخاض بضراوة حادة، حتى ينبعث نور الأمل في الأجيال القادمة، وحتى لا تظل صرخة محمد جسوس هي الحقيقة الثابتة: "إنهم يريدون خلق جيل من الضباع".

كثيرا ما نتكلم عن التعليم كقطاع اجتماعي حيوي، يلعب دورا أساسيا في تأهيل المواطنين إلى سوق الشغل، ويعهد إليه برفع الوعي المجتمعي، ومحاربة الجهل والأمية، ونعتبره مدخلا لا يمكن تنوير المجتمع إلا من خلال إصلاحه، ولا سبر أغوار التقدم إلا بركوب سفينته، لكن قليلا ما أصبحنا نعود لوظيفته الأساسية بالنسبة للدولة كأداة في يد الطبقة المسيطرة، ألا وهي وظيفته الإيديولوجية كسلاح في يد الدولة، تضاف إلى أجهزتها القمعية، والتي تنبني أساسا على استخدام القوة المادية، للحفاظ على الظروف السياسية لاستدامة علاقات الإنتاج.

وإن أصبح أغلب المناضلين يركزون في مواجهتهم لاستبداد الدولة على أجهزتها القمعية، فإن أجهزتها الإيديولوجية هي التي تضمن إلى حد كبير استمرار علاقات الإنتاج على حالها، وتقود كل محاولات الانعتاق من براثن الاستغلال، فما معنى الإيديولوجية؟ وما هي أجهزة الدولة الإيديولوجية؟ أين يتموقع التعليم بالنسبة لها؟ وكيف عمل النظام المخزني المغربي على ضرب المدرسة العمومية واستغلال التعليم لمقاومة كل محاولات التغيير؟

"إن الأيديولوجية هي انعكاس مقلوب للعلاقات المتحققة. إنها العالم مقلوب رأسا على عقب." - فريديك إنجلز

إن الانطلاق من هذه الفكرة التي طرحها إنجلز، منذ أمد طويل، كفييل بتقريبنا من تعريف الإيديولوجية، كمفهوم يرتبط بالبنية الفوقية، فحسب الماركسية، دائما ما يكون الواقع سابقا للفكر، الواقع الذي يمثل مجموع العلاقات المتحققة، والتي تنعكس على وعي الناس، وتحدد وعيهم، وغالبا ما يكون هذا الوعي زائفا، إذا لم يستطع فهم طبيعة هذه العلاقات التي تحركه، وهو ما يجعل الدولة تتحكم بشكل كبير في الوعي السائد وسط المجتمع وتكبح بزوغ أي وعي مناقض لما تبتغيه.

وتتعدد أسلحة الدولة الإيديولوجية، والتي كان أول من أصل لها هو الفيلسوف الماركسي لويس ألتوسير في مقالة الإيديولوجية والأجهزة الإيديولوجية للدولة، والتي حاول فيها تفنيد فكرة حياد التعليم، الذي تستخدمه الدولة إلى جانب الجهاز الإيديولوجي السياسي، الديني، الإعلامي.. للترويج ونشر سياساتها، وضمان استدامة علاقات الإنتاج القائمة.

فالمدرسة باعتبارها مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، والتي يقضي بها الأطفال ساعات طوال، يمكن اعتبارها معملا، يحدد مواصفات مواطن الغد، حيث تعمل على تشكيل قيمه الأخلاقية والسلوكية، وبالتالي فهي مصدر القيم الرئيسي، قيم النظام الرأسمالي السائد، هذا من جهة؛ أما من جهة أخرى فهي تعمل على تلقينه المكتسبات والمهارات المطلوبة، بما يضمن لها إعادة إنتاج المهارات الحرفية والكفاءات المهنية التي تحتاجها بسوق قوى العمل، وبالتالي فالجهاز الإيديولوجي التعليمي، يعمل على غرلة الأفراد وفق طبقاتهم الاجتماعية، حيث يحدد بصورة مطية، مهنة كل فئة، فالذين يفشلون في بداية مسيرتهم الدراسية يكونون العمال والمعطلين، وغالبا ما يكونون أبناء الطبقة الفقيرة، ثم يليهم صغار الموظفين، ثم أصحاب الرأسمال وهكذا... إنه



الملحة الثقافي

الطريق

(إبداع وفنون)

إعداد: عبد الغني عارف

في المرأة...

♦ عبد الغني عارف



من المعلوم أن وزارة الثقافة دأبت في السنوات الأخيرة على دعم الكتاب المغربي من خلال صيغة تستهدف التخفيف من عبء مقاولات النشر، حيث يتم سنويا دعم ما لا يقل عن 500 عنوان جديد، فضلا عن دعم المجالات

الثقافية والمواقع الإلكترونية ذات الطابع الثقافي، بالإضافة إلى تحمل الجزء الأوفر من تكاليف مشاركة بعض دور النشر في المعارض الدولية بالخارج.

غير أنه مع التعيين الأخير لوزير جديد للثقافة ارتأت الوزارة تغيير استراتيجيتها في مجال الدعم، حيث أصدرت دفتر تحملات يتحدث عن صيغة الاقتناء المباشر للكتب المطبوعة من الناشرين والكتبيين بدل صيغة التمويل المباشر لدور النشر.

وإذا كانت الوزارة قد أعلنت عن المعايير التي ستعتمدها في اقتناء الكتب، وفي مقدمتها إعطاء الأولوية للكتاب المغربي وملاءمة الكتب المرشحة لمعايير الجودة، مع توفرها على ما أسسته شروط الجودة والقيمة الإبداعية، فضلا عن إيلاء عناية خاصة لكتب الأطفال والباحثين وللكتب المؤلفة بالأمازيغية

والحسانية؛ إذا كان الأمر كذلك فإنها في المقابل لم تصرح بالأسباب الداعية إلى هذا التحول المفاجئ في صيغة الدعم ولا الخلفيات الكامنة وراء تغييرها.

واعتبارا لكون العملية ليست مرتبطة بوزارة الثقافة كطرف وحيد، بل فيها مؤسسات وشركاء معنيون بتفاصيل كل القرارات التي تتخذ، خصوصا وأن لها أوجها اقتصادية وتبديرية خاصة بمقاولات النشر التي كانت تستفيد من الدعم، وبالتالي كان المنطق يستدعي التهييء النفسي والمادي لتحول من هذا النوع، وذلك عبر الاستشارة القبلية مع كل الجهات المعنية ووضعها في أجواء التصور الجديد لصيغة الدعم، بل وحتى إمكانية إعطاء فرصة زمنية لإنضاج هذا التصور من خلال مختلف آليات التواصل والحوار والنقاش. وهذا بالطبع هو ما لم يحصل، مما جعل قرار الوزارة بهذا الشأن يثير دود فعل، فيها كثير من الامتعاض والإدانة، من قبل مؤسسات النشر المعنية، وكذا بعض الجمعيات والتنظيمات المهنية والثقافية التي تنشط في مجال النشر الفن والإبداع عموما وفي هذا الإطار اعتبر "نادي القلم المغربي" التراجع عن دعم الكتاب المغربي "جريرة لا يمكن أن يتم الإقدام عليها إلا بقرار سياسي واستراتيجي يسعى إلى المزيد من إقصاء الثقافة المغربية."

كما عبرت جمعية الكتبيين المغاربة عن رفضها لهذا القرار الأحادي مؤكدة أن "لجوء وزارة الثقافة إلى اقتناء المؤلفات من الناشرين والجمعيات الثقافية المهتمة بنشر الكتاب المغربي، ليس حلا أو بديلا ولا يمكن أن يكون.. خصوصا إذا استحضرنا ما ورد في دفتر التحملات بشأن عملية اقتناء الكتب حيث استثبتت من عملية الاقتناء الكتب التي سبق نشرها

أي تصور لدعم الكتاب المغربي؟

بدعم من الوزارة.

لا شك أن إشكالية دعم الكتاب المغربي، بأي صيغة من الصيغ القائمة أو البديلة، تطرح نفسها اليوم بإلحاح باعتبارين اثنين على الأقل: يتمثل أولهما في الغياب الكلي لأي أرقام تعطينا فكرة عن نتائج سياسة دعم الكتاب، باستثناء ما يتعلق بعدد الكتب التي تم دعمها وبدور ومقاولات النشر التي استفادت من الدعم، أما الاعتبار الثاني فيتمثل في أنه لحد الآن لم يتم القيام بأي دراسة تقويمية لنتائج دعم الكتاب وانعكاساتها الفعلية على رواج الكتاب المغربي وتوسع دائرة مقرئيه. ولذلك فوزارة الثقافة مطالبة اليوم بتقديم ما يكفي من المعطيات بكل شفافية لنتمكن جميعا من إمكانية الجواب عن سؤال يتعلق بمدى استفادة الكتاب المغربي فعلا من عملية الدعم المالي لدور النشر؟.. وعندما نتساءل في هذا الاتجاه فإننا لا ننظر إلى الكتاب كمنتوج في علاقته مع دار النشر أو الناشر فقط، بل أيضا في علاقته بالمؤلفين والقراء وبأئمة الكتب وفي الرواج الفعلي للكتاب المغربي. ولعل فتح حوار واسع وصريح حول هذه الجوانب كلها من شأنه أن يوحد الرؤى حول أنجع التصورات الممكنة الكفيلة بجعل دعم الكتاب يندرج حقيقة في خانة تحقق فيها، بصورة متفاعلة ومتكاملة، مصالح كل الأطراف ذات الصلة بصناعة الكتاب وإنتاجه، ونقصد بذلك: الناشرين والمؤلفين والقراء وأئمة الكتب، وبما يسمح برواجه على أوسع نطاق ممكن، مع تقوية توفره في المكتبات المدرسية والجامعية، وكذلك في مكتبات دور الشباب ومختلف مؤسسات الرعاية التربوية والاجتماعية للأطفال والشباب..

غدا، سيستيقظ الإنسان من هذه الصدمة، وسيجد أن "عالمه" قد اختفى إلى الأبد.

شهادة من زمن الحجر الصحي

روايتي الأولى "ليالي الحرير" التي نشرت سنة 2012. بعد عشر سنوات تعود الساردة إلى النفق، الذي دخلته موتهما الإكلينيكي في الرواية السابقة، هذه المرة تدخله من باب الموت الوبائي في زمن كورونا..

"كجثة في رواية بوليسية" رواية يقترن فيها مصير الراوية ومصير الشخصية الرئيسية، في سباق مع الزمن وصراع ضد الموت.

هل ستعيش الراوية لإنهاء الحكاية؟ وهل ستعطي الساردة فرصة حياة أخرى؟

بصفة عامة، فجائحة كورونا، وما نتج عنها من حجر منزلي، هي لحظة تأمل في الآتي..

غدا، سيستيقظ الإنسان من هذه الصدمة، وسيجد أن العالم "عالمه" قد اختفى إلى الأبد.

وعليه أن يبنى عالما آخر أكثر إيجابية. عالم يتعايش فيه الإنسان والحيوان في كنف الطبيعة، بأمن وسلام. وسيكون على الكتاب

أن يساهموا في هذا البناء. الأكيد أن الكلمة التي سيطبقها كاتب لن تدمر ذلك الكائن المجهرى الصغير، لكنها ستسجل اللحظة وأثر الكارثة، عسى أن لا ينسى العالم أن كوفيد-19-

مر من هنا.

♦ عائشة البصري

بعد أو حالة في طور التكوين. لكن تحت تأثير أجواء الموت والعزلة والأخبار التي تصلنا كل يوم عبر القنوات الفضائية، وحتى الشك في الغد، لم أستطع تجاهل ما يحدث في العالم ومقاومة الكتابة على التدايعات النفسية للجائحة علي وعلى الآخرين، كالخوف من العدوى ومن الموت. إذ "لا يبقى كل شيء على حاله، فيما كل ما يحيط بك هو الموت". هكذا وجددتني أقود شخصية روائية إلى عوالم الموت والصراع مع وباء كورونا.

استغراق في رواية اشتغل عليها منذ سنتين، لم يردني عن ترك شخصية دونجونان في شرفة مقهى باريس يشرّب الكابوتشينو ويستمتع بأشعة شمس ربيعية ومرافقة شخصية (امرأة) إلى موتها. فتحت باب الموت على مصراعيه ودخلت، دون سابق نية، عوالم رواية جديدة.

الرواية التي أنهيتها منذ أسابيع، وهي الآن في دار النشر، تحت عنوان "كجثة في رواية بوليسية"، تعتمد حكيًا كرونولوجيا يتطلب متابعة الأخبار اليومية عن انتشار وباء كورونا.

قد تكون هذه الرواية هي الجزء الثاني من

في الكتابة وباقي اليوم في القراءة والترتيبات المنزلية. السادسة مساءً أجلس بانضباط لمتابعة النشرة الإحصائية لانتشار الوباء في المغرب وفي العالم. في آخر المساء أشاهد فيلما سينمائيا، وقد ركزت مؤخرًا على الأفلام القيامية.

رغم رعب اللحظة، قد يكون الحجر المنزلي نعمة للكتاب وفرصة لإتمام مشاريع مفتوحة، قراءات مؤجلة، ترتيب مكتبة مهملة. قراءة أو إعادة قراءة كتاب عالميون كتبوا عن الوباء.

بحكم سياق الرواية التي اشتغل عليها أعدت قراءة رواية "الطاعون" تتخيل وباء أصاب مدينة وهران الجزائرية للكاتب الفرنسي ألبير كامو. ورواية "القلعة البيضاء" التي تتحدث في فصول منها عن وباء اجتاح إسطنبول. رواية "العمى" لجوزيه سراماغو..

شخصيا، و منذ الأسبوع الأول للحجر المنزلي، وقفت كتابة رواية كنت أشتغل عليها لأدخل رواية جديدة تدور أحداثها في زمن كورونا..

ليس من عادتي أن أكتب عن موضوع آني، أجد أنه من التسرع الكتابة عن ظاهرة لم تتضح



لم يغير الحجر المنزلي الكثير في إيقاعي اليومي. فانا لا أغادر البيت كثيرا في الأيام العادية. واطبت على إيقاعي اليومي استيقظ باكرا أشتغل الأربع ساعات الأولى من اليوم

"بياض ساخن" بين جينالوجيا الجنون ومحكي العائلة

1. محكي عائلي كابوسي: 2. شخصيات بمصائر ملتبسة:



في وجوه من يتوقفون أمامها وتشتم كل من يحاول إنهاضها، وتضرب أطفال الشوارع الذين يضحكون عليها، يتطير الرذاذ من فمها الملوث بما تأكله من صناديق القمامة، وشعرها المشعث مثل القنفذ يجعلها مرئية لجمع المتجهين إلى ميدان التحرير سواء أكانوا في سياراتهم أم كانوا راجلين. كانت تفعل كل ما يجعل من المستحيل ألا يلاحظها العابرون، فهي تختار الأماكن الأكثر احتمالا لتواجد معارفها وزوجها وأهلها وأبنائها كأنها تريد أن تفاجئهم لكي تتلذذ بمشاهدة العار في أعينهم، وهي تثق أنه لن يستطيع الاقتراب منها أحد مهما حاول أن يتوسل أو يتكلم أو يبيي أو حتى يصفعها على وجهها).

وفي هذا سياق هذه الرؤية الشيزوفرنية الممزقة للشخصية الرئيسية عبلة التي تمارس فعل التذکر من حين لآخر، وترتض إلى حالتها الطبيعية وتساكن ذاتها والذوات الأخرى بين الفينة والأخرى، نلقي تلك العلاقة المتوترة، المضطربة، المقلوبة بالعالم الخارجي بما فيه من إنسان وحيون ونبات وجماد، علاقة تستهدف إعادة صياغة الصلوات بين الذات ومفردات العالم بما يتلاءم مع مقولات الذهان بمختلف مكوّناتها: البارانونية والكاتاتونية والميتومانية أيضا، بحيث إن من أولويات السرد المحورية هنا في "بياض ساخن" تتمثل في تشغيل وهمية آلية التمثل للحالات القصوى، مما يوئد صورا وأوضاعا ومواقف تصب جميعها في الاتجاه المعاكس لمبدأ التطابق، على اعتبار أن العدو الأول للشيزوفرنية هو التطابق أو الانسجام؛ فهو يرفض أن يتطابق دال اسمه مع مدلوله. ويرفض أن يتطابق التسمية مع حاملها. يرفض تطابق جسده مع روحه، ويرفض أن يتطابق عقله مع وجدانه، وفي المقابل، فهو لا ينتصر إلا للانشار والتشظي والتعدد والتناقض والتعارض.

وعمدت الروائية إلى اختلاق خدعة فنية سردية تجعل من العامل- الذات الواحد ممثلين، أي شخصية بوجهين، فلولا عبلة اللتان تتناوبان عرش السرد، ما هما، في نهاية الأمر، سوى شخصية واحدة مزاجين متعارضين، وبحالتين متناقضتين تستبدان بها، حالة اليقظة، فتكون لولا، وحالة الجنون فتكون عبلة، بل إن عبلة المعادل الدلالي للبياض الساخن الذي يغطي في لحظات معينة الذات والعالم من حولها، فيدمر العقل بلوثة جنونه، ويجعل شخصية عبلة في حالة سعار وهياج...

بل إن عبلة تلتبس بشخصية ثالثة كذلك هي الأم، أحيانا، ويحفر البياض الساخن، المقولة البؤرية في النص الروائي، في جذور الشجرة العائلية ليمس شخصية الجد في دلالة على أن الجنون لعنة كتبت على العائلة، وسيظل يطاردها، لأسباب خفية، تشكل هربا فنيا من تنسيب حالة الانهيار العصبي والسيكولوجي للحظة انفلات قهربية عصفت بتقاليد وأسس لم تؤهل الشخصيات لتقبلها سلفا، ومصيرا قائما ساقته رياح التواترات العرقية الدساسة ليصيب هاته الأسرة بكابوس تراجيدي عصف باستقرارها رأسا على عقب، وحول كل لحظات فرحها مجرد ذكريات تحضر وتغيب، فما عاد لذلك الدفء الأسري الذي يضمنه تواجد الأفراد، من معنى في سياق اللون الكالنج الذي يسود به البياض الساخن أوجههم كلما هبت عاصفة جنون من جذر الجينوم إلى لولا أو عبلة أو أحد الأخلاف الصاعدين.

تتخذ الرواية محكي العائلة مادة مطواعة للسرد، وتحريك التفاصيل الدقيقة، لرصد وقع الأحداث الكبرى إبان أحداث الربيع العربي على تكوين الأسرة واستقرارها، وتداعيات الوقائع والتحويلات السريعة على نفسيات الشخصيات، والعلاقات القائمة بين الأفراد، وانتقالها من مستوى الانسجام إلى مستوى التناقض والصراع والتطاحن، وأحيانا التصفية، حيث يصير الخال، رجل الأمن، خصما عنيدا لأبناء أخته، وهم ينازون لاختباراتهم السياسية، وحيث تفقد عبلة صوابها بفعل اكتشاف انتماء أحد أبنائها لجماعة الإخوان المسلمين، وحيث تفكر "لولا" في قتل أختها للتخلص من عار إصابتها بالجنون، وحيث يجد مجدي نفسه؛ مفصولا من عمله بين عشية وضحاها، في لحظة اللا استقرار.

وتبدو الصلات بين أفراد العائلة على غير ما يجب أن تكون عليه، فهي صلات متوترة أصلا، محض الوراثة، أو محض الصدق البئيسة، ذلك أن لوثة الجنون مترسخة في دماها الممتدة أبا عن جد، وضاربة بأطنابها على شجرة العائلة. ويجعل هذا التوتر بين الأفراد بالأعصاب المشدودة؛ كل شيء سيئ ممكن الحدوث بينها، وأقلها القتل، وأكثرها محاولة الانتعاق من هذا التنسب المذل، والممرغ للكرامة في التراب لنسب ملوث بالعار والجنون، يقول الراوي على لسان إحدى الشخصيات: (خلفة عفاريت يا عبلة، نسل مجانين، بنت أبلسة، انظري إلى عينيها، هما عينا شيطان صغير، بنت فلاح همجي يا عبلة).

يرتبط في بعلاقات حميمة، وبروابط شعورية مفرطة الرهافة، فإن الارتجاج الذي عصف بالنظم، والعوائد، والسيرورة، والمسارات، والرؤى، جعل النسق العام يهتز، لينعكس هذا الاهتزاز على الصورة النفسية والعلائقية والسلوكية للأفراد تجاه جسدها، ذاتها، والناس الآخرين المرتبطين معها بأواصر دموية وثقافية ودينية وسياسية، والأمكنة التي دأبوا على ارتيادها قبل هبوب أولى رياح التغيير التي ساقها فصل الربيع العربي.

وإذا كان مجتمع الرواية يتوزع بين فاعل في الأحداث، وبين متفرج عليها من بعيد، ومستنكر لها، فإن هناك من الشخصيات من تزلزل عرش العقل لديها مع أول تداعيات لهذا الربيع، إذ لم تسمح لها طاقتها الاستيعابية تمثل ما يحدث وتكيفه مع المتغيرات الجديدة التي يملها السياق العام للمنطقة العربية في ضوء التحويلات التي يعرفها العالم.

ومن بين هاته الشخصيات؛ شخصية عبلة المصابة بشيزوفرنيا حادة، تلك التي لم تتجرع خبر انتماء ولدها إلى تنظيم الإخوان المسلمين، ففارت صوابها أسوة بجدها وتأثرا بجيناته، جدها الذي استبد به جنونه حتى فارق الحياة مرميا في الخلاء جوار أحد أهرامات الجيزة، فصارت عبلة عار الأسرة، كما كان الجد عار الشجرة العائلية، فتسبب جنونها في خلق مأساة اجتماعية ونفسية لكل أفراد الأسرة من زوج وأبناء وإخوة وأخوات وجيران؛ إلى حد أن لولا فكرت مرارا في قتلها والتخلص منها. يقول السارد على لسانها: (وتزداد رغبتني في قتل عبلة وضوحا. أغرق في عرق بارد وأنا أتذكر هيئتها، وهي تجلس مقرفة في منتصف كوبري قصر النيل بالضبط، معطية مؤخرتها السمينة لميدان التحرير ووجهها لمؤخرتي الأسدين الرابضين على جانبي الكوبري ناحية الشيراتون. عيناها تتجولان بدون توقف وتلمعان بهذا الجنون. تهذي

وتتخذ الرواية محكي العائلة مادة مطواعة للسرد، وتحريك التفاصيل الدقيقة، لرصد وقع الأحداث الكبرى إبان أحداث الربيع العربي على تكوين الأسرة واستقرارها، وتداعيات الوقائع والتحويلات السريعة على نفسيات الشخصيات، والعلاقات القائمة بين الأفراد، وانتقالها من مستوى الانسجام إلى مستوى التناقض والصراع والتطاحن، وأحيانا التصفية، حيث يصير الخال، رجل الأمن، خصما عنيدا لأبناء أخته، وهم ينازون لاختباراتهم السياسية، وحيث تفقد عبلة صوابها بفعل اكتشاف انتماء أحد أبنائها لجماعة الإخوان المسلمين، وحيث تفكر "لولا" في قتل أختها للتخلص من عار إصابتها بالجنون، وحيث يجد مجدي نفسه؛ مفصولا من عمله بين عشية وضحاها، في لحظة اللا استقرار.

وتبدو الصلات بين أفراد العائلة على غير ما يجب أن تكون عليه، فهي صلات متوترة أصلا، محض الوراثة، أو محض الصدق البئيسة، ذلك أن لوثة الجنون مترسخة في دماها الممتدة أبا عن جد، وضاربة بأطنابها على شجرة العائلة. ويجعل هذا التوتر بين الأفراد بالأعصاب المشدودة؛ كل شيء سيئ ممكن الحدوث بينها، وأقلها القتل، وأكثرها محاولة الانتعاق من هذا التنسب المذل، والممرغ للكرامة في التراب لنسب ملوث بالعار والجنون، يقول الراوي على لسان إحدى الشخصيات: (خلفة عفاريت يا عبلة، نسل مجانين، بنت أبلسة، انظري إلى عينيها، هما عينا شيطان صغير، بنت فلاح همجي يا عبلة).

يرتبط في بعلاقات حميمة، وبروابط شعورية مفرطة الرهافة، فإن الارتجاج الذي عصف بالنظم، والعوائد، والسيرورة، والمسارات، والرؤى، جعل النسق العام يهتز، لينعكس هذا الاهتزاز على الصورة النفسية والعلائقية والسلوكية للأفراد تجاه جسدها، ذاتها، والناس الآخرين المرتبطين معها بأواصر دموية وثقافية ودينية وسياسية، والأمكنة التي دأبوا على ارتيادها قبل هبوب أولى رياح التغيير التي ساقها فصل الربيع العربي.

وإذا كان مجتمع الرواية يتوزع بين فاعل في الأحداث، وبين متفرج عليها من بعيد، ومستنكر لها، فإن هناك من الشخصيات من تزلزل عرش العقل لديها مع أول تداعيات لهذا الربيع، إذ لم تسمح لها طاقتها الاستيعابية تمثل ما يحدث وتكيفه مع المتغيرات الجديدة التي يملها السياق العام للمنطقة العربية في ضوء التحويلات التي يعرفها العالم.

ومن بين هاته الشخصيات؛ شخصية عبلة المصابة بشيزوفرنيا حادة، تلك التي لم تتجرع خبر انتماء ولدها إلى تنظيم الإخوان المسلمين، ففارت صوابها أسوة بجدها وتأثرا بجيناته، جدها الذي استبد به جنونه حتى فارق الحياة مرميا في الخلاء جوار أحد أهرامات الجيزة، فصارت عبلة عار الأسرة، كما كان الجد عار الشجرة العائلية، فتسبب جنونها في خلق مأساة اجتماعية ونفسية لكل أفراد الأسرة من زوج وأبناء وإخوة وأخوات وجيران؛ إلى حد أن لولا فكرت مرارا في قتلها والتخلص منها. يقول السارد على لسانها: (وتزداد رغبتني في قتل عبلة وضوحا. أغرق في عرق بارد وأنا أتذكر هيئتها، وهي تجلس مقرفة في منتصف كوبري قصر النيل بالضبط، معطية مؤخرتها السمينة لميدان التحرير ووجهها لمؤخرتي الأسدين الرابضين على جانبي الكوبري ناحية الشيراتون. عيناها تتجولان بدون توقف وتلمعان بهذا الجنون. تهذي



♦ إبراهيم الحجري

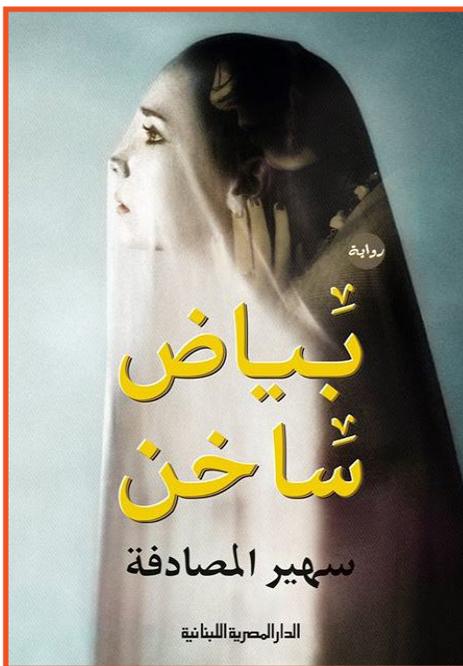
ناقد وروائي من المغرب

تهديد:

تعدّ موضوعة الجنون من أشد الثيمات إغراء للمحكيات الروائية العربية المعاصرة؛ لما يجد فيه الروائيون من مادة خصبة وطبيعة للتعبير عن الوضع الحرج الذي يقف على هاويته الإنسان العربي، تماما على التخوم الفاصلة بين اليقظة والنوم، الحياة والموت، والعقل والجنون. فقد تصاعدت وتيرة الانفلاتات في الواقع، وتعقدت أزمة العقل، واشتدت بالمتنقف عواصف الحيرة، إلى درجة أن الموت نفسه لم يعد قادرا عن إيقاف الدراما البشرية، ولم يعد معبرا وافيا عن تراجيديا البشرية نظرا لما يحفل به المشهد الإنساني من بؤس وجنوح وتدّن، ونكوص للقيم. ووجدت التيارات والأجيال الجديدة في الرواية العربية نفسها أمام تحدّ كبير في التفاعل مع ما تزخر به المشاهد اليومية المعيشة التي لا يتحملها العقل، فهي أكبر من أن تطاق، خاصة ما يتعرض له مستوى القيم من انقلاب وتحول جذريين، خلخلا العلاقات البشرية، ومستويات الفهم، وحدود الاطمئنان التي كان يستند إليها الفرد في تعامله مع مكونات الحياة والعالم المحيط به، فراح يؤسس له منطلقات وأسس جديدة تسير التحويلات الفارقة والرهيبه على مستوى البنيات الفكرية والشعورية، ونسيج الروابط التي تصله بمنظومة الثوابت والمتغيرات التي لا محيد له عنها في عالم متحول؛ بشكل لا يتصور.

وجدت التيارات الروائية الجديدة ملاذها الدلالي والتداولي في اقتحام مناطق الصمت في الذات والمنسي والمكبوت، باعتبارها مواقع قائمة ورهيبه ومتمنعة على الفهم والقبض، ومنها الجنون، والموت، وما بعدهما. فإذا كانت «الشيزوفرنيا» (la schizo phrénie) (أو الفصام)- وهي الاستعارة الكبرى التي نسجت الروائية سهير المصادفة محكيها على أساسه- جوهرها اضطرابا يصيب الأنا، فيحدث خلخلة على مستوى الحدود بين الأنا والعالم الخارجي»، وكان الذي يعاني ويتألم من الشيزوفرنيا ينسحب من جزء من الواقع، معوّضا عالما، يكون قد نفاه وفقدّه، بواقع الهذيان والهولوسة، أو كانت الشيزوفرنيا مرضا عقليا، بحيث تتكلم الذات دون أن تُوصّل إلى تشييد أي عالم مرجعي، انطلاقا من خطابها.

في هذا السياق، وارتباطا به، في واقع مصري لم يزل يترنح على حافات الاستقرار، بعد عواصف الربيع العربي الذي هز الهياكل، وزعزع البنيات، وحرك البرك الأسنة، ورج المسلمات والثوابت، استندت الروائية سهير المصادفة، فوق العادة، إلى متخيل الجنون، ومحكي الأسرة أو العائلة، للتعبير عن واقع هجاسي بات ينحت مفاهيمه ومصطلحاته، في النفوس، ويسلط عليها معاوله الزجرية في وقت لم تنهيا له الأنساق والأسيفة، لما وجدت فيه من طراوة تعبيرية تستوعب الصورة الشائنة التي يود المحكي إبلاغها لمتلقيه، منطلقة من محكي الأسرة أو العائلة، كنسق نووي، يختزل الماكرو- مجتمع، ويمثل تفاعلاته الكبرى بشكل حيوي، وهو في الآن ذاته، الأقرب من العامل- الذات، والأقرب إلى التحكم فيه وسط مادة ممتدة ومتراكمة يستحيل على الروائي، مهما كان، القبض عليها إلا على سبيل التمثيل.



المحطات



عبر إبراهيمي

واقفة انتظر مجيء الحافلة، استمع الى الموسيقى غير أبهة بما يجول حولي، حتى لفت انتباهي أن امرأة مسنة تجلس في الجانب المقابل لي من الطريق.. يبدو من ملامحها أن الزمن استنزف روحها وعقلها ورسم تذكاره على ملامحها.. كانت ترمقني بنظرات غريبة لم أجد لها تفسيراً، ابتسمت في وجهها ثم أشحت بنظري عنها.. لم تمر سوى بضع ثوان حتى وصلت الحافلة، وقبل أن أصعد نظرت إليها فوجدتها بتسم ابتسامة عريضة، تظهر ما تبقى من أسنانها، التي يبدو أن معظمها تساقط منذ زمن بعيد، كانت تبدو بصورة جميلة رغم تلك التجاعيد التي تحكي ربما قصصاً مريّة.. بادلتهما الابتسامة وحييتها ثم صعدت الحافلة. فوجئت لكونها غير مكتظة بل كانت شبه فارغة، لم يكن من الركاب غيري وامرأة تجلس في مؤخرة الحافلة. لم تمر سوى دقائق معدودات حتى شعرت بشيء يحثني على إلقاء نظرة على السائق. وهنا كانت الصدمة: لم يكن في مكانه، والغريب في الأمر أن الحافلة كانت تسير وكأن أحدهم يسوقها. من شدة الخوف والفرح تميت لو كان هذا مجرد كابوس سينتهي حين يرن المنبه لكنني كنت على يقين أنه واقع. اتجهت نحو المرأة لأخبرها أن السائق اختفى..

- أنا: سيدتي سائق الحافلة اختفى. أراحت المرأة عنها "الحايك" الذي كانت ترتديه، فإذا

بها المرأة نفسها التي قابلتها قبل أن أصعد الحافلة.. حاولت أن أبحث عن تفسير منطقي لما يحدث لكن بدون جدوى، عقلي أصبح وكأن به زوبعة تأتي على كل الأفكار المنطقية.

- أنا: من أنت؟ ما الذي يحدث؟ كيف صعدت الحافلة!!!

- هي: لا يهم من أنا بقدر ما يهم ما الذي أريده منك.

- أنا: ما الذي تريدني مني؟

- هي: سنتطلق هذه الحافلة لتمر بمحطات عدة، كل ما أريده منك هو أن تستمع لي حديثي بتمعن. أقيت نظرة من النافذة، بدت لي المدينة غريبة وكأنني لا أعرفها، أصبحت مخيفة ومريّة يكسوها الظلام. وبينما أحاول إيجاد تفسير لما يحدث حولي توقفت الحافلة أمام محطة "الولادة / البداية" فبدت لي امرأة تنجب طفلاً.. وأخرى تأخذ طفلها للمدرسة.. وشاب يحاول الوقوف رغم أن عظامه شبه مهشمة.. لكنه نهض في الأخير.

- قالت العجوز: "أول محطة يسلكها المرء في حياته هي الولادة أي البداية، يقطع الطيب الجبل السري المرتبط بأمه، ثم يطلق الطفل صرخة الحياة الأولى، ربما هي أول وآخر صرخة يسمعها الجميع ويكثر لها. لكن هل حقاً نولد فقط عندما نخرج من رحم أمهاتنا؟ أكيد لا.. فيمكن أن تولد من جديد مرات عدة، عندما تسقط وتحاول النهوض تصرخ من شدة ألم السقوط وربما من شدة ألم محاولة النهوض، لكنك حين تنهض تسطر بداية جديدة لحياتك."

بعدها أنهت العجوز حديثها انطلقت الحافلة، أما أنا فشردت في كلامها وتذكرت المرات التي فشلت فيها وعاودت الوقوف وشعرت لحظتها بأني حقاً ولدت من جديد.

وقفت الحافلة في محطة "الرغبة"، قرب المحطة كان

هناك طفل يبكي لأنه يريد دراجة وفتاة ترغب في تنورة مثيرة، وشاب يدخل الحانة، وسرير.. استرسلت العجوز في حديثها: "الرغبة"، لو تمعنت في الحياة ستجد فيها عبارة عن رغبات تليها رغبات أخرى. عندما تكون طفلاً ترغب في أن يكون لك قصر من الألعاب والحلويات، عندما تكبر أكثر ترغب في الملابس الجذابة، تكبر أكثر فتود أن تجرب الممنوعات (المخدرات، الكحول...)، تصير شاباً ترغب في الجنس، بعدها تصبح أكثر رشداً ترغب في العمل المريح والمدر بالمال، تكبر أكثر تبحث عن استقرار تتزوج تكون أسرة ترغب في إسعاد أطفالك.. وهكذا تدور دوامة حياتك التي هي عبارة عن رغبات تطمح إلى تحقيقها.

كلامها هذا كان يحمل بعضاً من الصواب، فنحن نعيش لتحقيق رغباتنا، ولولا تلك الرغبات لما كان لنا هدف في الحياة نطمح إلى تحقيقه ونعيش لأجله. أكملت الحافلة طريقها إلى أن وصلنا إلى محطة "الانتظار"، الناس في هذه المحطة شاردون ومنزعجون ويظهر عليهم الضجر (يبدو ذلك من ملامحهم المنكمشة).

- العجوز: الانتظار، هو الشبح الذي يرافقنا طوال حياتنا، نعيش لنتنظر الغد وما الذي سيحدث بعد الآن. ننتظر أن تكبر، أن ندرس ونتخرج، ننتظر الحب، ننتظر الوظيفة... ننتظر الحياة فقط.

وهي تحدثت تذكرت مقولة لغسان كنفاني: "إن الحياة ليست سوى الانتظار"، ربما لم يخطئ غسان ولم تخطئ العجوز أيضاً. والدليل أنني رغم تواجدي في هذه الحافلة الغريبة، أنتظر المحطات القادمة وما بعدها. وقفت الحافلة هذه المرة أمام سجن.. قيل أن تبدأ العجوز حديثها توقعت أن تحدث عن الإجمام ربما؟ أو عن الحرية؟

لكنها قاطعت تخميناتي قائلة: "وأنت في السجن لست

حراً، لكن من قال إنك عندما تكون خارجاً تكون حراً؟! لست حراً عندما يخطط لك مسار لحياتك أنت لا ترغب فيه ولست قادراً على تغييره. أنت لست حراً عندما تود التفكير بصوت عالٍ وتعبّر عن رأيك لكنك لا تجرؤ على ذلك. لست حراً حينما تود أن تسير عكس التيار وتعلم أنك لن تنجو وتعديل عن رأيك.. عندما تعمل في تخصص لا يشبهك، لست حراً.

أنت حر عندما ترفض أن تسير مع القطيع مادام لا يشبهك، عندما تفعل ما يحلو لك، تعيش كما تريد أنت لا كما أريد لك أن تعيش.. أنت حر عندما تكون قادراً على الرفض."

هل أنا حرة؟ هذا هو أول سؤال خطر ببالي عندما أنهت العجوز حديثها. أقيت نظرة على المارة الذين يعترضهم البؤس ووجوههم عابسة وقلت: هل هؤلاء أحرار؟ هل العبوس على وجوههم سببه أنهم ليسوا كذلك؟! وصلنا إلى محطة "الغد الأفضل" قربها كانت بناية لوكالة علمية ودار نشر ومقربة منها عالم مقتول. - العجوز: "العلم هو الذي دفع الإنسان ليتطور ويغير من حاضره، ولولا هذا الذكاء البشري الذي كان قادراً على أن يخترع ويبتكر ربما لانتهت الحياة. لكن بدون تنوير لعقل الإنسان لن يستطيع أن يبتكر ويكتشف أكثر."

أكملت الحافلة طريقها، أما أنا فكنت أتساءل، هل العلماء الذين قُتلوا لو عاشوا أكثر، أما كانوا سيفيدون البشرية أكثر؟ وماذا عن الطاقات التي لم تجد متنفساً وظروفاً مواتية لتبدع وتتعلم وتطلق العنان لأفكارها، أو ليس العالم يضيع فرصة مبدعين يفقدون بسبب ذلك؟

وقفت الحافلة أمام عاشقين يتبادلان القبل وعلى لافتة المحطة كتب "حب/سعادة".

الحاج بنشارة..

رجل المحن والكتاب في زمن الجمر والرصاص

يمر الحاج "بوعزة بنشارة" بحالة صحية لا تدعو للقلق، وهو الآن قيد الاستشفاء بمصحة الضمان الاجتماعي بوجدة، الغرفة 105 تحت رعاية طاقم طبي وتمريضي وإداري يحيطه بكل العناية اللازمة..

من هو الحاج بنشارة؟

تعرفت على الحاج بنشارة حديثاً في أوج النضال الديمقراطي بوجدة على مستوى مختلف روافده، الحقوقية بالجمعية المغربية لحقوق الإنسان، الثقافية والجمعية بالعديد من الجمعيات ومنتديات الثقافة والفكر والحوار، السياسية من خلال فدالية اليسار الديمقراطي التي أمن بها وأحاطها بدعمه المتواصل، قبل وخلال وبعد المحطات الانتخابية، وخلال جميع التظاهرات والمعارك النضالية..

من مواليد 1939 بفكيك (منطقة إيش)، التحق مبكراً بصوف الحركة الوطنية، ليجد نفسه في قلب اللحظة التأسيسية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية سنة 1959، واعتقل سنة 1960 بفكيك، وبعد قضاء شهر من الاعتقال بالسجن المحلي بوجدة، حيث تم طرده من العمل بالكتابة الخاصة لرئيس دائرة فكيك، ثم طرده سنة 1962 من العمل بقسم المراسلات بناية التعليم بوجدة، تم استدعائه من طرف الشهيد عمر بن جلون والفقير البصري ليلتحق بالدار البيضاء، ويشغل

بالكتابة الخاصة للحزب بالمقر المركزي بالدار البيضاء، ليعتقل مرة أخرى سنة 1963 إلى جانب قياديي الحزب من داخل اجتماع حزبي بالمقر.. لم تتوقف محنة الحاج بنشارة على المستوى السياسي والحقوقى، بل حاصرت الآلة المخزنية بقيادة الوزير المخلوع وغير المأسوف على رحيله "إدريس البصري"، خاصة لما غامر في إنشاء مطبعتين لتشجيع الفكر التحرري،



خاصة أمام الضائقة المالية التي كانت تواجهه، مما أدى إلى وقف المطبعة سنة 1986 نتيجة الحصار والتصنيق، في مرحلة كانت فيها الكلمة رصاصة موجعة للنظام السياسي.

ويبقى سجل المنشورات التي احتضنتها مطبعة "الحاج بنشارة" بعناوينها المدوية، مفخرة لهذا الرجل الذي خبر كل المحن في السياسة والكتاب والفكر ودروب الحياة، ومن بين هذه العناوين الناطقة لوحدها والتي تحيل على مرحلة معطاء ويسار يفكر قبل أن يتحرك، وهي لرموز من نساء ورجال جمعوا بشكل عجيب وفريد بين النظرية والممارسة فأبدعوا في الاثنين:

- المجالات: الثقافة الجديدة، الزمن المغربي، البديل، السؤال، المقدمة، أبحاث..

- الجرائد: المسار، 8 مارس، النهج..

هذا فقط جزء يسير من مسار طويل وغني لرجل كنا نود القيام بالتفاقة رمزية إزاءه لولا جائحة الكورونا..

انهض صديقي ورفيقي، أيها الرجل الثماني الذي تشع الابتسامة على مجاه وهو طريح الفراش، الحاج "بوعزة بنشارة".. نعدك بلحظة اعتراف جماعية أيها الرجل الطيب الذي لا تقهره المحن مهما كان حجمها ومصدها... بالصحة والعافية وطول العمر..

الطريق (م.ا)

الشیطان وذكرك

♦ زهير بوعزاوي

في كنف بادية في عمق الأطلس المتوسط، تدعى بالأمازيغية "آدار أومود"، بين جبالها المناغية للسماء عشت سنوات الصبا طائشاً، لا يفارقتني صندلٌ امتطاه البلى، وقميص أبيض يشبه الخرقه، تعدت الثقوب الصغيرة المنقوشة عليه ثقوب الغراب، ارتدي سروالاً أسود باهت اللون، ممزقاً من الخلف، شعري الأشعث مخضوب بحمرة قانية، كنت أشبه الفزاعة في كل التفاصيل.

أجبت "أحيدوس" حد الوله، ألبى نداء الدف أينما كان، ألتهم المسافات الطويلة سيراً على الأقدام، أسافر إلى البوادي والمداشر المجاورة والبعيدة عنا، أمر على المقابر والأودية التي يشاع أنها مسكونة بالجن دون خوف، أصارع صهد الليل، أمشط الطرق الواعرة، تطاردني الكلاب، أمهرب، انتحي خلف الصخور ركناً قصياً، أختبئ، اتسلق الجبال الباسقة كلما صادفت خنزيراً برياً، أضحك ملء شدي، ألعن قلبي الملوع برقصة "أحيدوس"، أو اصل المغامرة، أبلغ قصدي، أخرج الدف من مخلاة خضراء لا تفارقتني.

أبحث عن القش، أوقد النار فيه، أتمرر عليها الدف الصغير المجلد بجلد المعز، يشتد عوده، أرتقي في حضان دائرة تتألف من مئات الأجساد المختلفة، نساءً ورجالاً، تختلط رائحة العرق بالعطر، يتفاعلان، يصنعان رائحة لا تؤذي أحداً، يلي عقلي الأوامر على جسدي الغض، تبدأ الأكتاف في الاهتزاز، يرتخي جسدي، أطاقى رأسي، أبيض السمع إلى الدفوف التي تفرع، أصفع دفي بقوة، أشعر بالنشوة، أحرك قدمي مسائراً إيقاع من يحوطني، يتلقفني اللامعنى، يلفظني الواقع، أسير غور متاهة الغيب، أسافر عبر الزمان، أقطف زهور العدم، أعود إلى حيث أتمني، أجد في جانبي فتاتين حسناوين، فاعترني الطول، تسدلان على ظهريهما خصلات الشعر المنهمرة كالشلالات، عيونهما الخضراء قاتلة، وأشمامهما المزيّنة لذقنيهما تغويني، عنقاها الطويلان تمينتها جسراً عبر عليه إلى قلبيهما، الأنفاس تتداخل بقوة، أشم عبق الحناء، يصيبني في مقتل، جسداهما رطبان كوثر الشراشيف الدافئة، نرقص ونرقص، تحملت عبء مراقبتهما معاً، أحرك محركي في الآن ذاته، تنقطع أنفاسهما، تغادر واحدة، اختلي بالمتبقية، خمرها يتموج كالخورية، يرتفع صدرها الفتى ويرتج، مازلت أرقص كمن مسه الضر، أتخط خط عشواء، لم أقاوم أنفاسها، يرغي الكمد في صدري، وعروشت في أيك وجداني حرارة قاتلة، همست في أذني بخفة: -أنت راقص ماهر يا فتى.

رفت على ثغري ابتسامة الفخر، ناولت ابن خالي الدف، استسلمت للمهارة التي في جانبي، تسللت يدي في جنح الليل حتى أمسكت يدها، أقرعش بدني، وقف شعري كأنه جندي يؤدي التحية العسكرية، التوت أناملنا كالأفاعي، تمنيت أن يتوقف الرقص، أن أفر بها على حصان أخيل، أن نسكن قصر الإسكندر الأكبر، أن يبارك أيروس حينا، أن توافينا المنية في بابل، ويواري التراب جثماننا عند أهرمات مصر.

سمعت نداءً دون سابق إنذار، جفلت، كان الصوت خشناً فيه حشرجة طفيفة:

- فاطمة.. فاطمة.. إلى البيت قد تأخرنا.

انسحبت فاطمة من الدائرة، افلتت يدي بحنية، تلخبط نبض قلبي الصغير، رمقنتي بنظرة أحرقني شواطها، ولت ظهرها لي مغادرة، كأن روحي غادرت معها، تتبعها بكل جوارحي، توارت بين الظلام الكالج، عدت للرقص، ارتطمت بأكتاف خشنة، بأجساد لا جمال فيها ولا رافة، اضمحلت الرغبة في الإكمال، غادرت بدوري، هل سريضي من كانت في جانبه ملائكة الجنة أن يبقى قرب الزبانية؟

عدت أدراجي منهكاً، أحمل معي الشيطان وذكري فاطمة.

أمير تاج السر: علامة مضيئة في الرواية العربية المعاصرة

دراسة..

♦ ذ. سفيان البراق

صائد البرقات. بعد أن واطب على مخالطة المثقفين في المقاهي وأصبح مصمماً على كتابة رواية سيضع نفسه في مأزق حيث سيصبح مذكرة لملاحقة أمنية. كما تناول أمير تاج السر فكرة جوهريّة وهي تعامل الناس مع العميل قبل فقدانه لعمله وبعد أن فقدته، هي حقيقة مُرة، جعلت الراوي يعترف بأنّ الناس حربائون، ويتزلفون للمظاهر. هي رواية ذات طابع بوليسي في المقام الأول عالج فيها مشاكل اجتماعية وما قد تسفر عنه من ضغوطات نفسية.

لقد أبان أمير تاج السر عن ذلك الكائن الشعري الذي يسكن بداخله في عمله الموسوم بـ "مرايا ساحلية (سيرة مبكرة)"، تنقل فيها بين الأماكن التي ارتقى في أحضانها وهو في مرحلة الصبا، وصفها وصفاً دقيقاً باستعماله لكلمات منتقاة من اللغة البديعة، كما استعمل عبارات عامية جعلت هضم الأحداث بشكل متسارع صعباً إلى حد ما وغموض في المضمون في أكثر من موضع. حاول أن يعطينا نظرة شاملة عن المكان الذي نشأ وترعرع فيه، والأهالي الذي يقطنون المكان واصفاً تقاليدهم وأعرافهم محاولاً نقل الثقافة السودانية إلى القارئ العربي. هي سيرة ذاتية بامتياز، مميزة، وما زاد من تميزها هو هيمنة الطابع الشعري الذي تسرب عبر سطورها.

هناك رواية جيدة لا تقل أهمية عن الروايات المذكورة، وهذا ما جعلها تدخل اللائحة الطويلة لجائزة البوكر سنة 2014م، هي رواية 366، صدرت في طبعها الأولى سنة 2012م عن الدار العربية للعلوم ناشرون. رواية كتبها أمير تاج السر عن أستاذ عاش قصة حب مع طيف خيالي لمدة 366 يوماً في إحدى السنوات الكبيسة، تميّزت بحبكة محكمة، وبانسايية في سرد الأحداث، وحضور كثيف لشخصيات، كل شخصية لها دور في اعوجاج الأحداث عن مسارها. تتناول الرواية قصة أستاذ للكيمياء في إحدى المؤسسات التعليمية، يقطن حي "المساكن"؛ حي مهتمش يعج بالمتحدرين من الطبقة الكادحة. هذا الأستاذ حضر زفاف أحد أصدقائه يدعى عبد القادر، وسيرى فتاةً اسمها أسماء، جاءت في أقصى أناقته، وانبهر بها، وانغرس بداخله سهم الحب، وهو ما أدى به إلى العيش في دوامة من التيه، وسيبحث عنها في كل أرجاء المدينة دون العثور عليها، وهذا ما جعله أسيراً لكوابيس وضغوطات نفسية لا تنتهي.

تنكّب الرواية على الغوص في حياة الأستاذ مع جيرانه وزملائه في المؤسسة، كما أنها لا تتغاضى عن أحداث الماضي؛ التي تطفو في كل حين في ذاكرته كما تطفو الشوائب في البرك الآسنة، وهنا الحديث عن تورط أخيه بخاري في إحدى القضايا السياسية وانتمائه لحزب مشبوه وهو ما أدى إلى غيابه المفاجئ ثم رحيل والدته، ليعيش الأستاذ لوحده منكوباً، وما زاد الطينة بلة هو حبّه الجارف لأسماء بعد أن رآها وهي لم تره. ربّما لجأ إلى الحب رغم أنّ الذي سيشاركة ذلك الشعور مجرد طيف ناوره، وقد حُبل إليه أنّه هو من سينتشله من دائرة الوحدة وسيرميه في دائرة الحياة الزاهية.

لقد كتب أمير تاج السر ما ينيف عن عشر روايات وسيرتين وديوان شعري، وهو ما يؤكد على الزخم الذي بداخله، إلا أنّه لم يجد الاهتمام المطلوب، رغم حضوره الدائم في الانخراط في الكتابة عبر مجلات ثقافية ذائعة الصيت، وتناوله لقضايا المجتمع السوداني عبر مجموعة من المقالات المنشورة في منابر إعلامية مختلفة. إنّ أعماله، في نظري، جديرة بالقراءة والاهتمام والدراسة، لأنّها ذات رؤية روائية معاصرة فريدة.

الواقعية المعيشة، حيث يمكن لأي واحد منا أن يعيش تلك الأحداث أو يصادفها. ومن السمات المميزة لأمير تاج السر هو غياب تلك اللغة المملة التي تجعلك تقضم عشرات الصفحات من أجل الوصول إلى حدثٍ معيّن، بل هي لغة تستعرض الأحداث كما هي بنوعٍ من التشويق والغموض، وهو ما يجعل القارئ متلهفاً لمعرفة النهاية.

في رواية "طقس" وظّف الروائي أسلوباً ساخراً، يجعل أحداثها تتأرجح بين الواقع والخيال، بين الزيف والحقيقة، يُصورها في قالبٍ سردّي ينم عن حنكته. شكّلت شخصية نيشان حمزة نيشان عبئاً على مبتكرها طوال أطوار الرواية، وعانى منذ أن عرفه، حتى ندم على كتابته تلك الرواية. ترمي هذه الرواية إلى تبيان الجهد المضني الذي يبذله الكاتب في صنع وبناء شخصيات الرواية، فهناك من يصنعها من الخيال، وهناك من يُصادفها في الواقع ويستلهمها ويضعها كما هي تتخيّب في أحداث روايته، وهناك من يُضفي عليها تعديلاً حتى تتناسب مع موضوع الرواية ورؤيتها.

نُشرت لأمير تاج السر رواية نحت لها عنوان: صائد البرقات، عن دار الساقى، سنة 2016م، في طبعها الرابعة. وصلت هذه الرواية إلى القائمة القصيرة لجائزة بوكر العربية سنة 2011م. تتألف هذه الرواية من حوالي 160 صفحة، تناول فيها قصة عميل سرّي في الاستخبارات سيتعرض لحادثٍ أدى إلى فقدان ساقه وتمّ تعويضها بقدم بلاستيكية يمتصها ويزدريها كلما نظر إليها، وسيتعرّف هذا العميل، بعدما توقف عن عمله مكرهاً بعد فقدانه لساقه وصار ملازماً للمقاهي، على كاتبٍ معروف، وستخامره فكرة كتابة رواية. وضع أمير تاج السر الكتابة هنا تحت المجهر، وقد تحدث عن كاتبة تكتب نصوصاً لا يشمّ فيها بطل الرواية رائحةً للإبداع، ورغم ذلك تتلقّى عبارات التنويه من الكاتب الذي سيعتبره قدوةً، وهو من سيسرق فكرته التي سيبلورها في مشروعٍ رواي. ظلّ العميل السابق يقرأ في محاولة جادة منه لكتابة رواية، وقد اعتبر أنّ الكتابة هي يرقات قبل أن تتحول إلى فراشات فقفز العنوان إلى ذهنه:

درج المهتمون بالشأن الأدبي إلى الإعلاء من شأن رواياتٍ سبق أن تصدّى لها نقادٌ سواءً بخيرٍ أو بشرّ، أو نُقلت إلى لغاتٍ عالمية فنهال عليها عبارات التنويه والإشادة من كلّ حدبٍ وصوب، بيد أنّ هناك كُتاباً تسعدُ بهم الساحة الثقافية العربية لم يتلقوا الاهتمام المرجو. حتى لا أقول إنهم مغمورون، وذلك ممنوعٌ عليّ، والذي يحول دون ادعائي هذا هو ترشّح أعمالهم الروائية لجوائز تحظى بمكانة رفيعة في المشهد الثقافي العربي. لقد أنجبت السودان أيقونةً أدبية قلّ نظيرها هو الروائي الكبير الطيّب الصالح (1929 - 2009) الذي أمتع وأبهر القارئ العربي في تحفته الخالدة "موسم الهجرة إلى الشمال" نظراً للغة الرصينة التي كتبت به، وللوصف الدقيق للأماكن والشخصيات، كما أنّها جعلت صاحبها في مصاف الكُتاب العالميين بعد الانتشار الواسع الذي تبعها، كما أنّها عالجت اغتراب الفرد العربي (مصطفى سعيد) وما قد يؤدي إلى تغيير في الأفكار والرؤى والقيم.

بطبيعة الحال، ليس موضوعنا هو الطيّب صالح الذي يعد جوهرةً في الأدب العربي، وإرثه الأدبي يشهد على ذلك. لكنني بصدد الحديث عن روايٍّ سودانيّ ينحدر من أصول الطيّب صالح، فهذا الأخير، خاله، وقد أشاد بكتاباتهِ عندما كان يافعاً. أمير تاج السر هو روايٌّ سودانيّ يكتسب بشرةً كبيرة، إذ يطلّ علينا في كل سنتين أو ثلاث سنوات تقريباً بعملٍ رواي، وترشّحت بعض أعماله للائحة الطويلة والقصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية، ونال جائزة كتارا للرواية العربية سنة 2015م.

من أعماله الروائية رواية "طقس" الصادرة سنة 2015م في طبعها الأولى عن مؤسسة قطر للنشر. رواية مميّزة سرداً ووصفاً، دأب فيها الكاتب، عن قصد، في سرد الأحداث بسخرية، بالانتقال من حدثٍ لآخر دون الغوص في التفاصيل المملة التي سرعان ما تجعل القارئ ينفّر مما يقرأ. وما يميزها أيضاً هو الجمع بين روايتين في رواية واحدة، إذ يستحضر شخصية رئيسية في روايته أمنيّات الجوع، بيد أنّ هذه الشخصية ستخرج من النص للواقع لتطاردّه وسيصاب بسببها بالأرق. تبدأ أحداث رواية "طقس" في حفل توقيع روايته أمنيّات الجوع عندما سيحضر نيشان حمزة نيشان الحفل، وسيطلب منه التوقيع على روايته وسيكتشف أنّه قد كتب عن هذه الشخصية دون أن يعرفها. استخدم أمير تاج السر تقنية حديثة قلّما يُوظفها روايٌّ في روايته، جعلته يتميّز، إلى حد ما، عن بقية الروائيين، كما استطاع الانفلات من النمطية التقليدية التي تهيم على الروايات المعاصرة التي تبدأ من الألف إلى الياء، وقد اعتدنا على مثل هذه الأمور ولم نعد ننتبه لها. قد يقول القارئ الذي قرأ لأمير تاج السر أنّ لغته بسيطة وفي بعض الأحيان تكاد تكون أقرب إلى لغة العموميات، لكن هذا يبدو للقارئ الذي يقرأ قراءة سريعة وسطحية، فلغته، في نظري، لغة متينة، متماسكة، يعرف كيف يوظفها، وينتقي عباراته بدقة فائقة. يختار أمير تاج السر شخصيات نكاد نجدّها في الواقع، كما أنّ رواياته، وهي التي قرأنا لحد الآن، وهي

خمسة: طقس، صائد

البرقات، 366، زهور

تأكلها النار، منتج

الساحرات؛

يمكن أن نُصنّفها

ضمن الروايات



من أجل مجتمع قارئ



♦ محمد غريب

رصيدهم اللغوي لدرجة لا يستطيعون فيها سوى التعبير عن أفكارنا". وهذا يعني أن من يريد أن يتحكم في الناس فالمطلوب هو إفقار اللغة والحد من الكلمات، لأن من لا يستطيع التعبير لا يستطيع التفكير.

القراءة تعني التساؤل الدائم والدهشة ومتعة الاكتشاف.. إن الإنسان بطبعه كائن يحب التفكير، لكن في عصرنا الحالي يُراد التحكم فيه ليصبح مستهلكا منضبطا، يقبل على ما يقدم إليه من تفاهات وأشياء عديمة الجدوى.

إن القراءة، وبالتالي العلم والثقافة والمعرفة تحرر الانسان وتجعله يقبل على الحياة بشكل إيجابي ويكتشف السعادة في بساطة الحياة وفي جمال الطبيعة وفي تحقق إنسانية الإنسان.

علينا إذن أن نؤثث بيوتنا بتحف فنية جميلة ونضع أمام أطفالنا كتباً ومجلات يستأنسون بها ويتصفحون محتوياتها، بدل هذه الأجهزة المخيلة للعقل. علينا ان نتقاسم معهم لحظات جميلة في الطبيعة يكتشفون فيها الجمال الحي حتى تتفتح عقولهم ويطوروا لديهم ملكات التدقيق والتفكير. علينا أيضا الاستماع إليهم والاستفادة من أسئلتهم لأنهم يولدون فلاسفة لكن المجتمع هو الذي يقتل فيهم روح التساؤل والنقد.

لقد كان الفيلسوف الروماني لوكيوس سينيكا (4 ق م - 65 م) يقول: "نولد جميعا فلاسفة.. البعض فقط من يبقى كذلك". إن القراءة والتفكير والتأمل هي ما سيحرر الانسان من كل أشكال الاغتراب والاستلاب.. وهي ما سيجعلنا نعطي معنى إيجابيا للحياة.

يقوم بها الدماغ أثناء عملية القراءة، كالتأمل والتخيل والتحليل والتفكير وربط الظواهر مع مفاهيمها، مما يساعد على تنمية القدرات التعبيرية كتابيا وشفويا.

- تحفز على التفكير والتعبير بطريقة غير اعتيادية كما تمكن صاحبها من الإبداع وتجدد وتوسع أفاقه الفكري والثقافي.

لكن رغم كل هذه الأهمية لفعل القراءة، إلا أننا نجد من يعترض بالقول أنها متعبة، و أن الناس تبحث عن السهل والممتع وهذا ما يفسر الإقبال الكبير على مشاهدة التلفزيون وقضاء ساعات طويلة في مواقع التواصل الاجتماعي.

هذا الاعتراض صحيح ظاهريا، لأننا إذا سألنا الناس هل يرغبون في الحرية فإن جوابهم سيكون حتما بالإيجاب، رغم أنهم يدركون أن الحرية مسؤولية كبرى ومجازفة قد تكلف الانسان حياته.

لقد كان الإغريق يعرفون ذلك.. لقد خاطبهم القائد العسكري الشهير بيريكليس (429 ق م - 495 ق م) قائلا: "عليكم أن تختاروا إما أن تكونوا أحرارا أو تتراحوا".

المشكل اليوم هو أنه في ظل الاستبداد يعتبر إقناع الناس بالقراءة أمرا صعبا، خاصة عندما تطغى الثقافة الشفوية وسط الطبقات الشعبية التي هي القاعدة الكبرى في المجتمعات المتخلفة.

ولإدراك خطر القراءة على المستبدين، هناك اقتباس منسوب لوزير الدعاية في ألمانيا النازية جوزيف غوبلز يقول فيه: "نحن لا نريد إقناع الناس بأفكارنا ولكننا نريد تقليص

واحدة.

وفي تقرير التنمية الثقافية الصادر عن منظمة اليونسكو فإن:

- إصدارات كتب الثقافة العامة في العالم العربي لا تتجاوز خمسة آلاف عنوان سنويا، وفي أمريكا حوالي ثلاث مئة ألف كتاب.

من خلال هذه الأرقام يتضح أنه بقدر ما تزدهر الحريات ترتفع معدلات القراءة، لأن المواطن في المجتمعات الديمقراطية يعتبر نفسه شخصا مسؤولا وفاعلا في الحياة العامة، لذلك فهو يهتم بالإنتاج الثقافي والفكري. أما في العالم العربي فإن الشغل الشاغل للمواطن هو تحصيل لقمة العيش والكفاح من أجل تلبية الحاجات الأساسية التي هو محروم منها.

إن القراءة في ظل أنظمة الاستبداد تعتبر ترفا لا يقبل عليه إلا من تخلص من هواجس ومخاوف الحياة اليومية للإنسان المنتمي للطبقات الشعبية. لكن القراءة في حقيقة الأمر تعتبر ضرورة من ضروريات الحياة.

إن أهمية القراءة تتجلى في كونها:

- مصدرا من مصادر المعرفة.

- تقوي ثقة الفرد بنفسه لأن اكتساب المعرفة يؤدي إلى اكتساب شخصية قوية ومتوازنة.

- تتيح القدرة على التعبير عن الرأي بكل ثقة وبأسلوب حضاري.

- تجعل القارئ أكثر إيجابية وتؤدي إلى تحقيق المتعة والنجاح، وتساعد على مواجهة الإحباط وتقليل فرص تطور مرض الزهايمر.

- تحفز الدماغ من أجل القيام بالمهام التحليلية والتواصلية، الشيء الذي يؤدي إلى تطوير القدرات الدماغية، حيث تتنوع العمليات التي

في جولة على بعض الأكشاك بمدينة بني ملال وللتعرف على عدد مبيعات جريدة "الطريق" تفاجأت بالمستوى الثقافي والسياسي الرفيع لأحد أقدم بانعي الصحف والمجلات بالمدينة والذي عبر عن استيائه من تدني الإقبال على القراءة في المجتمع المغربي. وعندما سألته عن مبيعات جريدة "الطريق" قال أنها عادية، والسبب غير مرتبط بمحتوى الجريدة بل لأن المغاربة لا يقرؤون، والمطلوب هو تشجيع الناس على القراءة.

أثار هذا الحوار في نفسي عدة أسئلة وعدت إلى بعض الأرقام كنت قد دونتها تتعلق بواقع القراءة في العالم العربي.

الأرقام مخيفة بكل معنى الكلمة وهي تكشف عن الهوة العميقة التي تفصلنا عن المجتمعات الديمقراطية، لأن مستوى القراءة يكشف عن مدى تطور الفرد والمجتمع ويعكس مستوى التحضر أو التخلف داخل كل مجتمع.

فحسب تقرير التنمية البشرية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي فإن:

- العربي يقرأ بمعدل ست دقائق سنويا بينما يقرأ الأوربي بمعدل متني ساعة سنويا.

- كل ثمانين مواطنا عربيا يقرؤون كتابا واحدا في السنة، في المقابل يقرأ المواطن الأوربي نحو خمسة وثلاثين كتابا في السنة.

- يترجم سنويا في العالم العربي خمس ما يترجم في اليونان، والحصيلة الكلية لما ترجم إلى العربية منذ عصر الخليفة العباسي المأمون إلى العصر الحالي تقارب عشرة آلاف كتاب، وهذا العدد يساوي ما ترجمه إسبانيا في سنة



لا مجال للنعرات في فسيفساء المغرب المتعدد

♦ سعيد المغربي



فيما يخص المسألة الأمازيغية، فنحن كلنا أمازيغ ونفتخر، وأغلبنا تعرب وانخرط في سياق تاريخي جديد أسسه الأمازيغ أنفسهم من المرابطين والموحدين والمرينيين الذين يعتبرون وبامتياز دولا ثقافية وسياسية. هل بعد كل هذه القرون وهذا الانتماء التاريخي العظيم للمغاربة وإسهامهم في بلورة ثقافة وفكر محلي يمزج كل عناصر الهوية المحلية، يريد دعاة التفرقة أن يوجهوا الصراع من صراع حضاري وطبقي إلى صراع إثني تغذيه

الصهيونية والامبريالية الجديدة بمقومات ثقافية هدامة لتاريخ الشعوب والأمم. لكل سكان المعمور تعدد لغوي لكن سرعان ما يستقر على لغة موحدة للتواصل والتفاهم والابتكار. فهل على المصريين الرجوع إلى اللغة الفرعونية أو الهيروغليافية لتأصيل لغة وانتماء المصريين لمصر، وهل على العراقيين الرجوع إلى اللغة الكنعانية أو السومرية، والشاميين الرجوع إلى اللغة اللاتينية القديمة، والأمريكان لغة الهندية الأصلية. إن المسألة مضیعة للوقت، علما أننا في المغرب نتعاش بأكثر من خمس لغات دون إحساس بالدونية أو القهر اللغوي، الذي بدونه استمرت اللغات الأمازيغية لسنين في المغرب دون إكراه أو



تعسف. فتجد عربيا تمزغ.. وأمازيغيا تعرب، ليس لكل واحد منا أن ينزع عن الآخر انتماءه إلى حضارة تاريخية قوامها المغرب وسكان المغرب وحضارة المغرب. فالسلطان "يوسف ابن تاشفين" لم يكن يتكلم العربية قط ومع ذلك علم ابنه "علي بن يوسف" اللغة العربية وأسس من خلال هذا الاختيار اللغوي لثقافة وعلوم لازالت حاضرة إلى اليوم. وهكذا أصبحت اللغة العربية موحدة ولغة علم ومعرفه في ذلك العهد. فاللغة العربية ليست لغة عرق بل هي لغة تخاطب لسني، فالأقوام المنتسبة لهذه اللغة ليست بالضرورة من الإثنيات العربية الشرقية، وليست حتى من دين العرب فهناك اليهود العرب والمسيحيون العرب والمسلمين العرب والأفارقة العرب، فالانتماء للعرب ليس عرقيا أو إثنيا، بل فقط باللغة. فيكفي ان تتكلم اللغة العربية لتصبح عربيا. إن كانت اللغة العربية أو دارجتها هي التي تسود في أغلب مناطق المغرب، فإنه من الناحية الطبقيّة الأمازيغ هم الذين يحكمون المغرب وأغلب الرأسماليين في المغرب أمازيغ، وبتمحيص التشكيلية الطبقيّة في المغرب، فإن أكثر من ثلاث أرباع الاقتصاد المغربي في أيدي ذوي الأصول الأمازيغية.

أما اختلاق النعرات الإثنية واللغوية داخل الشعوب فهو يهدف إلى التفرقة والهدم وتفتيت الشعوب والقضاء على كل عناصر الانصهار الثقافي واللغوي الذي هو حصيله كل وجودنا المغربي الفعال..

طريق التنوير درس الفلسفة ومعركة التنوير

♦ ذ. رشيد العلوي

من خلال الوضع العام للمدرسة المغربية، والذي يمكن اعتباره وضعاً مأزوماً بشكل بنوي، يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل يمكن للدرس الفلسفي بالمغرب أن يكون فضاءً لنمو فكر الحداثة؟ هل يمكن لهذا الدرس أن يؤدي وظيفته النقدية والتنويرية اتجاه المجتمع والدولة معاً؟



مرّ على استقلال المغرب أزيد من ستة عقود ونيّف، ومرّ على سياسة المُعَرَّبَة والتعريب والتوحيد ما يزيد عن أربعة عقود، ولا يزال الدرس الفلسفي يراوح المكان إن لم نقل بوجيز العبارة أن واقع اليوم يستدعي أكثر من تأمل. ما الذي يمنع من أن يكون الدرس الفلسفي درساً في الحداثة والديمقراطية، درساً في العقلنة والنقد البناء اتجاه كل ما هو ثابت ومُطلق، درساً يُسأل الأخلاق والقيم والدين والتقاليد والأعراف البائدة، درساً ضد المحافظة والفكر الخرافي المتغلغل والمتعشش في العقول، والتصرفات والسلوكات المناهضة لثقافة حقوق الانسان؟

كان مُبرّر الهجوم على الدرس الفلسفي في المغرب هو انتشار الماركسية وازدهار التيارات اليسارية الراديكالية في السبعينيات من القرن الماضي، وتمّ الإجهاز على تدريس هذه المادة وإقحام الفكر الإسلامي وقضاياها محل القضايا المعيشية والمرتبطة باليومي وبالحالة الراهنة للعالم. وبعد تطور الفكر السلقي المنزمت وإحكام قبضته على عقول الشباب بعد أربعة عقود ضد الحداثة والعقلانية والفكر النقدي، صار اللجوء إلى الفلسفة أمراً لا مفر منه. أليس هناك خيار آخر بين المحافظة والحداثة؟

إن لتحميل درس الفلسفة تبعات الصراع السياسي والايديولوجي القائم في المجتمع مخاطر عديدة على الفكر الفلسفي ذاته. ولهذا صار من الضروري فتح النقاش العمومي حول وظيفة الفلسفة في المجتمع: كيف استطاع مدرس الفلسفة اليوم أن يكون هو أول حارس للمعبد؟ بعد أن كان أول من ينتقد المعبد؟ لا يسيء للفلسفة غير بعض المهتمين بشأنها وبتدريسها وتعليمها وترجمتها، ويمكن تسميتهم بأعداء الفلسفة من الداخل، كما أن هناك عدواً خارجياً للفلسفة، يتمثل في السلطة التي تملك القرار في تعزيز الفلسفة داخل المنظومة التعليمية من عدمه، بحيث يمكن اتخاذ قرار في الحكومة أو الوزارة ضد الفلسفة، ففي كل المجتمعات توجد قوى محافظة يمكنها الوقوف أمام الفكر الفلسفي بالنظر إلى ما قد يشكله من تهديد لبنيتها الايديولوجية التي تخدم مصالح كمشة معينة أو قوى معينة. لكنه لا يتوجب النظر إلى الفلسفة وكأنها طبيب المجتمع، أو "المنقذ من الضلال".

صحيح أن جزء كبيراً من المجتمع يساهم في انتعاش التمثلات التي يحملها التلميذ معه في أول لقاء له بالفلسفة، وصحيح أيضاً أن القوى المحافظة والرجعية تعمل ما بوسعها لمناهضة التفكير الفلسفي، إلا أن هذا الصراع سيظل حاضراً وباستمرار في الدينامية المجتمعية، كمعبر عن صراع تيارات المجتمع واختياراته، ولكن ما الذي يمنع درس الفلسفة اليوم من أداء وظيفته؟

تعيش الجامعة المغربية أزمة هوية في مختلف الحقول المعرفية والعلمية.. وترتبط هذه الأزمة بنيوياً بأزمة المجتمع ككل. وهي أزمة عامة تنعكس على درس الفلسفة. إلا أن تدريس الفلسفة على العموم في الجامعة لم يعد قادراً على أداء وظيفته النقدية، كما لم يعد قادراً على تخطي مُعضلاته، نتيجة التغيرات والتحولات التي وقعت في المغرب. وقد صار هذا الدرس مجرد رؤوس أقلام تحفظ لامتحان، وليس محاضرات تساءل القيم والثقافة والسلوكات والأحداث الراهنة التي تؤرق المجتمع. لا نجد اليوم أي مُبرّر كي لا يهتم هذا الدرس بسؤال الحداثة، ولكن ليس بمنظور إعادة قراءة كانط Kant أو هيغل Hegel أو نيتشه Nietzsche أو فرويد Freud، ولا بتلقين دروس في التحليل النفسي أو التعريف بالمشروع النقدي الكانطي، لأن ما يميز مجتمع المعرفة اليوم هو وفرة المعلومة وبُسر الوصول إليها، إننا بحاجة إلى تعليم طرق الوصول إلى ما يفيد البحث، والالتزام بتقديم البحوث بشكل أصيل غير منقول، والتساؤل حول مُمكنات قيام الحداثة بالمجتمع المغربي، والدفع بالتشبع بالقيم الكونية وبالمنظومة العالمية لحقوق الانسان، والانخراط في هموم الوطن، والبحث في الإشكالات التي تعترض مجتمعنا نحو التقدم والحرية والتحرر.

إن ربط درس الفلسفة بالامتحان الوطني يمثل أحد العوائق التي تقف أمام هذا الدرس في التعليم الثانوي التأهيلي، حيث صار رهين وحبس النقطة، فلم تعد الحاجة مرتبطة بتلقين قيم معينة وبالاتساؤل عن مشكلات معينة وإمّا بالعمل من أجل الظفر برتبة مشرّفة. إلا أن هذا المشكل ليس وحده العائق، فما الذي يمنع نجاح الدرس الفلسفي في السنتين الأوليتين من سنوات هذا السلك؟ ما الذي يمنع من أن يقوم المُدرّس بدوره كمربي على التفكير النقدي، وكمتمسائل أول عن القيم السائدة؟ وما الذي يمنع مدرس الفلسفة من أن يكون الفاعل الأول في الحياة المدرسية حيث التلاميذ بحاجة إلى تعلّم أدوات التعبير عن الذات وعن الرأي، وبخاصة إلى التساؤل عن هويتهم وإدراكها كما هي لرفضها أو قبولها؟ ما الذي يمنع هذا المدرس من أن يكون مُودجاً يقتدى به في حيّه ومجتمعه الصغير؟

صار من اللازم إعادة النقاش حول واقع الفلسفة بالمغرب اليوم، والبحث بجديّة عن المخارج الممكنة للأزمة التي نتخبط فيها بحدّة. كما صار من اللازم إعادة التأكيد على دور هذا الدرس في الدفع بعجلة التقدم إلى الأمام. وهو ما ليس ممكناً إلا بإعادة النظر في الموضوعات المدرسة وفي الطرق التقليدية للتدريس، وفي الطابع التجاري (التسليح) الذي ينخر جسم الفلسفة. ولا سبيل غير الجرأة والشجاعة في طرح موضوعات: الدعاية، الجسد، الموت، الدين، الفن، الاختلاف، التعدد والتنوع، الخاص والعام، التواصل، النوع، الحق، العدالة، الدولة، الديمقراطية، الحرية، السعادة، العنف، الإقصاء، الغيرية، الاستبداد بالرأي.. وهو ما يستدعي تضامير جهود الجميع.

ابن خلدون والمغرب.. بحث في دقائق العلاقة - الحلقة الأخيرة



♦ يوسف رزي

وافق حلول ابن خلدون بمصر تولى السلطان برفوق حكم مصر الذي كان اعلانا بنهاية حكم أسرة قلاوون. يذكر ابن خلدون هنا أحداثا جرت بشكل متتابع وهي كالتالي : تدرسه بمدرسة القمحية و سخط السلطان قاضي المالكية في دولته لبعض النزعات وعزله وتوليته مكانه.

يسرد ابن خلدون هذه الأحداث و كأنها حدثت اتفاقا لا رابط بينها . لكننا نرى أنه مثلما احتج شيخ الفتيا بتونس على السماح لابن خلدون بتدريس مقدمته بمدارسها فإن قاضي المالكية بمصر فعل نفس الشيء حينما شرع ابن خلدون في التدريس بمدرسة القمحية فكره المناصر للأعراب ولكن لأن حكم أسرة قلاوون كان قد انتهى بمصر و حل مكانه حكم سلطان من أسرة أخرى بتوجه آخر قوامه اضهاد المغاربة و التضييق عليهم و هو ما ستره فيما بعد فإنه غضب على قاضي المالكية وأقاله و نصب مكانه ابن خلدون عدو الحضر وبعثه إلى مجلس الحكم بالمدرسة الصالحة بالقصرين مرفوقا بكبار خاصته.

و طبعا ما إن تولى منصبه حتى شرع في اضهاد مغاربة مصر مدعيا أنه كان قاضيا نزيها لا تأخذه في الله لومة .! و الواقع أننا وددنا أن نصدق لولا أن عصر برفوق بالذات اشتهر بفساد القضاء و انتشار الرشوة/البرطل فيه. ما يجعلنا نقول بأن ابن خلدون لم يكن قاضيا نزيها بل كان يد السلطان برفوق الباطشة بمغاربة مصر.

يصف ابن خلدون خصومه و ضحاياه بالقول : " و كان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوزون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا و هناك و لا يتنمون الى شيخ مشهور ... و خلوا إلى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المتحلين للعبادة ليشرحون بها الجاه" أي أنه يفهم باللقطاء و الساقطين و ضعفاء العلم والذين لا يتبعون شيئا مشهورا. يتضح هنا أن التوتر بين الطرفين لم يكن مرده إلى أن ابن خلدون أراد رد المظالم و إعادة الحقوق إلى أصحابها بل يعود بالأساس إلى الإختلاف الفكري بينهما مثلما كان عليه الأمر في تونس فابن خلدون ردد أفكارا لم يقبل بها مغاربة مصر مثلما هو الشأن مع التوانسة لأنها تمنح الشرعية السياسية للأعراب وتجعلهم مصدر الدولة في البلاد المغربية وأنه على الحضر قبول اجتياح العصبية البدوية لبلدهم إن ارادوا أن تقوم دولتهم من جديد و هو الأمر الذي كما يبدو من الصراع الذي نشب بين الطرفين أزعج مغاربة مصر فنددوا به. و لهذا استخدم ابن خلدون هنا آلية تسفيه الخصوم فهم مجرد لقطاء و ساقطون ومشعوزون ولا شيخ مشهور لهم . و حتى ولو أردنا تصديق ابن خلدون فهل حقا ما قاله في حق مغاربة مصر صحيح؟. الواقع أن ما يذكره ابن خلدون عن مغاربة مصر في ذلك العصر يتناقض مع واقع الحال. لقد كان الحضور الصوفي قويا بمصر وزواياهم هناك منتشرة و شيوخها مشهورون كالشيخ أبي الحسن الشاذلي و تلميذه أبي العباس المرسي و محمد الصنهاجي البوصيري إلخ .. فكيف يدعي ابن خلدون إذن أن خصومه لا يتنمون لشيخ مشهور ؟!

لقد عانى مغاربة مصر من محنة شديدة على يد ابن خلدون لدرجة أن زواياهم التي ظلت عامرة بأهلها و مرديها صارت مقفرة و هو ما يصفه بعبارة : " و أصبحت زواياهم مهجورة و برهم التي يمتاحون منها معطلة". إذن نحن أمام سياسة اضهاد ممنهج للمغاربة للتضييق عليهم و تقليص وجودهم بمصر.

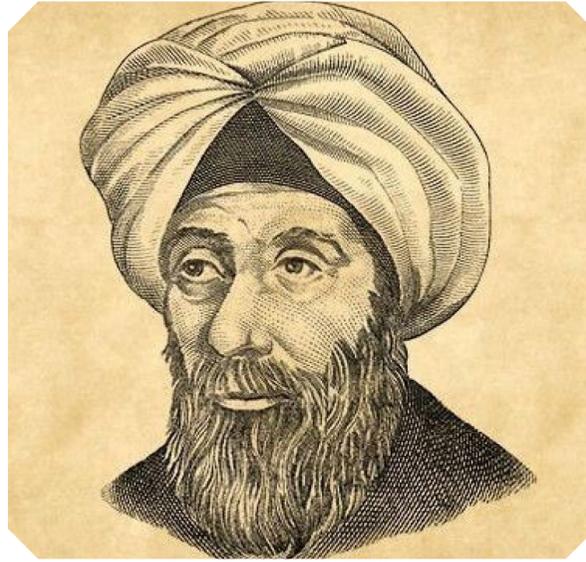
نسجل في هذا الصدد هذا التشابه الغريب بين محكمة ابن خلدون و محاكم التفتيش التي ستظهر بعد فترة قصيرة بإسبانيا للتضييق على الوجود الموريسكي بها. هل هناك علاقة بين المحكمتين أم أنه مجرد تزامن صنعته الصدفة ؟ لكن سواء كان الأمر بفعل فاعل أو وليد الصدفة فإننا نلاحظ من خلال إلقاء نظرة بانورامية على أحداث القرن 14 أن هذا العهد كان عهد تقسيم المغرب الكبير و منع توحده و تخريبه من الداخل و جعله بين سندان الأعراب و مطرقة السفن الأوربية الصليبية و تقليص امتداداته في كل من الجزيرة الابيرية

و مصر. الغريب أن ابن خلدون يصف هذا الوضع بوضوح بالعبارة التالية : " تقصر الأرض من الأطراف و الوسط و خمود ذبال الدول في كل جهة" .!

اشتد الصراع بين ابن خلدون و مغاربة مصر و لأنهم يعرفون ماضيه و سيرته بالمغرب فإنهم انطلقوا يفضحونه و هو ما عبر قائلا : " و انطلقوا يراطنون السفهاء في النيل من عرضي و سوء الاحدوثه عني بمختلف الإفك و قولوا الزور و يثونونه في الناس".

كان مقدرنا لهذا التوتر أن يستمر طويلا بين الطرفين لولا أن ابن خلدون تعرض لحدث فجعف كيانه و أحمد حيويته و هو غرق السفينة المقللة لأسرته عند وصولها إلى ميناء الاسكندرية ما جعله يقرر الاستقالة من منصبه. لكن كان عليه انتظار موافقة السلطان إذ حذره مقربوه من هذه الخطوة لكن يبدو أن مؤرخنا كان قد فقد إثر هذه الفاجعة كل حماسه لاضهاد المغاربة !.

و هنا نطرح الاسئلة التالية : لماذا أصر ابن خلدون على الاستقالة مباشرة بعد غرق أسرته و لم يحتسب هذا الحدث الأليم عند الله ؟ أليس قاضيا مالكيًا مؤمنا بالقضاء و القدر؟ هل كل رجل من رجال الدولة يستقيل من منصبه عندما يفجع في أسرته؟ أليس ابن خلدون قاضيا نزيها لا يخاف في الله



لومة و ينصف المظلومين و عليه أن يستمر في منصبه لقمع أهل الفساد و الظلم؟ لماذا أصر على الاستقالة رغم علمه بأن قراره هذا سيغضب السلطان برفوق؟ لنصل الى السؤال الأهم و هو : هل كان غرق السفينة المقللة لأسرة ابن خلدون قضاء و قدرا أم له علاقة بالصراع الدائر بين ابن خلدون و مغاربة مصر؟ و بعبارة أخرى: هل يرجع تزامن الحدثين(الصراع و الغرق) إلى الصدفة البحثة أم أنه كان بفعل فاعل ؟!

لماذا طرحنا كل هذه الاسئلة ؟ الواقع أننا وجدنا صعوبة في هضم التفسير المقدم من طرف ابن خلدون عن غرق السفينة المقللة لأسرته. يقول أنها غرقت بفعل الرياح لكن ما نستغربه هو أن هذه الرياح لم تغرق سوى سفينة واحدة في مكان مزدحم بالسفن و هو ميناء الاسكندرية !!.

كنا سنصدق هذه الرواية لو أن هذه السفينة قد غرقت في عرض البحر لكن أن تغرق في ميناء الاسكندرية دون غيرها من السفن فهذا أمر غير معقول فالرياح العاتية لا تجيد التمييز بين السفن و لو أنها هبت بقوة على ميناء الاسكندرية لأغرقت كل السفن الموجودة به وكان ذلك يوما مشهودا من طرف مؤرخي مصر و على رأسهم ابن خلدون و كان في هذه الحالة سيكتب أن ميناء الاسكندرية تعرض لعاصفة بحرية أدت لغرق السفن به مما فيها السفينة التي تقل أسرته.

لذلك نرى أن هذا السفينة قد أغرقت بفعل فاعل فور رسوها بميناء الاسكندرية و لم تغرق قضاء و قدرا. لقد أغرقت كنتيجة للصراع الدائر بين ابن خلدون و مغاربة مصر ذوي النفوذ القوي في الدولة المصرية . لقد كان هذا الإغراق رسالة تحذير لابن خلدون كي يتراجع عن مسلسل اضهاده للمغاربة الذي دشنه بمعية السلطان برفوق و قد فهم الرسالة جيدا و امتثل لها وقرر الاستقالة من منصبه رغم تحذيرات رجال البلاط له من غضب السلطان.

نطرح في ختام هذا البحث سؤالنا الأهم و هو لماذا كان ابن

خلدون يقف هذا الموقف العدائي من المغرب رغم أفضاله عليه ؟ ما السر في ذلك ؟ ما الدافع الحقيقي لسلوكه؟ لماذا كل هذا الإصرار و الحماس في معاداة المغرب؟

للإجابة على هذه التساؤلات دعونا نستعرض ما استطعنا تجميعه من قطع فسيفساء متناثرة تخص ملامح شخصية ابن خلدون، و هي كالتالي:

- متآمر على الوحدة الترابية للمغرب الكبير

- مساهم رئيسي في تقسيمه

- خائن لرؤسائه المغاربة سلاطينا و وزراء

- مساند للتدخل الأندلسي بالمغرب

- مساهم نشيط في تقليص الوجود المغربي بالأندلس

- يطبعه الأعراب دون تردد

- رغم خياناته المتكررة لا أحد يجزؤ على ايدائه

- يتلقى عقابا خفيفا ثم يطلق سراحه

- مناصر للأعراب ضد الحضر

- منظر ايدولوجي لدولة الأعراب

- مضطهد للحضر

- مكروه ومرفوض من طرف العلماء المغاربة

- يحذر منه الوشاة اينما حل و ارتحل

- محبوب و محتفى به من طرف أعداء المغرب و المغاربة

نجد بتأملنا العميق في ملامح هذه الشخصية و بتجميعنا لقطع البوزل الخاصة بها أنها تخص ملامح جاسوس أوربي استدعي من طرف الدولة العميقة بالمغرب لتنفيذ خطته التخريبية به وإطفاء جذوته و إزاحته عن مسرح السياسة الدولي.

لقد كان المغرب الكبير في القرن 14 م رجل البحر الأبيض المتوسط المريض. كانت تقابله قوتان صاعدتان هما جنوة وقشتالة. وبعد تدمير الأسطول الموحدوي و فقدان المغرب لدرعه العسكري الذي يحميه من هجمات أوربا كان عليه إذن أن يواجه سياسة تفكيكه و تخريبه وإنهاء دوره التاريخي و ركنه على الهامش.

و طبعا حاول سلاطين بني مرين العودة بعقارب الساعة إلى الوراء و إحياء الدولة الموحدية من جديد لكن العطب كان عميقا. إذ أن كلا من جنوة و قشتالة صار لهما حلفاء أقوياء داخل البلاط المريني ممثلين في جماعة الأشياخ الذين كانوا بحاجة إلى جاسوس أو ضابط اتصال بلغة العصر ينسق عملهم مع سفراء الأندلس المخترقة بدورها من طرف قشتالة من أجل فرملة حركة المغرب نحو الشرق و منع نهضته.

كانت لابن خلدون كلمة نافذة على الأعراب رغم عدم امتلاكه للمال أو القوة العسكرية لأنه ببساطة كان مبعوث الدول الاوربية و نائبا عنها شأنه في ذلك شأن لورنس العرب الضابط الانجليزي الذي قاد مفردة عرب الجزيرة ضد الدولة العثمانية. فمثلما انقاد هؤلاء للضابط الانجليزي انقاد أعراب المغرب الكبير لابن خلدون لإدراكهم منافع التحالف مع القوى الأوربية آنذاك.

نجد كذلك أنه ما من أحد من سلاطين المغرب جرؤ على فصل رأس ابن خلدون عن جسده جراء خياناته المتكررة (وهي عقوبة وسيطة شائعة) لعلمهم أن المساس به هو كفيل بإغضاب الوحش الاوربي و استقدامه مجددا عبر أساطيله الصليبية (أم تسعمر فرنسا الجزائر بسبب ضربة مروحة ؟!). كل ما استطاعوا فعله كإجراء ضابط عليه هو الاحتفاظ بأسرته كرهائن حتى لا ينقلب عليهم. كما لا ننسى أن ابن خلدون كان يمتلك دون باقي رجال المنطقة مفتاح الأعراب في يده و لذلك لجأ السلاطين إليه ليحل لهم مشاكلهم مع البدو الذين كانوا بإشارة منه يستجيبون له فينتقلون من خدمة هذا السلطان إلى ذاك.

قد يبدو هذا الاستنتاج صادما لكن دعونا نذكر القارئ بأن الجاسوسية كانت المهنة الرئيسية لعدد من المؤرخين الوافدين على المغرب ليس في الحقبة المعاصرة فحسب بل أيضا في الحقبة الوسيطية. لقد توصل المؤرخ محمد حجي إلى نفس الاستنتاج بخصوص ديجو دي توريس و مارمول كربخال حيث ذكر أنهما و إن تخفيا في ثوب الراهب أو الأسير فإنهما بالأساس مارسا مهنة الجاسوسية لصالح قشتالة و نحن بدورنا نضيف من الشعر بيتا و نقول أنه حتى الحسن الوزان و عبد الرحمن بن خلدون كانا جاسوسين أوربيين و إن تخفيا بأسماء إسلامية. ألم يتظاهر ميشو بليز باعتناق الإسلام و حفظ القرآن ؟!!

مقتل الشاب إلياس الطاهري يخفي غابة من العنصرية بإسبانيا

♦ حسين فاتيش / إسبانيا

بالدعاية الإلكترونية، حيث تروج لتقريب الحرك إلى أكبر جمهور من الأطفال القاصرين، وتوظف لتحقيق هذه الغاية سلسلة من فيديوهات كليبوات الراب على قناة اليوتوب، تنشطها مجموعة من الأطفال القاصرين من بينهم قاصرون نجحوا في الوصول إلى عمق دول الاتحاد الأوروبي عن طريق الريسكي.. هذه الأغاني التي تغرق السوق ويتداولها القاصرون على نطاق واسع، كلها تمجيد للحريك وتغن بحسناته وإشادة بانجازات القاصرين الذين نجحوا هناك في أوروبا، كما تتضمن تلك الأغاني دعوة وتحريضاً للأطفال المغاربة لركوب مغامرة الحريك والريسكي (الهجرة بواسطة التسلل إلى البواخر والاختباء تحت هياكل شاحنات النقل الدولي للبضائع والمسافرين..). عوض انتظار الأوهام والذي يأتي ولا يأتي،

غير أن الواقع يكذب مضامين الرسائل التي تسعى دعاية مافيا الاتجار بالبشر إلى إيصالها للأطفال المغاربة، فمعظم الأطفال الذين يصلون إلى مدن سبتة ومليلية ويتم إيوؤهم بمركز حماية الطفولة أو ما يعرف لدي ساكنة مناطق شمال المغرب بالخيرية، سرعان ما يهجرون تلك المراكز المؤطرة بأنظمة متشددة لم يعهدوها من قبل، لتبتدئ لديهم فصول مغامرة ما يسمونه الريسكي، بولوج عالم التنسكع في الشوارع حيث يسقط الكثيرون منهم في شرك الإدمان على المخدرات الرخيصة مثل السليسيون والكحول، وما يتطلبه تحصيل هذه المواد علاوة على مصاريف الأكل والشرب، وكذا التعاطي للسرقة وللتسول وأحياناً بالسقوط في شبكات المنظمات الإجرامية الدولية التي توظفهم في دعارة الأطفال وتوزيع المخدرات والمشاركة في جرائم تصفية الحسابات بين مختلف أجنحة تلك المنظمات.. والقلة هي التي تفلح في بلوغ شبه الجزيرة الإيبيرية عن طريق الريسكي، بعد أن تكون قد جربت حياة أطفال الشوارع أو دخلت عالم الانحراف من بابه الواسع، وهذا ما تعكسه المواد الإعلامية التي تنشرها وسائل إعلام تدور في فلك تيارات اليمين العنصري كالفيديوهات التي تظهر أطفالاً قاصرين مغاربة أو مغاربيين يتعاطون لجرائم السرقة بالعنف في واضحة النهار، أو ارتكاب أفعال الاغتصاب الجماعي للنساء..

بالرغم من اتساع رقعة المتعاطين للأفعال الخارجة عن القانون بين الأطفال القاصرين المغاربة، فهذا لا يخفي الصورة المشرفة التي تعكسها حالات كثيرة من أطفال مغاربة وصلوا إسبانيا في وضعية قاصرين وتابعوا دراستهم وكردوا واجتهدوا وكونوا أنفسهم وأصبحوا مضرب الأمثال.

اليمن العنصرية على سياسية تدبير إدارة مراكز إيواء القاصرين، هي من حرمت إلياس الطاهري من أن يكون نزيلاً بإحدى المشافي النفسية، عوض أن يكون نزيلاً بمركز اعتقال القاصرين الجانحين حيث وافته المنية.

معضلة الأطفال القاصرين الغير المرفقين بإسبانيا مسؤولية الدولة أم مسؤولية الأسر؟

في منطقة شمال المغرب تتداول كلمة "الخيرية دسبته" (خيرية سبته) بشكل لاف وتتناقلها الألسن على نطاق واسع في معظم أوساط الأسر الفقيرة وأصبحت الخيرية ديال سبته بمثابة الحل السحري والمفتاح لمشاكل معظم الساكنة التي لها أبناء تعجز عن إعالتهم، ليصبح الآباء

فيه، إن لم يسقطوا في قبضة المنظمات الإجرامية الدولية، التي توظفهم في أنشطتها الإجرامية، مثل السرقة بالعنف المسلح وترويج المخدرات وشبكات دعارة الأطفال أو تصفية الحسابات. صحيح أن مسار الضحية إلياس الطاهري، مختلف نوعاً ما عن مسار الأطفال الحراكا، الذين يصلون إسبانيا عبر ركوب مغامرة ما يسمونه "الريسكي"، فهو دخل إسبانيا بطريقة شرعية وتم تسجيله بإحدى المؤسسات التعليمية بمدينة الجزيرة الخضراء حيث تقطن أسرته، إلا أن حظه العاثر شاء له أن يعاشر رفاق السوء كما قالت أسرته لإحدى الصحف، نتيجة عدم قدرته على مواجهة ظروف حياته المتقلبة وسوء تكييفه مع وضعه الأسروي الجديد (والدته ارتبطت بالزواج مع رجل من جنسية إسبانية ورزقت منه بطفلة هي سادس إخوته)، ومن



والمهات يحملون بإيجاد وسيلة تمكن أطفالهم من ولوج مدينة سبته وتحصيل مكان لهم تحت شمس إسبانيا، بمركز من مراكز إيواء القاصرين الغير المرفقين.

مافيا الاتجار بالبشر واعية بحاجة الأسر إلى خدماتها، لذلك تستغل فقرها وقلة ذات يدها كما تستغل الظروف السوسيو اقتصادية المتدهورة السائدة بالمغرب، وإفلاس منظومتها التعليم والصحة وانسداد الأفاق وانعدام فرص الشغل أمام معيلي الأسر، مما يؤدي إلى عجز هؤلاء عن إعالة أطفالهم، واقتقارهم للإمكانيات المادية الكفيلة بضمان مستقبل واعد لهم ببلدهم المغرب، لذلك فإن مافيا الهجرة ترسم لتلك الأسر معالم مستقبل افتراضي زاهر ينتظر أطفالها القاصرين خارج حدود المغرب، إن هي وفرت المقابل المادي الكافي لإدخالهم خلصة إلى سبته أو مليلية، حيث تنتظرهم فرصة سانحة لمواصلة التسلل نحو الضفة الجنوبية للفردوس الأوروبي.. بل إن مافيا الهجرة التي تقوت هياكلها وتشعبت فروعها بشمال المغرب، أصبحت تدعم أنشطتها

تم جرفه تيار الانحراف فتلقى أولى العقوبات القضائية التي كانت مدتها قضاء سنة ونصف بمركز الأحداث بمدينة الجزيرة الخضراء، ومن تم قاده القدر ليكون نزيل مراكز القاصرين بكل من مدن قادس وقرطبة، قبل أن يقوده أمله المحتوم نحو مركز القاصرين بالميريا، حيث ضرب له الموت موعداً هناك. ليس من سخرية القدر في شيء أن يتزامن وصول إلياس الطاهري إلى إقليم الأندلس بدخول حزب اليمين العنصري فوكس معتزك المنافسة السياسية بالساحة الإسبانية، وشاء قدر إلياس الماكر أن تكتسح إيديولوجية الكراهية للأجانب جل مناطق أندلسيا، بسبب خطاب الشعبوية الرخيصة لأقطاب فوكس، والذي وصل إلى سدة الحكم بجهة أندلسيا، وهو ما جعل من قضية الأطفال القاصرين المغاربة حسان طروادة في صياغة خطابه العنصري. ليس حزب فوكس هو من ينظم المسيرات نحو مراكز إيواء القاصرين لتحريض الساكنة على المطالبة بإغلاق تلك المراكز؟؟ وليس من المستبعد أن تكون هيمنة إيديولوجية

شبكات الاتجار بالبشر مرتع لاصطياد القاصرين المغاربة بإسبانيا.

قضية وفاة القاصر المغربي إلياس الطاهري على أيدي حراس أمن تابعين لشركة خاصة، تتولى إدارة مركز إيواء القاصرين التابع لمدينة (الميريا) بإقليم الأندلس، برغم كل التأكيدات التي تضمنها مقال نشرته جريدة الباييس الإسبانية مؤخرًا، مفادها أن الهالك لم يمت ميتة طبيعية، في منطقة (أوريا)، بالاستناد إلى تقرير الطبيب الشرعي، إلا أنه بالرغم من مرور زهاء سنة على وقوع هذا الحادث المأساوي، لم نر أي تفعيل لمعاقبة المسؤولين عن إزهاق روحه، والأغرب من هذا وذاك أننا لم نشهد قيام أية تحركات احتجاجية تعم مختلف مناطق الأندلس وإسبانيا في بحر شهر يوليوز 2019، تاريخ مقتل إلياس، لا بدعم من طرف أمين عام مجلس الجالية، ولا بدعم من وزارة الجالية التي تنام في عسلها بالرباط ولا بدعم من وزارة تركت صلاحياتها، ولا بدعوة أو بقيادة من البرلمان المقيمين بإسبانيا، المقيمة بإسبانيا، ولا بتنظيم من أي من فصائل فسيفساء "الألاف المؤلفة" من جمعيات المهاجرين المغاربة، خاصة منها جمعية العمال المغاربة بإسبانيا، بادت وأصبحت أثراً بعد عين، إذ سبق أن اتهمت السلطات العمومية الإسبانية بعدم تقديم وثائق تثبت مجال صرف أموال عمومية تلقتها في شكل تمويل، قد يقول قائل، أن يأتي تحركنا في اتجاه المطالبة بالعدالة وفاء لروح إلياس متأخرًا بعام، أفضل من أن لا يأتي أبداً ! لكن الأفضل والأفضل كان أن نتفادى الانتظار حتى حدوث جريمة مقتل جورج فلويد العنصرية بالولايات المتحدة، وما تلاها من حدوث تسونامي الاحتجاجات التي عمت جل عواصم العالم، لكي يتم ترطيب ذاكرتنا التي شاخت نوروناتها، وننتذكر أن لنا مثل سود أمريكا ضحايا العنصرية، لنزف عقيرتنا بالمطالبة بإحياء ملف قضية يرقد في أرشيف المحاكم الإسبانية.

قضية إلياس الطاهري لا يمكن عزلها عن سياق ظاهرة هجرة الأطفال المغاربة أو هروب هؤلاء من جحيم انسداد الأفاق بوطنهم، والذي أصبح مرتعاً خصباً لمافيا الاتجار بمآسي العائلات المغربية التي فقرتها السياسات الطبقية القائمة على مبدأ تغييب العدالة الاجتماعية واختلال موازين التوزيع العادل للثروة الوطنية، فأصبحت تعول على تهجير أبنائها كمخرج وحيد من أزمتها السوسيو اقتصادية، وكسبيل لتحسين ظروفها المعيشية، وأصبح الالتحاق بإحدى مناطق الجنوب الإسباني يشكل الحلم الأكبر لأولئك الأطفال، حتى وإن كانت المغامرات ينتهي أغلبها بأحداث مأساوية، تحت عجلات الحافلات أو شاحنات النقل الدولي للبضائع، وفي أحسن الأحوال ينتهي المطاف بالمغامرين، نزلاء بمراكز إيواء الأحداث، حيث يعاملون معاملة الضيف الغير مرغوب

الهيمنة الأمريكية والفشل في تخطي الفكر العنصري



♦ سفيان جناني

إن ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية والمنظومة الرأسمالية عموماً ليس غريباً وليست صدفة، بل هي تراكمات مطمورة تحت لواء الديمقراطية، فالمتتبع والمتقني لتاريخ أمريكا ونشأتها وبنية نظامها السياسي، يدرك سريعاً أن هذه الأحداث والانتفاضات ليست بشيء جديد، ولها جذور في التاريخ الأمريكي سواء بالنسبة للعنصرية أو الأوضاع الاجتماعية والحقوقية تجاه الأمريكيين من أصول إفريقية، صحيح أن الأحداث مشابهة للانتفاضات سابقة، إلا أن الشروط القائمة حالياً أصبحت أكثر تطوراً من أي وقت كان، فأمریکا تعيش في الآونة الأخيرة على إيقاع ساخن

والذي يجد جذوره في الأزمة البنيوية التي تغلغت في قلب المراكز التاريخية للرأسمال، وبرز عناوين هذا الإيقاع الأزمة الاقتصادية العالمية، ومستقبل البطالة الذي يزداد مع فيروس كورونا، ونضالات الأمريكيين الأفارقة ضد العنصرية، والأزمة الصحية، وكذا الأخطاء القاتلة للرئيس الأمريكي تجاه المؤسسات السياسية الأمريكية من جهة أخرى، إلى درجة أن وصفته مجلة "ذي أتلانتك" بأنه أسوأ رئيس حكم الولايات المتحدة الأمريكية، كل ذلك تناقضات أمريكية غير مسبوقه داخليا وخارجيا.

ميامي، واتهم حركة "أنتيفا" بالإرهاب والتي هي حركة ضد العنصرية والفاشية، فموقفه وتصريحاته الهوجاء زادت الطين بله، حيث تشكل انقسام داخل أمريكا وخارجها، وهو ما أوجع الغضب الجماهيري، فامتدت نضالاتهم إلى اليوم، لتتسع رقعتها إلى أوروبا (بريطانيا فرنسا وإيطاليا وألمانيا واليونان...)، كل هذا جعل الانتقاد ينهال على ترامب من كل أنحاء العام. ورأينا كيف انتقده وزير الداخلية السابق، وكذلك قيادة الجيش الأمريكي، بعدها استمرت أضحوكة ترامب بالبيت الأمريكي حينما ذهب إلى الكنيسة ورفع الكتاب المقدس، حيث فسرت هذه الحادثة بتفسيات مختلفة، لكن من المؤكد أن هذه العملية نوع من مغازلة للقوميين المسحيين القاعدة الانتخابية الواسعة.

والجديد في الأمر هو التطور التكنولوجي الذي جعل الكل ينقل الأحداث إعلامياً بواسطة الهواتف الذكية، وأصبحت هذه الجرائم توثق، وتبرز على الساحة، بحيث أن الإعتدات والمضايقات من قبل الشرطة هي ممارسة يومية بحق المواطنين من أصول إفريقية في الكثير من المدن الأمريكية، ومسألة العنصرية مرتبطة بما يقع اقتصادياً، وخروج الجماهير الآن رغم شعاراتها ضد العنصرية إلا أن الأوضاع الاقتصادية هي السبب الخفي وراء هذا، والأرقام وحدها توضح ذلك، وبنظرة بسيطة على أوضاع المواطنين من أصول إفريقية نفهم ضمناً الاضطرابات المشتعلة الآن.

أرقام الميز العنصري بحمولة اقتصادية:

فوفيات كورونا في صفوف الأمريكيين من أصول إفريقية أكثر من البيض، مثلاً في ولاية أيلينوي يمثل السود 14 في المائة من السكان، لكنهم يمثلون 42 المائة من الوفيات، وفي شيكاغو كان 72 في المائة من إجمالي الوفيات منهم .



الطبقي، وبينها تلازم وتكامل، أي بين الاستغلال الطبقي والاضطهاد العنصري، و يقول في هذا الصدد المناضل الغاني "كوامي نكروما" وحده القضاء على الرأسمالية الاستعمارية، والاستعمار الجديد عالمياً، سيوفر الشروط التي يمكن من خلالها إلغاء المسألة العرقية والقضاء عليها للأبد. ومن المعلوم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المرتع التاريخي للعنصرية، وفي تاريخها أحداث دموية منذ نشأة بإبادة السكان الأصليين الهنود، كان آخرها حينما ظهر مقطع فيديو يبين أقصى درجات العنصرية وفي أبشع أشكالها تجاه أمريكي من أصول إفريقية تم قتله يوم 25/05/2020 ويسمى "جورج فلويد" بعمر الأربعين سنة في مدينة "مينيابولس، مينيسوتا"، حدث هذا في "قدوة" العالم التي تدعي الحضارة والتقدم والديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، هذا الفيديو أثار غضباً عارماً حول العالم، حيث قُتل الرجل وهو ينطق لا "أستطيع التنفس"، تحت جسم شرطي عنصري ومعه ثلاثة آخرون يستمتعون بالمشاهدة، هذا يوضح عمق العنصرية المتراكمة في أمريكا، وفي الوقت الذي كان ينتظر العالم ومع الأمريكيين الإفريقيون في كل بقاع الأرض العدالة "لجورج فلويد"، قام القضاء الأمريكي باعتقال الأربعة لكنه صنف الجريمة من درجة ثانية، كما تعود تاريخياً في الإعفاء على أصحاب هذه الجرائم، فظهر الجشع ترامب بمواقفه العنصرية وأفكاره اليمينية وهو يتهم الجماهير بالبلطجية، وكان قريباً من إدعاء أن الانتفاضة هي مؤامرة صينية، لكنه لم يجد سبيلاً لذلك، حيث وجد أمامه حشوداً كبيرة من البيض والسود، وجه لهم أبشع النعوت وقام بتهديدهم بإنزال الجيش والكلاب البوليسية إلى الشوارع، حيث قال أمام العالم مقولة لها معنى بليغاً وجذوراً تاريخية "حين يبدأ النهب سيبدأ إطلاق النار"، وهذه الجملة تعود لسنة 1967 ولها حمولة عنصرية وفاشية، قالها قائد شرطة ولاية

العنصرية ظاهرة متأصلة في العالم الرأسمالي:

الأزمة الاقتصادية شروطها تختلف عن كل ما سبق من الأزمات، والنضال ضد العنصرية وكفاح الأمريكيين الأفارقة اليوم يختلف عن سابقه، وله جذور عميقة وارتباط وثيق بالأزمة الاقتصادية وانعكاسها عليهم خصوصاً، وحتى لا نقول إن أمريكا وحدها من تعرف مظاهر العنصرية، فحتى أوروبا تعرف تنامي الفكر العنصري واليميني، والذي يشهد صعوداً ملحوظاً في كل بقاع أوروبا، وحتى المنطقة العربية لا تخلو من هذه المظاهر، لكن حديث اليوم سيقترن على العنصرية الأوروبية بشكل عام وعلى العنصرية في مركزها التاريخي (أمريكا) بشكل خاص. ونعلم "علم اليقين" أن المركز الرأسمالي يحترق شعوب الأطراف ويمارس عليهم عنصرية مقيتة منذ زمن طويل، عبر نهب خيراتها ومقدراتها الوطنية، فالعنصرية تنمو وتتجذر في أحضان النظام الرأسمالي، وهو طابع من طبائعه ويعمل بشكل دائم على إنتاج العنصرية والتفرقة والتمييز، فالأفارقة في عقلية المركز الاستعماري هم منجم ومصدر ثروة وحقل للتجارب بجميع أنواعها، وما الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية للجماعات الإسلامية المتطرفة ودعمها للكيان الإسرائيلي القاعدة المتقدمة لرأسمال في الشرق الأوسط، إلا تعبير عن الرابط بين العنصرية في أمريكا والهيمنة الاستعمارية، فالتراث الرأسمالي له باع طويل في العنصرية والتمييز العرقي، فما إن ظهرت للوجود الأزمة الصحية (فيروس كورونا) حتى انكشفت هذه المنظومة أكثر فأكثر، وتبين مدى أنانية وعنصرية هذه الدول حتى فيما بينها، في البداية رأينا القرصنة في واضحة النهار من فرنسا تجاه إيطاليا والسويد تجاه إسبانيا وأمريكا تجاه ألمانيا، عبر سرقة المساعدات الطبية والأدوات الصحية القادمة من الصين، ومن جهة ثانية شهد العالم كيف حاول ترامب سرقة الأبحاث العلمية لشركة الدواء الألمانية عبر تقديم رشوة لإدارة الشركة، وقال ترامب آنذاك أمريكا أولاً (أليس هذا القول نابع من العنصرية نفسها)، ورأينا كيف امتنعت دول الاتحاد الأوروبي خصوصاً فرنسا وألمانيا عن تصدير المستلزمات الطبية إلى جيرانها وشركائها في أوج الوباء. وزيادة على هذا وفي الوقت الذي كانت الشعوب بحاجة ماسة للمساعدات قامت الولايات المتحدة بتشديد العقوبات الاقتصادية على فنزويلا، إيران، سوريا...، وينضاف إلى هذا تصريحات الأطباء الفرنسيين وعلى مرأى ومسمع من العالم قال "جون بول ميرا" رئيس طوارئ مستشفى كوشان في باريس بأن إفريقيا مكان مناسب لاختبار لقاح فيروس كورونا، كل هذا يبين عنصرية نظام متعفن قاد العالم لزمن طويل، ومن جهة ثانية يبين أن الرأسمالي لم ولن يغادره العقل الاستعماري العنصري.

فبنية العنصرية متأصلة ولا تنفصل عن التطور الاقتصادي لرأس المال، إذن فمسألة العرق لها ارتباط وثيق بالاستغلال

الهيمنة الأمريكية والفشل في تخطي الفكر العنصري

♦ سفيان جناتي

بالمساواة في كل أنحاء أمريكا، وسنة 1909 تأسست الجمعية الوطنية للنهوض بالملونين، وهي منظمة حقوق مدنية للأمريكان ذوي الأصول الأفريقية، ومن مؤسسها "مور فيلد ستوري" و"ماري وايت" و"دوبويس" و كانوا يؤكدون على أهمية التعليم العالي، ويمكن اعتبار هذه الجمعية الأكثر تأثيرا في مجال حقوق الأفارقة في أمريكا، ومع تطور المجتمع أصبحت الأفكار تتسع فأسس "ماركوس جاري" الرابطة العالمية لتحسين أحوال الزواج وتعمل على تعزيز روح الفخر العرقي و إنشاء الإحساس بالوحدة بين جميع السود في العالم، وبين سنة 1920 حتى 1930 تصاعدت مرحلة نهضة "هارم" وهي نهضة ثقافية في الأدب والفنون الأفروأمريكية سيكون لها دور بارز في تشكيل وبلورة ثقافة وهوية السود في أمريكا، وبالوصول إلى الحرب العالمية شارك أكثر من ثلاث ملايين أمريكي من أصل إفريقي في الحرب، وكانوا منفصلين عن البيض، ولكن الملفت للنظر أن هذه المشاركة لم تكون رسمية إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حينما أصدر الرئيس "هاري ترومان" قرارا بدمج السود في الجيش،

وبعدها سيصبح "مالكوم إكس" ذا نفوذ واسع بين الأمريكيين السود، وبعدها بسنتين أصدرت المحكمة العليا حكمها بالإعلان أن الفصل العنصري في المدارس غير دستوري، وسنة 1955 وقعت حادثة بشعة انضادت إلى التاريخ العنصري في أمريكا، حينما رفضت سيدة أمريكية من أصول إفريقية طلب السائق بأن تعطي مكانها لرجل أبيض، وتم اعتقالها بأشكال مخزية، وللإشارة فقد نجحت على إثرها حملة مقاطعة الباصات لمدة عام، وفي نفس السنة تم قتل شاب أسود بعدما قال بعضهم أنه قام بالتصفيير على امرأة بيضاء في "الميسيسيبي"، وتم تبرئة المجرمين من القتل، وسنة 1962 التحق أول طالب أسود بالجامعة الميسيسيبي وتم رفضه من طرف حاكم الولاية "روس بارت"، على إثر هذا الحدث كانت احتجاجات

واسعة تم قمعها من طرف الرئيس "جون كندي"، الذي أرسل ما يزيد عن خمسة آلاف جندي لهذه المهمة. وفي سنة 1963 سار نحو مليون شخص بواشنطن (بييض وسود) في أكبر تظاهرة، وخطب العديد من القادة وكان "لوتر كينغ" أيقونة هذا الحراك وشكلت كلمته "الدي حلم" وخطابه أساسا متينا للحراك، وكان سببا وراء إطلاق جون كندي وعبدا بإقرار الحريات المدنية في حملته الانتخابية، وفي 15 سبتمبر وقعت حادثة مأسوية تمثلت في قتل أربع فتيات في انفجار الكنيسة، هاته الجريمة استفزت مشاعر الكل، وانطلقت انتفاضة واسعة مرة أخرى، وبعدها قام الرئيس "جونسون" سنة 1944 بتوقيع الحقوق المدنية، وفي يوليو من نفس السنة أقدم شرطي على قتل شاب أسود في عمر خمسة عشر سنة، فاشتعلت انتفاضة من جديد بعد أسبوعين من اعتماد الحقوق المدنية، وبعدها جاءت حركة احتجاجية سنة 1965 على واقعة اعتداء الشرطة على شاب من أصول إفريقية، استمرت لما يزيد عن خمسة أيام، فتم إلقاء القبض على 4000 شخص، وقتل 34 من السود، وفي نفس السنة عرف العالم اغتيال الزعيم "مالكوم إكس"، وفي 04 أبريل 1968 اهتز العالم على واقعة اغتيال مارتن لوتر كينغ بالرصاص في غرفته، وكان لهذه الحادثة آثار بالغة، وهو ما أحدث

للعبيد ازداد الطلب عليهم، وفي سنة 1793 تقوى استعمالهم من أجل أعمال السخرة وبنيت على أكتافهم المعامل والضيعات الزراعية، وفي نفس السنة سنت الحكومة قانون العبيد والذي ينص على إعادة العبيد الهاربين، ومن إن حلت سنة 1800 حتى ظهر "جابريل بروس" والذي حاول تنظيم ثورة العبيد، لكن تم إفشال مخططاته، وتم إعدامه هو ورفاقه، وتلتها موجة من التضييق وتشديد القوانين التي تخص السود، وبين 1808 ولغاية 1820 منع الكونجرس جلب العبيد من أفريقيا، وسنة 1822 اشترى "دائمرك" حريته، وهو نجار من أصول إفريقية خطط لثورة العبيد بحصار مدينة "شارلشون" في جنوب "كارولينا"، لكن المحاولة باءت بالفشل، وتم إعدامه هو وأربعة وثلاثون من رفاقه، ولم تقف المحاولة هنا فسنة 1831 قام "نات ترنر" والذي قاد أهم حراك ثوري في أمريكا، بحيث أعلن هو وفرقته تمردا دمويا في "ساوثمبون" وتم قمع هذا التمرد بأشكال وحشية لیتتم إعدامه هو الآخر، في سنة 1846 تم تقديم وثيقة "ويلموت" حيث حاول فيها دافيد ويلموت عن الديمقراطيين منع الرق



في المقاطعات المستحوذ عليها في حرب المكسيك، لكن تم رفضها، وسنة 1861 تم إلغاء تجارة العبيد في واشنطن، وأثناء الحرب الأهلية مآلتها أصدر الرئيس "لينكولن" إعلان تحرير العبيد داخل الكونفدرالية، لیتتم تحرير ما يزيد عن ثلاثة ملايين عبدا، وضم إلى جيش الإتحاد نحو 186 ألف جنديا أسودا، قتل منهم في الحرب ما يزيد عن 38000 جندي، بحيث عرفت تلك الحرب مقتل 620000 من 35 مليون نسمة آنذاك، ومع نهاية الحرب تم اغتيال "لينكولن"، وفي 1870 تم تعديل الدستور الخامس عشر، والذي أقر بحق الانتخاب للجميع، ويمكن اعتبار هذه الفترة من المراحل الحافلة في تاريخ نضالات السود، بحيث بدؤوا يكتسحون مقاعد الانتخابات محليا وفدراليا، وعمل في هذه الفترة 16 نائبا منهم داخل الكونغرس، هذا الأمر أغضب الولايات الجنوبية، ومع بداية 1885 أقرت قوانين عنصرية تفصل بين البيض والسود في المدارس والحافلات، وسرعان ما فصلت المحكمة العليا وأقرت المواطنة الكاملة بنفس المعيار للكل، وفي هذا المناخ أدرك السود أن السبيل هو التعليم للارتقاء وبناء المستقبل، وظهرت العديد من الأسماء والكتابات "كابكر واشنطن" الذي أصدر رواية سنة 1900. في سنة 1905 تم إنشاء حركة "نياغرا" والتي طالبت

أزيد من 7,3 مليون إنسان خارج السجن بشروط، ويقبع في السجن أزيد من 2.3 مليون إنسان في السجون، ويتم تشغيل السجناء كالعبيد، وأزيد من مليون اعتقال في السنة بسبب حيازة المخدرات. 46 في المائة من الأحكام تتعلق بالمخدرات، 7,5 في المائة بسبب التجاوزات على قوانين الهجرة، 77 في المائة يعودون إلى السجن لأنه ليس لهم فرصة للشغل بعد دخولهم السجن الذي يقلل فرصهم في الحصول على الوظيفة مما يجعلهم يقعون في براثن الجريمة، واحتمالية إطلاق النار من الشرطة على المواطنين من أصول إفريقية أكبر بـ 21 مرة من احتمال إطلاق النار على البيض، وتعتبر أمريكا إن السجون بازار مربع جدا، بحيث يتم صرف أزيد من ثمانين مليار دولار سنويا على إدارة السجون، لذا فإن حرب الشرطة على الأقليات والفقراء والمهاجرين والمشردين لم ينقطع يوما بحجة الحرب على الجريمة والمخدرات. لهذا فأمريكا تسجل أعلى معدل جريمة في العالم بنسبة ستة أضعاف عن أوروبا، ويصل عدد المواطنين من أصول إفريقية إلى 43 مليون نسمة أي تقريبا 12,7 في المائة من سكان أمريكا، لكن موقعهم

السياسي وأوضاعهم الاقتصادية تبين عكس ما تروج له إمبراطورية الشر، فعدد الرؤساء في التاريخ الأمريكي من السود 1 من أصل 45، ونسبتهم في مجلس الشيوخ لا تتعدى واحد في المائة، ومجلس النواب 9,5 في المائة. وفي حكام الولايات صفر في المائة. أما على المستوى الاقتصادي يمثل دخل الأسود 48 في المائة من إجمالي دخل الأبيض، و20,8 في المائة من المواطنين من أصول أفريقية يعيشون دون مستوى الفقر، مقابل 8,1 في المائة من البيض تحت هذه العتبة. و اجتماعيا يصل عدد سجناء السود حاليا 38 في المائة من مجموع السجناء (مليون و مائتين وتسعة وأربعون ألف سجين)، ونسبة من يحملون مؤهلات علمية هي أقل بـ 50 في المائة مقارنة بالبيض، وحسب إحصائيات 2018 فإن متوسط الدخل

الأسبوعي للأمريكيين من أصول أمريكية وصل إلى 664 دولار، مقابل 916 دولار للبيض، ووفقا لمسح قام بيه مركز "بيول" سنة 2019 فإن ثمانية من كل عشرة متعلمين تعرضوا للتمييز بسبب عرقهم، وبالنسبة للمسكن فإن 41 في المائة من أصحاب البشرة السوداء لهم شقق أو منازل مقابل 72 في المائة من البيض. وفي معمعان فيروس كورونا فقد حوالي 40 مليون شخص وظيفتهم ليصل معدل البطالة إلى 14,7 في المائة، وهي الأعلى منذ أزمة الخميس الأسود. والمثير هنا هو أن السود كان لهم النصيب الأكبر من التسريحات 17 في المائة مقابل 14,2 في المائة من البيض.

الجذور التاريخية للعنصرية الأمريكية:

كما أشرنا سابقا أن العنصرية لها أصول تاريخية وتتخطى ترامب ومن معه وترسخت في البيض، وأصبحت نزعة الاستعلاء مترسخة بأنهم أفضل من السود. وهذا ممتد في تاريخها الطويل ونستعرض هنا أهم المحطات وملخصا للكفاح والنضالات الطويلة التي خاضها السود. مع بداية تجارة العبيد الأوروبية نحو أمريكا، تم تنظيم العديد من الرحلات المحملة بالعبيد، وعرفت سنة 1691 نقل أول حمولة وصلت إلى فرجينيا، ومع تطور الحاجة

الهيمنة الأمريكية والفشل في تخطي الفكر العنصري

يعطي إشارات حول القضايا التي لم يسعفه الوقت بدراستها، أو أهمها رفيقه أنجلز، فالحركة الاشتراكية منذ القرن 19م تعتبر قضية المضطهدين السود من قضاياها الأولى، ونذكر هنا مشاركة "جوزيف ودمير" رفيق ماركس في عصابة العمال الأمريكيين في "شيكاغو"، وقد كان من مناصري الأممية الأولى المرتبطين بماركس في نضالهم ضد اضطهاد السود، بين 1860 و 1870، وكانوا يرون بوضوح كيف تستخدم الرأسمالية الأمريكية التفرقة والتمييز العنصري، وزيادة استغلال العمال، ومن أهم الوثائق في هذا السياق هي رسالة جمعية الأممية للعمال للرئيس "نكولن" التي كتبها كارل ماركس، أما القائد الصيني "ماو" فله رسالة يدعم فيها كفاح الأفارقة الأمريكيين ضد القمع في 16 أبريل، 1968، ويقول في إحدى فقرات هذا البيان "إن التمييز العنصري في أمريكا هو نتاج النظام الاستعماري الإمبريالي، والتناقض بين الجماهير الإفريقية والزرمة المهيمنة في هذا البلد هو تناقض طبقي، ومن خلال الإطاحة بالهيمنة الرجعية للبرجوازيين وتدمير النظام الاستعماري فقط سيحقق للأفارقة الأمريكيين التحرر الكامل"، وهناك العديد من الأحداث ومساهمات الماركسيين في القرن العشرين والواحد والعشرين لا يتسع المجال لذكرها هنا.

خلاصة:

يمكن القول إن ترامب وضع نفسه في مأزق لا يحسد عليه، سواء تصاعدت الاحتجاجات أو تراجعت، خصوصا بعد نتائج الأزمة الصحية، وكذلك موجات الاحتجاجات التي تعم أوروبا وأمريكا، حتى أصبح العدو والصديق ينتقده بما فيهم الابن البار بريطانيا التي أصدرت بيانا حول قمع الاحتجاجات. وأمام تطور هذه الأحداث، ظهرت العديد من الآراء، وأصبح "راي توفلر" مثلا هو الأقرب إلى الواقع الملموس، بخصوص الحرب الأهلية وانقسام أمريكا، حيث إن مسألة الحرب الأهلية تأخذ اليوم المساحة الأكبر في المقالات واستطلاعات الرأي والدراسات العلمية، نقدم لكم بعض المعطيات التي يستند لها رأي الحرب الأهلية، بحيث أن 67 في المائة من الأمريكيين لا يستبعدون الحرب الأهلية، وهذا الاستطلاع كان قبل كورونا والانتفاضة.

+ فسياسة ترامب أدت إلى اضطراب داخلي، بعدم استقرار الإدارة والمجتمع إقليميا وعالميا، في العلاقة مع أمريكا اللاتينية، الصين، روسيا، إيران، الاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط.
+ كذا اقتصاديا؛ مع تداعيات كورونا وارتفاع نسبة البطالة بحوالي 40 مليون عامل، وتزايد حالات الإفلاس بين الشركات وقطاعات الإنتاج التي وصلت إلى 25 ألف منشأة اقتصادية.
+ ارتفاع هوة التفاوت الطبقي؛ فحسب مؤشر جيني سجلت الولايات المتحدة 41,6 نقطة طبقا للبنك الدولي، وبهذا تحتل المرتبة الأولى بين الدول الصناعية في حجم الهوة الطبقيّة وسوء توزيع الثروة.
+ تصاعد مهول للعنف العنصري؛ وتحتل فيه المرتبة الأولى بين الدول الصناعية.

+ وجود 165 مليشيا مسلحة تنتشر في أغلب الولايات، وهي يمينية متطرفة، وتعج بمجموعة من أنصار ترامب من الأثرياء.

+ وحسب إحصائيات "إف.ب.أي" فإن 41 في المئة من العائلات الأمريكية تمتلك الأسلحة (حوالي 300 مليون قطعة سلاح).
تعتبر أمريكا هي صاحبة أعلى معدل تدخل عسكري عالميا، فمجموع تدخلاتها منذ الحرب العالمية الثانية بلغت 283 تدخلًا، وهناك ملامح ومؤشرات أخرى أشد خطورة عن هذا الانهيار العام.

◆ سفيان جناتي

لينغ" وفي "فوليانندو كاسيل" وفي ولاية "مينيسوتا" اشتعلت احتجاجات في خمسة عشر ولاية مات فيها خمسة عناصر شرطة في دالاس، وثلاثة في "باتون روج"، وسنة 2017 اندلعت احتجاجات في ولاية سان لويس، بعد تبرئة شرطي متهم بقتل شاب "انطوني لامار سميث" سنة 2011، وتم اعتقال ما يزيد عن ثمانين شخص في هاته الحوادث، وصولا إلى 2020 والتي سجلت فيها ثلاث أحداث عنصرية، لا تليق إطلاقا ولا تتناسب مع ادعاءات أمريكا.

كان هذا ملخصا لأبرز الأحداث العنصرية ونضالات الملونين في أمريكا، وهو ما يظهر مدى تغلغل الفكر العنصري لليبيز وكذا جشاعة الرأسمالية، خصوصا في تعاطي النظام مع الأحداث، والتي تزداد يوميا تأزما، وإلى حدود اللحظة هناك ما يزيد عن مئات المعتقلين، من البيض والسود، وكذلك تجاوزات خطيرة في حق الصحافة والتي سجلت ما يزيد عن مئتي تجاوز، حسب تقرير صحافي قدمته "أو آر تي أولاين" وكذلك أوضح هذا الحدث عنصرية ترامب، والذي له سوابق



في هذا الاتجاه، بعدما استهدف أربع نائبات من السود، وعلى رأسهن "الكسندرا كورتيس" و إلهام عمر من أصول صومالية، ورشيدة طليب، واللواتي استهدفهن بقوله أكثر من مرة "من يكره البلد و أوضاعها عليه بالعودة من حيث أتى"، هذا التمييز والقمع الكثيف للاحتجاجات يكشف ازدواجية التعاطي مع معايير حقوق الإنسان، وهو تعبير واضح على تخوف ترامب ومن معه أن تتحول الإنتفاضة إلى ما هو اجتماعي، خصوصا في هذه الظرفية الحرجة التي يعيشها الاقتصاد الأمريكي، وبالرغم من هذه الأزمات تجد رأسمالين يسعون لاستثمار الأزمات لصالحهم، وهذا ما يحدث مع الديمقراطيين الذين يحاولون استغلال قضية جورج فلويد لصالحهم في الإنتخابات، ورأينا كيف اتسعت شعبية "جون بايدن" في الأيام السابقة رغم أنه متهم بقضايا الفساد.

من هنا تتضح صحة مقولة ماركس حينما قال " لا يمكن للرأسماليين حل الأزمة في المجتمع إلا بتمهيد الطريق لأزمات أكثر شمولية وأكثر تدميرا، وتقليص الوسائل التي توقف الأزمة والبدء في استغلال الأزمات لصالحهم"، ويستوقفنا السؤال التالي: هل عني كارل ماركس والاشتراكية بنضالات السود؟

الأکید أن كارل ماركس لم يتطرق لكل جوانب الحياة، لكنه

شرخا من جديد بين البيض والسود، بحيث شهدت أزيد من مئة مدينة أمريكية أعمال الشغب والحرق والتدمير، مما ساهم في نمو كبير للحركات المدافعة عن السود كحركة القوة السوداء، و"حزب بلاك بانتر"، وأهم ما ميز السنوات بين 1972 وسنة 1984 هو ظهور أول مرشحة للرئاسة من أصول إفريقية، كانت تريد تسليط الضوء على قضايا المرأة وقضايا السود عموما، إضافة إلى ظهور مرشح جديد اسمه جاكسون كان يتعاطف مع حركة لوثر لكنه لم ينجح مرتين، وسنة 1986 عرفت بطفرة "الأوبرا وينفري" و منصات الإعلام بحيث ساهم مسلسل بلكوسي الكوميدي في إعادة تركيب صورة جديدة حول الطبقة الوسطى من السود، وتم تأسيس جمعية الترفيه التلفزيوني للسود على يد رجل الأعمال روبرت جونسون، ليشهد بعدها العالم ظاهرة الأوبرا ونفري، وساهمت في ترويج الكثير من الكتابات مثل أليس وواكر وطوني مورسون...

في سنة 1989 فريجينا تنتخب دوغلاس أول حاكم أسود، وسنة 1992 انتخاب أول سيدة سوداء في تاريخ مجلس الشيوخ، وفي نفس السنة كان السود على موعد آخر بالخروج للشوارع على إثر مطاردة رجل أسود يسمى "رودني كينك" وهو يحاول مقاومة الاعتقال بلوس أنجلس، وبعد إطلاق صراح الضباط وتبرئتهم من سوء استخدام السلطة، شهدت لوس أنجلس مظاهرات واسعة لمدة أربعة أيام، توفي على إثرها حوالي خمسة وخمسين شخص وجرح أكثر من ثلاثة آلاف، وتم حرق أكثر من ألف مبنى وقدرت الخسائر بمليار دولار.

ومع بداية القرن الحالي، كان "كولن باول" أول وزير خارجية أسود عينه جورج بوش، ليصبح أول أمريكي من أصول إفريقية يمثل أبرز دور ديبولماسي، وكان وراء الحشد لحرب العراق وفي 23 يونيو 2003 كان الحكم في دعوة "جوتير" ضد "بوللنجير"، وقامت المحكمة العليا بتأييد سياسة مدرسة القانون في "ميتشغان" والتي تقضي بأن اللون والعرق من أساسيات المدرسة، وسنة 2006 حكمت المحكمة على برنامج "سياتل" و"ولوزفيل" والذي يضع التنوع العرقي معيارا لاختيار الطلاب، بأنهما غير دستورين.

وقبل أن يصل "باراك أوباما" إلى سدة الحكم كان الأمريكيون من أصول إفريقية قد قطعوا أشواط في نضالهم، وقدموا تضحيات جسيمة، وكتبوا تاريخا بالدماء في سبيل قضيتهم، لكن صعوده وهو من أصول إفريقية أعطاهم أملا، لكن سرعان ما تحطمت هذه الصورة ببساطة لأن القضية تتجاوز أوباما وترامب معا، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنظومة، ورغم خروج أوباما اليوم حول مقتل فلويد، فالغاية ليست قضية الملونين، بقدر ما هو تهيئة الشروط لزوجته مستقبلا للوصول إلى منصب الحكم.

وبعد 2013 حدث آخر يضاف إلى سلسلة الأحداث، ويتمثل في مقتل شاب "ترايفون مارتين" على يد حارس أبيض، اشتعلت على إثرها مظاهرات في أغلب الولايات، لتكون بداية استعمال العبارة الشهيرة "حياة السود مهمة" من قبل الناشطة "أليسا غارزا"، وتشكلت "حركة حياة السود مهمة" ومطالبها هي القضاء على سيادة البيض وبناء سلطة محلية.

وفي 19 أبريل 2015 مات شاب آخر حينما أصيب بكسور على مستوى العنق عند نقله في سيارة الشرطة، بسبب نظراته التي لم تعجبهم، فخرجت جماهير واسعة في "بالتيمور"، وقد عرفت هذه المدينة شغبا وتدمير العديد من المنشآت، وبعدها بسنة شهدت كارولينا الشمالية مظاهرات بعد قتل "ملونت سكوت"، وفي ولاية "لويزيانا" "توفي التون ستير

صمود في مواجهة الفساد والاستبداد..

قراءة في المسار الكفاحي للأستاذ عبد الرحمان بن عمرو

♦ بقلم د. علي بوطواله — الحلقة الأخيرة

جنائبا عن الجرائم الخطيرة المرتكبة ضد الشعب اللبناني ومنشآت وأراضيه، بواسطة الجيش الإسرائيلي. كما طالب الدولة المغربية بالسحب التلقائي للجنسية المغربية عن اليهود المغاربة الذين اختاروا العيش على أرض فلسطين والتمتع بالجنسية «الإسرائيلية»، وذلك بتطبيق مقتضيات قانون الجنسية المغربية.

وقد حضي بالتكريم عدة مرات، من المنظمات الحقوقية والسياسية، ويساهم بعدة منابر في نشر المعرفة القانونية والحقوقية، ولا يمكن حصر عدد العروض والمحاضرات التي قدمها في هذا المجال على مدى أربعين سنة من نضاله الحقوقي. وكذا المذكرات والرسائل

المفتوحة ضد كل مظاهر القمع والحيث والغبن. دفاعا عن العدالة وتمكين وإرساء منظومة قضائية نزيهة كفؤة مستقلة وجديرة بكرامة الإنسان المغربي، وفي هذا الصدد قام بمعية رفاق ورفيقات له بتأسيس مرصد العدالة بالمغرب والذي من بين أهدافه الأساسية رصد كل الخروقات الماسة باستقلال القضاء وبسيادة القانون والمرتكبة من قبل السلطة التنفيذية، وهي الخروقات التي عاشها وما زال يعيشها المغرب منذ الاستقلال وذلك بالرغم من الضمانات الدستورية المحدودة بهذا الخصوص...

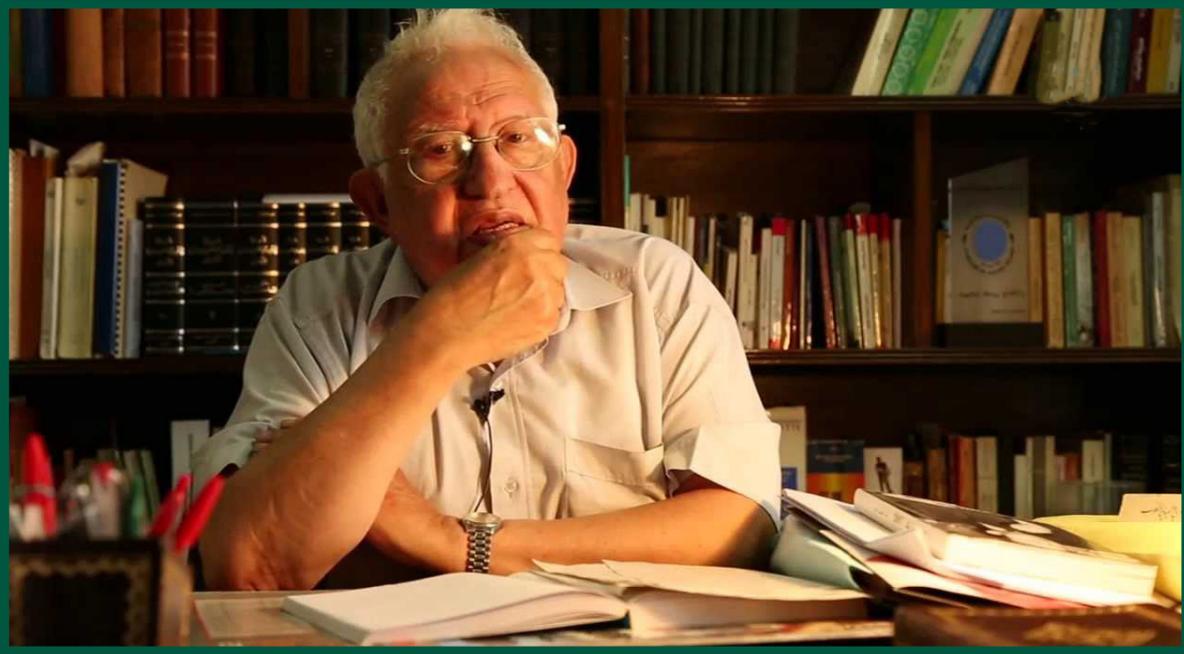
ويعد من المدافعين الشرسين عن سيادة اللغة العربية في كل المرافق، وقد قام برفع دعاوي كثيرة ضد الدولة المغربية وتوجيه إنذارات إلى بعض الإدارات التي لا تستعمل اللغة العربية، ولا زال يشغل منصب مستشار في التنسيق الوطنية للغة العربية.

6 مرجع قانوني وذاكرة سياسية غنية

يشهد جميع القضاة والمحامين الذين تعرفوا على الأستاذ عبد الرحمان بن عمرو بسعة ثقافته القانونية، وعمق وغنى مراحته، وقد نشر عدة دراسات حول العدالة ومهنة المحاماة. وسبق أن أصدر مجلة "أقلام" الثقافية بتعاون مع الأستاذين السطاطي وعابد الجابري سنة 1964، والتي لها صدى واسع وسط المثقفين المغاربة طيلة سنوات. ونظرا لمعايشته أحداث سياسية هزت المغرب، ورافق كل القادة البارزين تقريبا منذ بداية ستينيات القرن الماضي، وشارك بالخصوص في جل المحاكمات السياسية والعسكرية التي عرفها المغرب، فإنه من القلائل الذين يخرنون في ذكرتهم، وفي الوثائق التي يتوفرون عليها الكثير من الأسرار والتفاصيل الدقيقة لقضايا لا زال يلفها الغموض لدى عموم النشطاء السياسيين. إنه كما قيل عنه في بعض الأحيان "خزانة متنقلة"!

من أهم أعماله كتاب بعنوان "المحاماة في المغرب نضال في خضم أزمة" سنة 1993، وأصدر سنة 2014 كتابا آخر تحت عنوان "من أجل ذاكرة عادلة: محطات من حياة المناضل الأستاذ النقيب عبد الرحمن بن عمرو". ويسرد فيه أبرز المحطات من حياته كفاعل سياسي وحقوقي ويقدم شهادة عن مرحلة صعبة من تاريخ المغرب الحديث... وفي سنة 2019، أصدر كتابا تحت عنوان "مؤامرة 8 ماي الفاشلة: الأسباب - الحدث - المحاكمة - التقييم - الاستمرار" وبملحق توثيقي للمحاكمة. ويبقى في النهاية، بن عمرو الإنسان الذي لا يسع المجال للإحاطة بكل مناقبه، وخصاله وأخلاقه التي تجعله متفردا بين القادة السياسيين بتضحياته، وزهده واستقامته وصموده ومحاربتة للزيف والنفاق.

الهادي لقباب إلى تأسيس لجنة تنسيق بين الجمعية المغربية لحقوق الإنسان والعصبة المغربية لحقوق الإنسان، كما اتصل بمن تبقى من أعضاء قيادة الجمعية للشروع في تحضير مؤتمر داخلي استثنائي بعد منع مؤتمرها الثاني وبشكل متكرر. وفعلا، وتحت تأثير التحولات الدولية في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، ستمكن الجمعية المغربية لحقوق الإنسان من عقد مؤتمرها الاستثنائي ومرة أخرى سيلعب الأستاذ بن عمرو دورا حاسما في إعادة تنظيم حزبه، وتغيير اسمه إلى حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي، وذلك في اجتماع للجنة المركزية بمنزله في 6 أكتوبر 1991، بل وفي اقتناء أول مقر للحزب بالرباط في نفس الفترة.



وبغض النظر عن نشاطه السياسي البارز، وعطائه المهني الغزير، فإن ما ميز الأستاذ بن عمرو هو تمسكه الشديد بالعدالة ودفاعه المستميت عن حقوق الإنسان بدون أي تمييز للجنس أو العرق أو اللون أو الجنسية. فافتناعه بالرؤية الكونية لحقوق الإنسان لا تتناقض مع تشبته واعتزازه بهويته المغربية العربية الإسلامية. ورغم سنه، وتعدد مهامه الحزبية والجمعية والمهنية، لا يتخلف عن أية تظاهرة، سواء كانت ذات بعد مطلبية أو احتجاجي. كما يكون دائما في مقدمة المحامين المتطوعين للدفاع عن المعتقلين على خلفية الاحتجاجات الاجتماعية والسلمية. وخلال المناظرة الأولى حول الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي نظمتها كل من المنتدى المغربي من أجل الحقيقة والإنصاف والجمعية المغربية لحقوق الإنسان والمنظمة المغربية لحقوق الإنسان بالرباط في نونبر 2001، تقدم حزب الطليعة بمذكرة في الموضوع كانت من صياغة الأستاذ عبد الرحمان بن عمرو، كما كان ضمن هيئة الادعاء العام التي أعدت صك الاتهام ورافعت ضد الدولة المغربية والمتورطين معها في الانتهاكات الجسيمة التي عرفها المغرب، وذلك أثناء المحاكمة الرمزية التي انعقدت بالرباط في صيف سنة 2005.

وعلى الصعيد القومي يعد من أبرز العاملين في المجال الحقوقي بفضل ما قدمه من مساهمات في الدفاع عن حقوق الشعوب العربية في فلسطين والعراق وسوريا، وفي محاربة كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني بصفته عضوا مسؤولا بسكرتارية مجموعة العمل الوطنية لمساندة العراق وفلسطين. وكان أيضا ضمن هيئة المحكمة الشعبية الدولية التي انعقدت بالقاهرة في نونبر 2005 من أجل محاكمة بوش وبلير وشارون عن الجرائم الفظيعة التي ارتكبوها وتسببوا في ارتكابها بكل من فلسطين والعراق. وعضو في هيئة الدفاع التي قدمت في غشت 2006 شكاية لدى النيابة العامة بمحكمة الاستئناف بالرباط، ضد عمير بربيز، وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، وذلك من أجل متابعته

4 وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

بعد الحكم على الفقيه عبد الرحيم بوعبيد ورفيقيه محمد اليازغي ومحمد الحياي، ونقلهم إلى سجن ميسور لقطع كل اتصال لهم بباقي قادة الحزب ومناضليه، رفضت بقية المكتب السياسي بتوجيه من عبد الرحمان اليوسفي عقد أي اجتماع للجنة الإدارية ولا للجنة المركزية للنظر في تدبير المرحلة، وصياغة رد مناسب على تصعيد الحكم وضربه للقانون عرض الحائط بما في ذلك استفتاء 1980 القاضي بتمديد مدة الولاية التشريعية من أربع إلى ست سنوات ولكن ليس بأثر رجعي كما فعل سنة 1981، وذلك هروبا من انتخابات برلمانية جديدة يعرف مسبقا نتائجها، ولم يكن في إمكانه تزويرها كما في السابق لأن الظروف السياسية داخليا وخارجيا تغيرت رأسا على عقب. وبعدما استطاع الحكم فرض التنازل على المكتب السياسي، لجأ هذا الأخير إلى طرد الأستاذ بن عمرو وثلاثة من رفاقه من الحزب لتحويل الصراع مع الحكم حول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية إلى صراع داخلي مبيت. ذلك القرار الغريب ما كان له إلا أن يؤدي إلى تصاعد احتجاجات القواعد الحزبية عليه. هكذا أصبحت الحياة الحزبية مسمومة بالشك والعداء بين مناصلي الطرفين.

وفي جو حزبي مشحون اضطر المكتب السياسي إلى الدعوة لعقد اللجنة المركزية بعد سنتين من التجميد لاتخاذ قرار المشاركة في الانتخابات الجماعية، لكنه لم يوجه الدعوة لمن اعتبر أنهم راضين للمشاركة في ظل حالة استثناء عمليا. وحين قدموا للمقر المركزي للحزب بالرباط، نودي على قوات الأمن لحماية الاجتماع! وبطبيعة الحال اعتقلت هذه الأخيرة المعارضين لخوض الانتخابات وتم الزج بهم ومحاكمتهم بتهم ملفقة، وصدر الحكم على أغلبهم بسنة حبسا نافذا، وعلى الأستاذ بن عمرو وثلاثة آخرين بثلاثة سنوات كاملة، وكانت تلك المحاكمة سابقة في صراع حزبي داخلي قامت الدولة فيه بحسمه لصالح الطرف الموالي لها، ومنحه كل مقرات الحزب وصحافته، وقمعت الطرف الآخر وحاصرته سياسيا وإعلاميا لعدة سنوات، وسمته جماعة بن عمرو إمعانا في تقزيمه، والمراهنة على بث الحزازات في صفوفه.

خلال سنوات الاعتقال، التقى الأستاذ بن عمرو بالأستاذ عبد السلام ياسين مؤسس جماعة العدل والإحسان، ومع قادة ليسار الجديد كانوا معه في نفس المعتقل، واكتسب تجربة جديدة وغنية في مواجهة الظلم والطغيان، ونال احترام وتقدير الأصدقاء والخصوم على السواء.

5 عميد الحقوقيين المغاربة

بعد قضاء ثلاث سنوات وراء القضبان، لا شيء إلا رفضه تزوير قرار حزبه بالدخول في انتخابات مزورة لتزكية سياسية التقويم الهيكلي التي أملاها صندوق النقد الدولي، والتي ستكون لها بعد تطبيقها لمدة عشر سنوات نتائج كارثية على القطاعات الاجتماعية، بشهادة البنك الدولي في تقريره الشهير لسنة 1995، خرج الأستاذ بن عمرو أكثر إصرارا على مواصلة النضال بكافة أشكاله حتى تتحقق كافة الأهداف التي ضحى من أجلها شهداء الشعب المغربي.

وهكذا ولأن الحكم كان يمارس حظرا على كل التنظيمات السياسية والحقوقية الجادة، بادر النقيب بن عمرو بتعاون مع النقيب عبد

الأنفلونزا الإسبانية.. الجدة الضارية لكورونا

♦ عادل رضى - روسيا



الكتب بالمكتبات وارتداء الكمامات. وأغلقت المدارس والمسارح، وفرضت وزارة الصحة في مدينة نيويورك تعديلات صارمة لقانون الصحة يجرم البصق في الشوارع. سببت الحرب العالمية الأولى نقصاً في الأطباء في بعض المناطق، وزاد مرض الكثير من الأطباء الأمر سوءاً. وتحولت المدارس وغيرها إلى مستشفيات مؤقتة، وحل طلبة الطب محل الأطباء في بعض الحالات.

بدأ عدد وفيات الإنفلونزا الإسبانية يتناقص بحلول ربيع 1919، تاركاً البلدان مُدمرةً في أعقاب تفشي المرض وعجز الأطقم الطبية عن وقف انتشاره، وعمت الفوضى العام لتُذكر البشرية بوباء الطاعون الذي انتشر قبل 500 سنة.

أشار كتاب نانسي بريستو Nancy Bristow «الجائحة الأمريكية: عوامل وباء الأنفلونزا المفقودة عام 1918» (دار نشر جامعة أكسفورد، عام 2016) إلى أن الفيروس أصاب نحو 500 مليون شخص حول العالم. أي نحو ثلث سكان العالم حينذاك. وبلغ عدد الوفيات 50 مليون شخص، أو أكثر.

وتكشفت الجثث وامتلات المقابر، واضطرت الأسر إلى حفر مقابر لأبنائها. وأدت الوفيات إلى تناقص عمال المزارع، ما أثر على موسم الحصاد الصيفي. أما في بريطانيا، فقد أضر نقص العمالة والموارد سلباً على بعض القطاعات الخدمية، مثل قطاع جمع النفايات.

وانتشر الوباء في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية وجنوب المحيط الهادي. وبلغت الوفيات في الهند 50 حالة لكل ألف شخص، وهو معدل صادم. ما زالت الأنفلونزا الإسبانية أشد أوبئة الإنفلونزا فتكاً إلى الآن، إذ قتلت 1 - 3% من سكان العالم.

يشبه ذلك الجائحة التي ضربت العالم عامي 2009 و2010، بعد ظهور شكل جديد من سلالة أنفلونزا الخنازير H1N1. سُمي المرض «إنفلونزا الخنازير» لأن الفيروس المسبب له يشبه الفيروس الموجود في الخنازير (وليس لأن الفيروس جاء من الخنازير).

سببت إنفلونزا الخنازير أضراراً نفسية أودت بحياة نحو 150 - 575 ألف شخص حول العالم في العام الأول وفقاً لمراكز CDC. يعادل ذلك نحو 0.001 - 0.007% من سكان العالم، أي أن الأضرار كانت أقل كثيراً من نتائج جائحة الإنفلونزا الإسبانية عام 1918.

وأفادت الإحصائيات أن نحو 80% من وفيات إنفلونزا الخنازير كانت بين الأشخاص دون 65 عاماً، وهو أمر غير معتاد، إذ إن نسبة 70-90% من وفيات الإنفلونزا الموسمية تحدث بين الأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم 65 عاماً.

أدرج حالياً لقاح لسلالة الفيروسات المسببة لإنفلونزا الخنازير ضمن لقاحات الأنفلونزا السنوية. وما زال الناس يموتون بسبب الأنفلونزا كل عام، ولكن متوسط الأرقام أقل بكثير من أرقام وفيات أنفلونزا الخنازير أو الأنفلونزا الإسبانية. وتسبب الأنفلونزا الموسمية سنوياً نحو 3 - 5 ملايين إصابة حادة، ونحو 290 - 650 ألف حالة وفاة، وفقاً لمنظمة الصحة العالمية.

فهل سيندرج وباء كورونا أيضاً أمام التقدم العلمي.. والتاريخ شاهد على أن الأنفلونزا الإسبانية مرت من هنا أيضاً !!!

الفيروس ظهر لأول مرة في الصين. إذ ذكرت تقارير -لم تُعلن حينذاك- انتقال مجموعة من العمال الصينيين إلى كندا في عامي 1917 و1918. كان معظمهم عمالاً زراعيين من المناطق الريفية النائية في الصين، وفقاً لكتاب مارك همفريز Mark Humphries «الطاعون الأخير» (مطبوعات جامعة تورنتو، 2013). وأمضوا 6 أيام في حاويات قطارات مغلقة في أثناء نقلهم عبر البلاد، قبل مواصلة طريقهم إلى فرنسا، حيث طُلب منهم حفر الخنادق وتفريغ القطارات وتركيب خطوط السكك الحديدية وشق الطرق وإصلاح الدبابات المتضررة، ونُقل أكثر من 90 ألف عامل منهم إلى الجبهة الغربية.

يروى الكتاب أن نحو 3000 عامل صيني من أصل 25 ألفاً أنهوا رحلتهم إلى كندا في الحجر الصحي. وعزا الأطباء الكنديون وقتها مرض العمال [بسبب الصورة النمطية العرقية] إلى «تكاسل الصينيين» ولم يأخذوا أعراض الإصابة على محمل الجد، وحين وصل هؤلاء العمال إلى شمال فرنسا في أوائل 1918، كان الكثير منهم مرضى، وسرعان ما توفي المئات. في أواخر ربيع 1918، أرسلت خدمة إخبارية إسبانية خطاباً إلى مكتب رويترز في لندن، لإبلاغ وكالة الأنباء أن «نوعاً غريباً من الأمراض ذا طابع وبائي ظهر في مدريد، وهو وباء معتدل، إذ لم تُسجل أي وفيات» وفقاً لكتاب هنري ديفيز - Henry Davies «الأنفلونزا الإسبانية» (هنري هولت وشركاه، عام 2000). وبعد أسبوعين من إرسال التقرير، أصيب أكثر من 100 ألف شخص بالمرض.



حار الأطباء بم سينصحون مرضاهم. حثّ بعض الأطباء الناس على تجنب الأماكن المزدحمة أو التواصل المباشر مع الآخرين، وأوصى البعض الآخر بالعلاجات الطبيعية كتناول القرفة وشرب النبيذ أو شرب مرق لحم البقر، وطلب الأطباء من الناس أيضاً تغطية أفواههم وأنوفهم في الأماكن العامة. وعزا أطباء آخرون الجائحة إلى استخدام الأسبرين، مع أنه قد ساعد بعض المصابين حينذاك.

نُشر إعلان في الصحف البريطانية في يونيو 1918، لينشر الوعي وسط الناس حول أعراض الأنفلونزا، لكن اتضح بعد ذلك أنه كان إعلاناً لتسويق أقراص فورامانت Formamint، وهي أقراص أنتجها مصنع للفيتامينات. ولم تُوقف وفاة العشرات الترويج للعلاجات الزائفة بهدف جني الأموال. حيث زعم الإعلان أن النعناع هو «أفضل وسيلة لمنع العدوى»، وأنه يجب على كل شخص -حتى الأطفال- أن يتناول 4-5 أقراص من فورامانت يومياً ليشعر بالتحسن!

تلقى الأمريكيون نصائح مماثلة حول كيفية تجنب الإصابة بالعدوى. إذ نُصحوا بعدم مصافحة الآخرين، والبقاء في منازلهم وتجنب لمس

قبل مئة عام، ضرب فيروس قوي الكرة الأرضية وتفشى إلى درجة أنه أصاب ثلث البشر في ذلك الزمان، ليترك بصمة سوداء عرفت باسم «الأنفلونزا الإسبانية». بدأت الأنفلونزا الإسبانية في مكان محدود، تماماً كما في حالة فيروس كورونا الذي كانت شرارة تفشيته في سوق المأكولات البحرية بمدينة ووهان الصينية.

ويقول مؤرخون إن الفيروس انتشر أولاً عام 1918، في الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، التي اعتبروها مسؤولة بصورة جزئية عن تفشي المرض، وعرفت بجائحة أنفلونزا 1918 أو ما عرف بالأنفلونزا الإسبانية أو الوافدة الإسبانية، وهي جائحة أنفلونزا قاتلة انتشرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى في أوروبا والعالم وخلفت ملايين القتلى.

وتميز الفيروس بسرعة العدوى حيث تقدر الإحصائيات الحديثة أن حوالي 500 مليون شخص أصيبوا بالعدوى وأظهروا علامات وكليتيكية واضحة، وما بين 50 إلى 100 مليون شخصاً توفوا جراء الإصابة بالمرض أي ما يعادل ضعف المتوفين في الحرب العالمية الأولى. وقد كانت الغالبية العظمى من ضحايا هذا الوباء من البالغين والبالغين الأصحاء، بعكس ما يحصل عادة من أن يستهدف الوباء كبار السن والأطفال والأشخاص المرضى أو ضعيفي المناعة.

تسببت الأمراض المعدية بسبب هذا الوباء في الحد من متوسط العمر المتوقع في أوائل القرن العشرين، ولكن متوسط العمر المتوقع في الولايات المتحدة انخفض بنحو 12 عاماً في السنة الأولى للوباء. تقتل معظم حالات تفشي الأنفلونزا بشكل غير متناسب الصغار جداً والكبار جداً، مع ارتفاع معدل النجاة لما بين العمرين، لكن وباء الإنفلونزا الإسبانية أدى إلى معدل وفيات أعلى من المتوقع عند الشباب البالغين. للحفاظ على المعنويات، قلصت الرقابة في زمن الحرب التقارير عن المرض والوفيات في ألمانيا والمملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة، على عكس إسبانيا التي كانت محايدة في الحرب، وبذلك تمت تغطية مرض الملك ألفونسو الثالث عشر، وقد خلقت القصص المتداولة انطباعاً خاطئاً عن إسبانيا لدى الناس، إضافةً للملك، أصيب أيضاً سياسيون بارزون. أيضاً أصيب نحو 40-30% من الأشخاص الموجودين في أماكن مغلقة، مثل المدارس والثكنات والمباني الحكومية. وتعين خفض خدمات الترام بمدريد وتعطيل خدمة التلغراف لعدم توافر عدد كاف من الموظفين الأصحاء للعمل. وعجزت المنظمة الصحية عن توفير الخدمات والمستلزمات الطبية.

انتشر اسم «الأنفلونزا الإسبانية» سريعاً في بريطانيا. وذكر كتاب نايل جونسون Niall Johnson «بريطانيا ووباء الأنفلونزا 1918-1919» (دار النشر البريطانية روتلج، عام 2006)، أن الصحافة البريطانية ألفت اللوم على الطقس الإسباني في انتشار الوباء: «إن الربيع الإسباني الجاف العاصف موسمٌ بشع وغير صحي».

وذكر مقال في صحيفة التايمز أن الرياح الشديدة التي نشرت الغبار المحمّل بالميكروبات، هي سبب الوباء في إسبانيا، وأن مناخ بريطانيا الرطب قد يحد من انتشار الأنفلونزا، ما أدى إلى تسمية الوباء بالأنفلونزا الإسبانية.

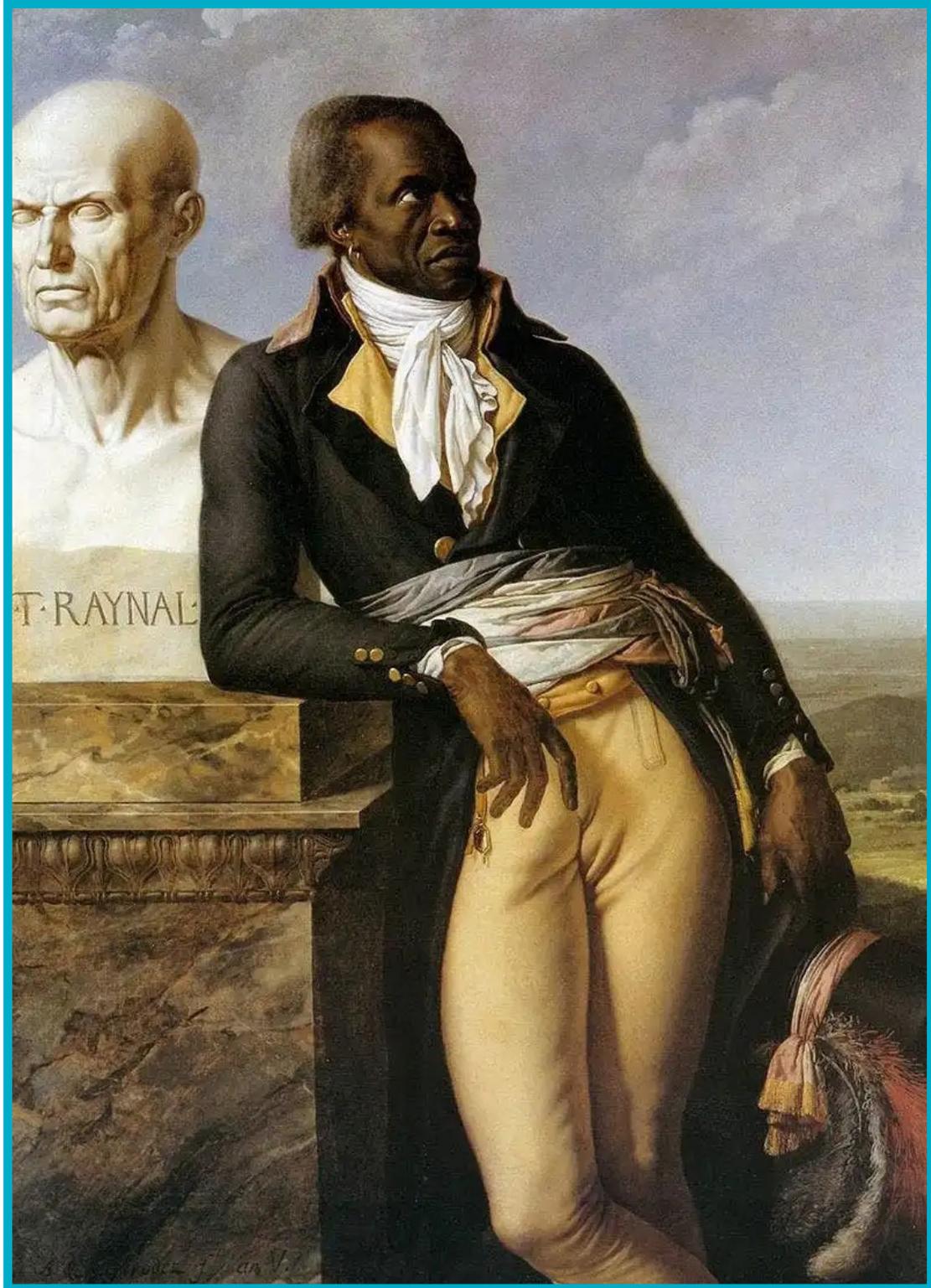
يقدم العلماء عدة تفسيرات محتملة لارتفاع معدل الوفيات بسبب وباء إنفلونزا عام 1918. فقد أظهرت بعض التحاليل أن الفيروس قاتل بشكل خاص لأنه يسبب عاصفة السيتوكين، والتي تخرب نظام المناعة الأقوى لدى الشباب. في المقابل، وفي تحليل صدر سنة 2007 بالمجلات الطبية حول هاته الفترة الوبائية أن العدوى الفيروسية لم تكن أكثر قوةً من سلالات الأنفلونزا السابقة. بدلاً من ذلك تم طرح فرضية أن سوء التغذية والمخيمات الطبية المكتظة والمستشفيات المهملّة وسوء النظافة الصحية يعززان من العدوى البكتيرية الإضافية.

اقترحت نظرية جديدة نُشرت في ناشيونال جيوغرافيك سنة 2014 أن

مدير النشر	عبد الواحد المهتاني	التوزيع	سابريس
رئيس التحرير	يزيد البركة	العنوان	رقم 1 زنقة أحمد الكرناوي الطابق الأول ساحة مارينشال، الدار البيضاء.
سكرتير التحرير	عبد الغني عارف	مكتب الطريق بالرباط	شارع المقاومة رقم 58 حي المحيط الرباط.
المدير الفني	إسماعيل المتقي	البريد الإلكتروني	attarik.journal@gmail.com
المدير الإداري والمالي	لحسن خطار	الهاتف	07 08 80 90 87
الإيداع القانوني	16/2018 ص.ح.	رقم الحساب البنكي	BMCE: 011794000045210000323097
المطبوعة	ايكوبرينت	النسخة الإلكترونية	www.attarik.net
عدد السحب	5000 نسخة	دورية الجريدة	أسبوعية / شهرية (مؤقتاً)
رقم الإيداع	2019PE0068	الرقم الدولي المعياري للدوريات	ISSN 2658 -8161

تحف فنية...

آن لوي جيروديه / فرنسا / فد المبودية..



مع تصاعد موجات العنصرية مؤخرا بالولايات المتحدة الأمريكية، ففي نفس السياق جسد الرسام الفرنسي، **آن لوي جيروديه**، في لوحة زيتية تعود لسنة 1797، شخصية المناضل الأسود البشرة جان باتيست بيلي، ذو الأصول السينغالية، والذي تم استقدامه لفرنسا واستعباده في سن الثانية من عمره، وقد قاوم العبودية وانتهى كات العنصريين البيض منذ ذلك العهد، حتى وصوله إلى المؤتمر الوطني بباريس كنائب منتخب.

لقد أبدع جيروديه في رسمه على هيئة الرجل الحر، ورسم خلفه تجسيدا لتمثال نصفي للفيلسوف رينال، الذي يعتبر كواحد من أهم فلاسفة الأنوار المدافعين عن مبدأ إنهاء وإلغاء العبودية.

عيطة

منعم وحتي



يوم المقصلة

يوم لن يحى أبدا من مخيلتي، كنت في نهاية السنة الخامسة من عمري، كان اللعب والشغب مسألة جدية جدا في برنامجي اليومي، أحرق الحواري والأزقة الضيقة ركضا، لم تكن في الغالب نشري لعننا اليومية، فلا بد أن نصنعها ونهيتها بأنفسنا، ونصنع فضاءها، حتى تكتمل شروط اللعب، والمواد الاساس عموما، أسلاك وقصب ومتلاشيات خشبية ومسامر وأحجار، كنا في غاية البداية، لكن المتعة كل المتعة أن نشوة اللعبة في مهارة صناعتها، وتقاسم أعباء إحضار موادها، ولو دعت الضرورة لإخفائها تحت ثيابنا مخافة أو تجنبنا لتقريع وصراخ الأهل، إن كان ذلك ضد رغبتهم، وهو كذلك في الأعم، فعالم المتلاشيات يستحيل تحت براعة أناملنا لسيارات ودراجات ومراجيح وبنادق وكائنات خرافية.

كان عالمي السري، مليئا بالمتعة والمغامرات المثيرة، حتى إحدى المساءات غير الاعتيادية بالطلق، حين دخل والدي للبيت، وأخبرني، غدا ستذهب للمدرسة...! لا أعرف أي مدفعية أصابتنني، ذهول وارتباك، أحسست أنني سأفقد مملكتي، ومجالتي الحيوي لتوحش طفولتي، كأنني سأدخل لعالم القيود والانضباط، بكل بساطة ستستوعبني حياة الجندية المقيتة، ونظام قسوة المدرسين وعصا الطاعة....

لم أنم تلك الليلة، فالكوابيس، وصور الجلد و صراخ الصبية كانت المشاهد التي ملأت أحلام تلك الليلة السوداء. لم تكن مدرسة بالمعنى الكامل للكلمة، غرفة مظلمة تحت مباني سكن العمال، على مرمى البصر من منزلنا، ما هي بالمسيد، ولا هي بالمسجد ولا هي بدار الأيتام ولا بالحمام ولا هي بالمنزل ولا بالمرحاض ولا بساحات الوعى التي كنا نركض فيها.... اختلطت علي الأمور ذلك الصباح الأول حين توجهي صوب ذلك الشيء الغريب، الذي كان يسميه معشر الصبية : "النادي"، رجلاي متناقلتان، خطوة إلى الأمام واثنتان إلى الوراء، والخشية كل الخشية أن أفقد عذرية توحش مملكة اللعب...

كانت السعدية، امرأة قاسية جدا، تسمع صراخها على بعد سنوات ضوئية، فهي كائن آت من فضاءات أخرى لمهاجمة عوالم الصغار، هكذا كانت مخيلتي تصور لي معاري الجديدة... دخلنا لجيم تلك الحجرة صفوفا والارتجاف يغزو أطراف، السعدية تفتحصنا بنظراتها المكفهرة والمزجرية، بصعوبة أمسكت نفسي من التبول، وهي الحالة الاعتيادية عند الصبية حين تعلقو هيسيرية السيدة القاسية، ... أخذنا أماكننا وأنا كالثائه وسط عالم ليس عالمي... فجأة بدأ الصبي الذي بجانبني يغط في نومه وسفونية شخيره تلامس مسامعي، السعدية ليست هنا، متنفس ملائم جدا لاسترداد عالمي الغرائبي، بدأت في برم أطراف صغيرة من الورق، حتى تحولت إلى كويرات صغيرات، وبدأت في حشوها في أذن زميلي، تكوير... حشو ثم تكوير فحشو، علا صراخه بشكل جنوني والفوضى عمت المكان، وزعيمة المكان تضرب الكل والفوضى تزداد وأنا أقفز فوق الكراسي والعالم يصبح أجمل، فعالم اللعب، عالمي، يعود وبشكل أروع، والقهقهات هنا وهناك، وحدها السعدية من فقدت أعصابها وعلا عويلها ولم تستطع حتى تبين ما وقع.

هدأت العاصفة، وبدأت ملامح الجريمة تتضح، والزواية تضيق بي، والأنظار تتجه صوبي، وأصبحت وجهها لوجه أمام السعدية، ذقت مرارا صنوفا من العقاب، لكن ذلك الصباح كان مقصلة حقيقية، صبت السعدية جام غضبها على ذلك الصبي الذي كنته، وأكلت ما أكل الطبل ليلة عاشوراء... انفلتت بصعوبة من حجرة التعذيب، ولم أدر كيف وجدت نفسي خارج المسلخ، وقد غمرتني أشعة الشمس، فقد عدت لمملكتي، تخيلت نفسي وسط المعركة، والمنجنيق في حوزتي، تساقطت الأحجار على الحجرة كالمطر تحت استغراب الجميع، فلن أدع ثأري يمر ببساطة، فقد كنت ألعب مع زميلي... فما دخل تلك الغريبة في كل هذا!!!

لم تكن السعدية، بهاته القساوة، امرأة ناضجة، بشعر أسود فاحم، وخالة مثيرة على خذها الأيمن، تعلقو ضحكاتهما المكان حين يزورنا آباء الصبية، وكنت أرمقها بعين الريبة حين تطيل الحديث الهامس مع الممرض الذي تجاور حجرة مستوصفه حترنا، لكنه كان صديقي ومقربا إلى عالمي، لأنه كان ينجينا من سطوتها، حين يخرجها من حجرنا، ولا ادري ما كان يقول لها بصوت خافت حتى يستطيع انتزاع ضحكتها النادرة والمليئة بالغنج. كم حزنت كثيرا، لما بلغ إلى علمي وفاة المدرسة السعدية، بعد طول عمر، وقد غادرتنا دون أن نتاح لي الفرصة لأن أضعها في صورة متخيل ذلك الطفل، وعوالمه السرية المليئة بسراديب اللعب وشغب الصبي، ولأسأله عن الممرض وتداخل عوالمنا.

نوع الاشتراك	بالمغرب	خارج المغرب	الاشتراك
أفراد	200 درهم	400 درهم	التشجيعي
مؤسسات	500 درهم	600 درهم	مفتوح

رقم الحساب البنكي : 011794000045210000323097
 البنك المغربي للتجارة الخارجية - وكالة البستان - الدار البيضاء

ترسل صورة قسيمة الاشتراك وصورة وصل التحويل البنكي على البريد الالكتروني التالي:
 attarik.journal@gmail.com

الطريق

السيد رئيس تحرير جريدة الطريق المحترم
 تحية طيبة وبعد، أرجو قبول اشتراكي
 السنوي في جريدة الطريق، وارسالها على
 العنوان الموضح جانبه.

الاسم الكامل
 العنوان
 البريد الالكتروني
 الهاتف